الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليم العالـي والبحث العلمـي

جامعـة الحاج لخضر
باتنـة

كليـة الآداب والعلوم الإنسانيـة
قسـم التاريخ

فرحات عباس بين الإدماج والوطنية

1919-1962

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب :
بوعبد الله عبد الحفيظ

إشراف الدكتور :
يوسف مناصرية

السنة الجامعـة : 2005- 2006 م

تعالج هذه الدراسة شخصية بارزة في تاريخ الجزائر المعاصر ،تثير الكثير من النقاشات والجدل، ألا وهي شخصية فرحات عباس،وتطور فكره السياسي،ومن خلاله دور ومكانــة النخبة المفرنسة في الحركة الوطنية ،وقد تعددت الأطروحات التي تناولت هذه الشخصــية فمنها من يعتبره اندماجيا متنكرا للهوية الوطنية ،والبعض الآخر لا ينفي عنه وطنيته المعتدلة هذا الاختلاف هو الذي جعل هذه الشخصية تلقي الكثير من الأضواء،وضمن هذا الإطــار تأتي مساهمتنا لإثراء النقاش الدائر حوله.

تميز المسرح السياسي للجزائر بعد الحرب العالمية الأولى بتبلــور تيــارات سياســية وفكرية مختلفة تتباين في منطلقاتها الفكرية والإيديولوجية، وفي أهدافها السياسية وتصــوراتها لمشروع المجتمع والمسألة الوطنية، ويعد التيار الإصلاحي العلماني-الإدمــاجي مــن أبــرز التيارات السياسية التي كان لها تأثير واضح في مسار الحركة الوطنية ســواء أكــان بجــرأة طروحاته المنافية أحيانا لقيم ومقومات المجتمع، أم بحيويته السياسية والفكريــة والتنظيميــة وحتى بامتداداته التاريخية والفكرية المستمرة في اعتقادنا بشكل أو بآخر.

ويعد فرحات عباس من أهم رموز هذا التيار الذي صــنفته الكتابــات السياســية والتاريخية كرجل مثقف يمثل رؤية جيل من النخبة المتأثرة بسياسة المثاقفة التي انتهجتها فرنسا والتي استطاعت أن تزاوج العصر بإمتداداته التاريخية انطلاقا من الأصالة والارتباط بالجذور والمتشبعة بثقافة الغرب و التي تكونت لديها قناعات سياسية حول المفاهيم المحددة لعلاقــة الجزائر كوطن بالدولة الاستعمارية .

غير أن فرحات عباس انفرد عن ذلك الجيل بمسار سياسي متدرج ومتأن لم يصطدم بعقبة التسرع وإستباق المراحل التاريخية، رغم المفارقات التي صاحبت مسيرته، وتكمن أهمية هذه الدراسة في معالجة مسيرة شخصية بارزة في الجزائر الحديثة أثارت الكثير من الجدل في الدراسات التاريخية، ومن خلالها دراسة تطور الفكر السياسي للنخبة الجزائريــة المفرنســة والتيار الليبرالي في الجزائر بخصوصياته والعوامل الموجهة له ومكانته في الحركة الوطنية.

فحتى الحرب العالمية الثانية كان فرحات عباس ذلك الرجل الأوروبي الذي يؤمن بالاندماج مع فرنسا ،وإمكانية تحقيق الذات الجزائرية من خلال البعد الفرنسي ،واعتبر فرحات عباس رمزا للاندماجيين المتنكرين لخصوصية الشخصية الجزائرية ،لكن الحرب العالمية الثانية ستضع حدا لأوهام الاندماج والتمثل ،بعد أن خابت آماله في فرنسا الديمقراطيــة ،فتطــور فكــر فرحات عباس كثيرا ،وأحيانا نحو النقيض وهو يلعب ذلك الدور في حركة أحباب البيــان والحرية ،حتى إذا جاءت الثورة ،وبعد تردد ويأس في إمكانية التعايش مع الاستعمار التحــق بها ،وهذه الدراسة ستتناول المسار الصعب لفرحات عباس بكل تحولاته وإخفاقاته.

2. أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار الموضوع وأهمها:

إختلاف الدراسات والأطروحات حول تصنيف فرحات عباس بين من يعتبره نموذجــا للفكرة الادماجية في الجزائر ،وبين من يعتبره نموذجا لتطور الوطنية الجزائريــة ،وآخــرون يصنفونه وسطا بين الإدماجي و الوطني،أو من أنصاف الوطنيين،و التي لم تصل إلى نتــائج تحدد المسار المستقر لفرحات عباس ،وبذلك بقي موضوع الإدماج والوطنية عند فرحــات عباس يحتاج إلى المزيد من الدراسات والنقاشات.

أن فرحات عباس من الشخصيات البارزة في مسار الحركة الوطنية، حتى وإن مثــل في مرحلة تاريخية نموذجا للمثقف الإدماجي، فإنه بكل تأكيد قد ترك بصماته في تاريخ الجزائر.

أن فرحات عباس قد أسس لفكر سياسي جزائري ،وجسد تيارا عاما أثــر في الحركــة الوطنية ،ومن المهم فتح صفحات هذا التيار ودراسته للوصول إلى حقيقته وخصوصياته.

محاولة الإطلاع على مراحل تطور الفكر السياسي لفرحات عباس ومساهمته في بلــورة إيديولوجية التيار الليبرالي ورؤيته لمسألة الوطنية كفكرة تنطلق من بحثه عن الذات الجزائريــة المغيبة، ومحاولة إثبات موقعها في ظل النظام الاستعماري، وتطورها من فكرة الإدماج مــع فرنسا إلى التعايش معها وصولا إلى الانفصال عنها.

دراسة الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بشخصية فرحات عباس، وذلك قصد معرفة وتبيان أسس هذا التطور في سياقه التاريخي، خاصة أن تصوراته السياسية بشأن العديد من القضايا عكست تواصلا في مسيرة حركيته الفكرية.

3. إشكالية وفرضيات الدراسة:

تبلورت الإشكالية العامة لموضوع البحث حول تطور الفكر السياسي لفرحات عباس، من المطالبة بالإدماج والتمثل بالمستعمر وتنظيره لمشروع مجتمع ينطلق من مرجعيات ثقافية وسياسية وإجتماعية تعكس تكوينه الغربي وتأثره بالأفكار المثالية للثورة الفرنسية والمبادئ الجديدة التي طبعت أوروبا منذ القرن الثامن عشر، وتأثير الواقع الجزائري الناتج عن السياسة الاستعمارية في بلورة تصوراته السياسية والاجتماعية ،ثم تحوله التدريجي نحو الوطنية مازجا بين المبادئ الجمهورية لعصر الأنوار والهوية الجزائرية والإرث الوطني، فهل هذا التحول في مساره السياسي نتج عن إدراكه أخيرا لحقيقة الاستعمار الذي يستهدف القضاء النهائي علي الشخصية الجزائرية، وبالتالي اليأس من التعامل معه سلميا، أم هو اكتشاف مفاجئ لذاتيته ووطنيته؟أم هو مسايرة للواقع السياسي ولمنطق التاريخ

كما تطرح هذه الدراسة مجموعة من الفرضيات والإشكاليات تتمحور أساسا حول مدى صحة الأطروحات التي تعتبر فرحات عباس اندماجيا ومتغربا،أو تلك التي لا تنفي عنه وطنيته المتطورة وفق مسار تاريخي متناسق

-فما هي خصوصيات الفكر السياسي لفرحات عباس ضمن الحركة الوطنية ؟ وكيف تصور العلاقة بين الفكر الفرنسي الحر والواقع الجزائري الكولونيالي

- وإلى أي مدى يمكن اعتبار فكر فرحات عباس فكرا سياسيا ووطنيا قادرا على إحداث التغيير والتطوير ؟

- وكيف تطور المشروع السياسي لفرحات عباس وما هي العوامل المتحكمة فيه؟

4. منهج الدراسة:

لقد زاوج منهج الدراسة بين المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على عرض الأحداث، ومتابعة التحولات وعلى ربطها زمانيا ومكانيا وترتيبها حسب الأهمية والتأثير، أما المنهج الثاني فهو المنهج التحليلي النقدي وذلك بشرح وتحليل ونقد المفاهيم والدلالات التي تحملها النصوص المعتمدة، سواء من مصادرها الأساسية أم الدراسات التي كتبت عن فرحات عباس والحركة الوطنية والثورة الجزائرية بهدف الوصول إلى استنتاجات علمية وموضوعية حول موضوع الدراسة.

5. خطة الدراسة:

قسم موضوع البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: تضمن ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: بيئة فرحات عباس، وتناولت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سادت الجزائر مع مطلع القرن العشرين، وتأثير هذه الأوضاع على الجزائريين المسلمين باعتبار هذه البيئة هي الإطار الذي تشكلت من خلاله المطالب الجزائرية، وتبلورت فيه الأفكار السياسية والاجتماعية لفرحات عباس، الذي هو نتاج هذه الأوضاع، ومن خلالها تبلورت طروحاته وفق تصور متكامل.

المبحث الثاني: التنشئة والآثار، وتناول تعريفا بشخصية فرحات عباس، مولده ونشأته، وأبرز المحطات التي انغرست في ذهنه بداية من طفولته، مرورا بتكوينه وتحصيله العلمي والمعرفي بين سنتي 1909 و 1921 والذي ساهم في إثراء ثقافته، فلم يكن فرحات رجل سياسة فقط بل مثقفا متمكنا نهل من مختلف العلوم، وخلف إنتاجا فكريا شمل تصوراته لمختلف القضايا التاريخية والسياسية لمراحله النضالية.

المبحث الثالث: تكوينه، وتضمن العوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته وخاصة الرصيد الثقافي الناجم عن تشبعه بالفكر الليبرالي الذي تلقاه من أساتذته أو من إطلاعه على فلسفة الأنوار وقيم الجمهورية، وهي كلها عوامل رسّخت لديه الاعتقاد كون فرنسا هي الأنموذج الذي ينبغي أن يحتذى به، وأثّر هذا التكوين الثقافي على توجيه فكره السياسي وتبني

خيارات سياسية وفكرية بداية بالاندماج والمساواة، ثم إلى المطالبـة بالجمهوريـة المتحـدة فيدراليا مع فرنسا.

الفصل الثاني: وتضمن ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: الاتجاه الإدماجي الجذور والتطور، انطلاقا من أن فرحات عباس كان مـن دعاة الإدماج كمرحلة أولى في تطوره السياسي، فكان لا بد من محاولة معرفة كيفية تشكيل هذا الاتجاه منذ مطلع القرن العشرين وتحديد المرجعيات الاجتماعية والإيديولوجية له، مـع استعراض أهم أفكاره ومحاولة تقييم مدى نجاح هذه الأفكار في ضـوء مطالـب الحركـة الوطنية.

المبحث الثاني: الطرح الإدماجي عند فرحات عباس، وتناولت فيه أهم أفكار فرحات عباس الإدماجية، ومواقفه من أهم القضايا وخاصة الدين وقضية التجنيس باعتبارهما جوهر الصراع مع الإدارة الاستعمارية، وأهم النقاط المحددة للهوية الجزائرية في هذه المرحلة والتي تمحورت أساسا حول مطالبته للحصول على حقوق المواطنة للأهالي المسلمين تلتها دعوته لإيجاد كيان جزائري مسلم متعاون مع فرنسا.

المبحث الثالث: علاقة فرحات عباس بالحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية، وتناولت فيه على الخصوص علاقة فرحات عباس بجمعية العلماء، وبدعاة الاستقلال، محاولا إبراز عوامل التقارب، والتنافر بينهما. وكيف كان قريبا من العلماء في الدفاع عن الشخصـية الوطنيـة وبعيدا عنهم في مطالبه السياسية، واختلافه من حيث المبدأ والهدف مع دعـاة الاسـتقلال وهذه العلاقة تكشف في النهاية الصراع القائم حول مشروع المجتمع الجزائري.

الفصل الثالث: الدور الوطني لفرحات عباس خلال الحرب العالمية الثانيـة (1939-1945) وقسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: النشاط السياسي لفرحات عباس في بداية الحرب، وتناولت فيه موقفه مـن الحرب العالمية الثانية وتطوعه إلى جانب فرنسا، ثم عودته من الحـرب وتكثيفـه لجهـوده بإرسال العرائض مثل تقريره إلى المارشال بيتان في 1941 ورسـالته إلى الحلفـاء والإدارة الفرنسية أواخر سنة 1942.

المبحث الثاني: فرحات عباس والبيان الجزائري 1943، تناول أوضاع الجزائر بعد نزول الحلفاء، ثم تنسيقه مع بعض الشخصيات السياسية للحركة الوطنية لإخراج البيان الجزائري مع دراسة مطالبه والتعرف على العوامل التي أدت إلى التغيير الهام في الفكر السياسي لفرحات عباس.

المبحث الثالث: فرحات عباس وحركة أحباب البيان والحرية 1944-1945، تتبعت فيه تبلور البيان الجزائري في برنامج حركة أحباب البيان والحرية، ودور فرحات عباس في الحركة الجديدة.

المبحث الرابع: فرحات عباس وحوادث 08 ماي 1945، حاولت فيه تتبع أسباب هذه الحوادث ونتائجها، ودور فرحات عباس فيها وتأثيرها على مسيرته ومواقفه فيما بعد.

الفصل الرابع: التطور السياسي لفرحات عباس 1946-1956 وقسمته إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تأسيسه للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946، وتناولت فيه تحول فرحات عباس نحو فكرة الفدرالية في إطار الاتحاد الفرنسي التي جسّدها في برنامج حزب سياسي متتبعا مبادئ وأهداف هذا الحزب.

المبحث الثاني: النشاط السياسي لفرحات عباس 1947-1954، وتضمن على الخصوص موقف فرحات عباس من دستور 1947 الذي جاء مخيبا لآماله، ثم نضاله في إطار الشرعية الاستعمارية من خلال مشاركاته الانتخابية التي كانت مخيبة بسبب سياسة التزوير المنظم مرورا بتجربة الوحدة القصيرة مع بقية تيارات الحركة الوطنية، في إطار "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها 1951".

المبحث الثالث: فرحات عباس والثورة التحريرية، يتناول اندلاع الثورة التحريرية وموقف فرحات عباس، وتطور هذا الموقف تدريجيا وكيفية التحاقه بالثورة وأهمية ذلك بالنسبة لفرحات عباس والثورة، وتجنبت التعرض إلى نشاطه في الثورة على اعتبار أنه كان يتم في إطار المهام التي كلفته بها الثورة وجبهة التحرير الوطني.

6. مصادر ومراجع البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع تتمثل في بعض المنشـورات والوثائق الأرشيفية والتي تغطي علي الخصوص فترة الحرب العالمية الثانية ،وبالتحديد الوثائق المحجوزة بعد مجازر الثامن ماى،والمتعلقة بالبيـان الجزائـري وحركـة أحبـاب البيـان والحرية،إضافة إلى بعض التقارير الصادرة عن مختلف المصالح الفرنسية،والتي جمعهـا Jean-Charles Jauffert في كتابه:LaGuerre d'Algérie par les documents.

أما المصادر الأساسية فهي كتابات فرحات عباس سواء مقالاته في الجرائـد المختلفـة وخاصة جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي وجريدة الجمهورية، أو الكتب التي أصدرها بعد الإستقلال كليل الاستعمار وتشريح حرب،إضافة إلى بعض المصـادر والدراسـات الـتي عاصرت فرحات عباس عبر مختلف المراحل،إلي جانب الدراسات الحديثـة الوطنيـة منـها والأجنبية،من كتب ومقالات في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية، والمصادر والمراجع المعتمد عليها هي:

أ) كتابات فرحات عباس وتشمل العرائض، التقارير، الرسائل، المقالات الصحفية خـلال الفترة المدروسة، نذكر منها:

مقالات الشاب الجزائري بين 1922 و1927 والتي جمعها فرحات عباس فيما بعد في كتابـه "الشاب الجزائري – le jeune Algérien" ، وهي ضرورية لمعرفة طروحاته في المرحلة الأولى من نضاله.

- مقالاته في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي "L'entente Franco Musulmane" التي تعبر عـن تصوراته للقضية الوطنية في هذه المرحلة،والعلاقة مع الاستعمار وخاصة مقاله على هامش الوطنية "فرنسا هي أنا" والتي تمثل محطة أساسية في نضاله السياسي.

تقريره إلى المارشال بيتان 1941 بعنوان "جزائر الغد" L'Algérie du demain

البيان الجزائري Le manifeste du peuple algérien في 1943 وملحقه، والذي يعتبر نقطة تحـول هامة في الفكر السياسي لفرحات عباس.

- الوصية السياسية Mon Testament Politique التي نشرها أجيرون وهي عبارة عن مرافعــة سياسية واقتصادية، واجتماعية لفرحات عباس، تبين عمق تفكيره.

خلاصة التقارير والبرامج والنصوص للحركات السياسية التي نشطها فرحات عباس كبرنامج حزب الاتحاد الشعبي، وحركة أحباب البيان والحرية، وتقارير مؤتمرات الاتحاد الــديمقراطي للبيان الجزائري: 1948 و 1949 و 1951.

الكتابات الأكاديمية وأهمها: ليل الاستعمار La nuit Coloniale 1962 وهو عبارة عن مذكرات وإعادة قراء لتاريخ الجزائر، وأهم مراحل نضاله السياسي خلال مرحلة الاحتلال و الثــورة التحريرية.

كتاب "تشريح حرب Autopsie d'une guerre نشره سنة 1980 والذي تعرض فيه إلى أهــم الأحداث التي مرت با الثورة الجزائرية.

ب) الكتابات التي لها علاقة بالموضوع مثل:

- كتاب الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة الجزء الثاني، والثالث لمؤلفه أبو القاسم سعد الله وقد استفدت منه في دراسة بداية تشكل الحركة السياسية واهم اتجاهات الحركة الوطنية كالنخبة والمؤتمر الإسلامي وأحداث 08 ماي 1945.
- كتاب "الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة" لأحمــد مهساس، والذي يتعرض إلى الحركة الوطنية وتطورها حتى اندلاع الثــورة التحريريــة والعلاقة داخل الحركة الوطنية.
- كتاب "إفريقيا الشمالية تسير"، لشارل أندري جوليان، الذي يتناول مختلف التطــورات السياسية للجزائر حتى 1953.
- كتاب "الجزائريون المسلمون وفرنسا"(1871-1919) Les Algériens musulmans et la France لشارل روبير اجيرون، والذي يتناول السياسة الفرنسية خلال هذه الفترة وانعكاســاتا السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية.

- كتاب "فرحات عباس جزائر أخرى" Ferhat Abbas une autre Algérie 1995 لمؤلفه بنيـامين سطورا وزكية داود، والذي تناول شخصية فرحات عباس من جميع جوانبـها، وعلـى مختلف المراحل.
- كتاب "فرحات عباس وطـرق السـيادة - Ferhat Abbas au les chemins de la souveraineté" 1961 لعمار نارون ويتناول المسار السياسي لفرحات عباس حتى رئاسـته للحكومـة المؤقتة.
- كتاب "فرحات عباس رجل الجمهورية"، لحميد عبد القادر، والذي يتناول مختلف مراحل نضال فرحات عباس.
- مقال شارل روبير أجيرون في المجلة التاريخية المغربية العدد الرابع 1975 بعنوان "فرحـات عباس، والتطور السياسي للجزائر المسلمة خلال الحرب العالمية الثانيـة" Ferhat Abbas et l'évolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxième guerre mondiale
- والذي تناول التطور السياسي لفرحات عباس خلال الحرب العالمية الثانية وابتعاده عـن المطالب الإدماجية .
- الدراسات الأكاديمية السابقة وعلي الخصـوص رسـالة الماجسـتير للأسـتاذ معـزة عزالدين"فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاسـتقلال(1899-1985) الـتي أفادتنا من حيث المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع،أو من حيث عناصـر الدراسـة خاصة الفصل الأول،.ورسالة دويدة نفيسة بعنوان تطور فكرة الوطنية عنـد فرحـات عباس1927- 1955 التي استفدت منها سواءا من حيث الأفكار وعناصر البحث ،وقائمة المراجع خاصة الفصل الثالث والرابع،كما استفدنا في الفصل الثـاني فرحـات عبـاس والإدماج من أطروحة الدكتوراه للدكتور العمري الطاهر"النخبة الجزائريـة ومشـروع التمع1900-1940"،بالإضافة إلى مذكرة فرحات عباس وحركة المطالب الجزائرية- Ferhat Abbas et le mouvement revendicatif Algérien لصاحبها Luc De la Barre والتي تتنـاول بعـض مراحل النضال لفرحات عباس.

أما Ęǵϔţl فاحتوت علي مجموعة من الوثائق ،والتقارير ،والمقالات ،التي تشرح وتدعم الدراسة ،منها خاصة بعض مقالات فرحات عباس التي كتبها في فترات مختلفة والتي تعبر عن

مواقفه من قضايا عديدة ،إضـافة إلى بعـض التقـارير الرسميـة الصـادرة عـن الإدارة العسكرية،خاصة المتعلقة بحوادث الثامن ماي،والوثائق الرسمية لحركة أحباب البيان والحرية.

7.صعوباǧ البحث:

بخصوص المصاعب التي لا يكاد يخلو منها أي بحث :

صعوبة الحصول على مصادر البحث وخاصة الوثائق التي هي أهم مصـدر لكتابـة بحـث أكاديمي، سواء تعلق الأمر بالأرشيف الخاص بالسلطات الفرنسية ، الذي يرصـد نشـاط أحزاب الحركة الوطنية، أم أرشيف جبهة التحرير الوطني خلال الثورة، مما يجعـل معظـم مصادر البحث كتبا ودراسات وهذا يترك الكثير من الفجوات.

يضاف إلى ذلك صعوبة الحصول وجمع المقالات والكتابات العديدة لفرحات عباس في مختلف الجرائد لأنا في الغالب محفوظة في شكل ميكروفيلم، فلا يمكـن استنسـاخها أو الإطلاع عليها لأسباب بيروقراطية.

أما الصعوبة الأخرى فهي إن معظم ما كتب حول الموضوع باللغة الفرنسية بما فيها كتابات فرحات عباس، وكان ذلك يحتاج إلى جهد إضافي ووقت أطول.

كما أن الموضوع في حد ذاته يجمع مراحل وأحداث تاريخية في إطار زماني طويـل نوعا ما تتداخل فيه الكثير من الأحداث كان من الصعب تجاوزها والتحكم فيها خاصة وأنه يجمع بين التاريخ والسياسة والفكر معا.

يبقى أن هذه الدراسة هي محاولة لكشف تطور الفكر السياسي لفرحـات عبـاس بإيجابياته وسلبياته، ومن خلاله جوانب من تاريخ الجزائر الحديث، والمعاصر التي تحتاج إلى المزيد من الإثراء مستقبلا.

يعالج هذا الفصل الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي للجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،باعتباره الإطار والبيئة التي تمت داخلها جميع التحولات التي تأثرت بها النخب الجزائرية ومنها فرحات عباس ،فمن هذا الواقع استلهم تجاربه الثقافية والسياسية التي شكلت الأرضية الأيديولوجية والفكرية ،التي تبلورت في شكل حركة مطلبيه ليس لفرحات عباس فقط بل لجميع تيارات الحركة الوطنية.

كما نتناول في هذا الفصل حياة فرحات عباس من حيث النشأة،ووسطه الاجتماعي،ومساره الدراسي لأن ذلك كان له تأثير في تكوين شخصيته وبلورة أفكاره،وتحديد توجهه الثقافي والسياسي،فهذا الشاب المتجذر في الريف الجيجلي لم يكن ارتقاء عائلته ضمن الإقطاعية الجديدة ليلهيه عن انتماءه الفلاحي،ولذلك نجد محاربة الظلم الاجتماعي ،والمطالبة بالمساواة ،وترقية الفلاحين قد شكلت جزء كبيرا من أفكاره ،كما نتعرض إلى تكوينه الثقافي والسياسي انطلاقا من مختلف التأثيرات والمرجعيات الفكرية والسياسية التي حددت توجهه الإيديولوجي.

المبحث الأول: بيئة فرحات عباس.

1. البيئة السياسية :

اختلفت أشكال الإدارة الاستعمارية في الجزائر إبان الإحتلال الفرنسي، إلا أن أهدافها ظلت واحدة تتمثل بصورة خاصة في إحكام السلطة والسيطرة على الجزائريين، حتى تتمكن من إخضاعهم وتحقيق استسلامهم لأجل تمكين المعمرين من الإستنزاف خيرات الجزائر واستغلال أهاليها، ومن ثمة تقضي على انتفاضتهم بواسطة مختلف القوانين، والإجراءات الاستثنائية ذات الطابع التعسفي.

كما سعت فرنسا جاهدة للقضاء على الهياكل السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي كانت سائدة قبل الاحتلال بالجزائر، حتى لا تبقي على شيء يكون سبيلا ودعامة لنهضة هذه الأمة.

تأثر فرحات عباس بالبيئة الجزائرية الجديدة التي تغيرت ملامحها منذ 1830، نتيجة سياسة الاحتلال والقوانين الإستثنائية التي فرضتها على الجزائريين، ومنعهم من ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية، فقد تميز النظام السياسي باحتكار الأقلية الأوروبية للسلطة وإبعاد المسلمين الجزائريين عن الحكم، ورافق ذلك قمع للحريات السياسية والثقافية للأهالي، فمن سنة 1830 إلى 1870

طبقت فرنسا في الجزائر نظامها العسكري على مختلف مناطق البلاد وكانت السلطة التشريعية في هذه الفترة بيد الملك[1] الذي يتمتع وحده بحق التشريع، أما الولاية العامة فكانت هي الأخرى عسكرية المنهج، ومرتبطة بطريقة مباشرة بوزارة الحربية الفرنسية، تبوأ فيها العسكريون الوظائف السامية.

واعتمد الفرنسيون في حكمهم الجزائر خلال هذه الفترة على المكاتب العربية، حيث استمال المحتلون بعض رؤساء الأسر الجزائرية وأغروهم بعدة ألقاب منها " شيخ العرب والباشاغا " ويرأس كل مكتب ضابط فرنسي، وكانت زيارة الإمبراطور نابليون الثالث[2] سنة 1865 لأهم المدن الجزائرية ما بين 3 ماي إلى 7 جوان محطة هامة، عقبها تشريعه المعروف بسناتوس-كونسلت[3] في 14 جويلية 1865 الذي عرف عدة تعديلات، وانطلاقا من سنة 1871 انتقل نظام الحكم في الجزائر إلى المرحلة المدنية، وأصبحت السلطة التشريعية في الجزائر بمقتضى دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة تستند إلى قرارات البرلمانيين، وقسمت الجزائر داخليا إلى ثلاث ولايات في الشمال ومنطقة عسكرية في الجنوب.لكن هل تغيرت السياسة الفرنسية بمجرد تغير نظام الحكم؟

كان الهدف الأساسي لفرنسا هو جعل هذه الأمة مقاطعة فرنسية بحتة، وتحقيق الإدماج الذي لازمها سنوات طويلة، وما تجربة النظام المدني إلا وجه آخر من وجوه الإلحاق بمعناه الواسع

---

[1] أبو القاسم، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930** ،ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ج2،ص.17

[2] نابليون الثالث 1808-1873 رئيس الجمهورية الثانية مابين 1848 -1852 ثم إمبراطورا مابين 1852-1870 تحت اسم نابليون الثالث ثالث أبناء دورتونس بوهاني ولويس بونابرت ملك هولندا، أول من اعترف بحق الإضراب للعمال سنة 1864 صاحب سياسة المملكة العربية بالجزائر، التي لخصها في رسالته إلى الحاكم العامPélissier "الجزائر ليست مستعمرة بل مملكة عربية،يتمتع فيها الأهالي بحمايتي مثل الكولون،فأنا كذلك إمبراطور العرب إضافة إلى الفرنسيين"أ أنظر:

Patrick,weil,**Le statut des musulmans en Algérie colonial une nationalité française dénaturée**,département of history and civilization,européen university institut,italy,2000,site: **www.iue.it/pub/he03-03pdh**

[3] ينص هذا التشريع على أن الجزائريين رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشرع الإسلامي، فإذا طلب أحدهم الجنسية الفرنسية فإنه يحصل عليها، ولكن في هذه الحالة يصبح خاضعا للقانون الفرنسي، وهكذا فإن الجزائريين قد أصبحوا فرنسيين من ناحية ورعايا فرنسيين من ناحية أخرى. أنظر:

Charles, André,Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine1830-1970**, presses universitaires de France, 1964, paris, p.433

ففي هذه المرحلة عرفت الجزائر مرحلة التطبيق الفعلي لإجراءات الاضطهاد كان أخطرها قانون الأهالي[1].

وقد شهدت بداية القرن العشرين تحولات هامة في الإدارة العامة الاستعمارية بعد التوسيع في صلاحيات الحاكم العام، واستحداث نوع من البرلمان الخاص أطلق عليه إسم مجلس النيابات المالية، كاستمرار لسياسة الدمج التي لم تكن تعني سوى فرنسة الأرض لخدمة الكولون والأفراد بالجزائر وحكمها حكما مباشرا[2]، ورسخ قانون 19 ديسمبر1900 ذلك عندما أعطى للجزائر الحكم الذاتي وخاصة الاستقلال المالي.

ويرى سعد الله[3] أن قانون 1900 هو انتصار للجزائر الفرنسية، فبالإضافة إلى السلطات المتعددة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التي منحها هذا القانون للكولون منحهم أيضا السلطة الكاملة على الأهالي، وقد كان لهذا الوضع تأثيره على المجتمع الجزائري ويصف محمد حربي الجزائر مع نهاية القرن التاسع: " أنها دخلت تحت سلطة المعمرين في مشروع تحديث قهري، ولم يكن ذلك قد تم في إطار تطور طبيعي للمجتمع الجزائري"[4].

إن سياسة الدمج قد أدت إلى تململ الجزائريين تململا ينم عن سخط شديد باستخدام أساليب جديدة، تمثلت في المطالبة بحقوقهم السياسية، والمدنية عن طريق المطالب السياسية بتقديم العرائض، كتلك التي قدمت إلى جول فيري[5] عام 1892 أثناء زيارته للجزائر، بصفته رئيسا للجنة مجلس الشيوخ التي مكثت في الجزائر لمدة شهرين وذلك للتعرف على أوضاع الجزائريين[6]، وقد

---

[1] عبارة عن مجموعة من القوانين الاستثنائية التي فرضت على الجزائريين منذ عام 1874، وبدأ تطبيقه بمقتضى قانون 20 جويلية 1881 واستمرت الإدارة في تجديده كلما انتهت مدته، تضمن في عام 1897، 27 مخالفة، منح للمسؤولين المدنيين حق إصدار العقوبات القاسية على الأهالي دون محاكمة قضائية،أنظر: Patrick,Weil,op,cit

أنظر أيضا : أحمد، الخطيب.**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.ص 23

[2] المرجع نفسه، ص.31

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص. 90

[4] Guy, Pervillé, **les étudiants algériens de l'université française 1880 -1962**,édition casbah, Alger , 1997.p2.

[5] Jules Ferry 1832-1893من الشخصيات البارزة في الجمهورية الثالثة،عرف بمبادئه الجمهورية،وبإصلاحاته خاصة في مجال التربية،كمجانية وإجبارية التعليم.أنظر: **Encarta,**2006

[6] عمار، بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 202.

تضمنت هذه العريضة تعديل نظام الضرائب، وإصلاح التمثيل النيابي وإعادة العمل بالقضاءء الإسلامي، ولم يقتصر هذا السخط على العرائض فقط، بل أخذ شكل انتفاضات عنيفة، كانتفاضة عين تركي 1901 وانتفاضة عين بسام 1906.

ومطلع القرن العشرين حقق المستوطنون حلمهم الذي طالما ناضلوا من أجله، وهو إقامة حكم ذاتي شامل في الشؤون المالية والمدنية للجزائر، وبناء على قانون السناتوس كونسلت لسنة 1865 فإن الجزائريين كانوا في وضع قانوني غير محدد، إذ لم يكونوا في ظل النظام الجديد لا مواطنين فرنسيين ولا جزائريين وطنيين، فهم في نظر القانون الفرنسي رعايا وفي نظر المعمرين عبيدا أو سلالة مقهورة.[1]

رغم هذه الوضعية لم يكن الجزائريون في مطلع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية، فقد تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق والفكر السياسي الغربي، وبالتنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية[2].

كما ظل الرأي العام الجزائري رغم كل الحواجز التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لعزله يتتبع أحداث العالم الإسلامي وتطور حركة النهضة به، وكان التواصل يتم بواسطة عدة قنوات منها السياح القادمون إلى الجزائر، وكذا رحلات الحج السنوية وقوافل التجارة إضافة إلى الصحف والمجلات المشرقية، والطلاب الذين تخرجوا من كليات سوريا ومصر، أو الذين تعرفوا في الحي اللاتيني بباريس علي زملائهم من الشرق الأدنى.[3]

يذكر محمد علي دبوز " أن نهضة مصر وصدى زعمائها مثل الأفغاني، ومحمد عبده ورشيد رضا كان لها أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين، وأهل المغرب عموما، إذ اعتبر هؤلاء نهضة مصر نهضة الإسلام كله وجهادا للعدو المشترك، وبأنهم كانوا يقرؤون في نشوة وحماس جرائد مصر ومجلاتها، ووجدوا فيها تعبيرا عن رغباتهم وأحاسيسهم وآلامهم وآمالهم "[4].

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ص. 27.

[2] المرجع نفسه، ص.100.

[3] شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة، المنجي سليم وآخرون،الدار التونسية للنشر، تونس ،1976، ص. 32 .

[4] محمد علي، دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة** ،ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ج2، ص ص. 27-28.

إن الحركة الثقافية التي عرفتها الجزائر مع بداية القرن العشرين، قد وجدت مادتا في أفكار جمال الدين الأفغاني، الذي دعا إلى نهضة البلدان الإسلامية، كما كانت زيارة محمد عبده في صيف 1903[1] من بين العوامل التي نشطت الفضاء الثقافي في الجزائر وحفزت مجهودات الإصلاح كما كان لدعاية الجامعة الإسلامية دور في إيقاظ الوعي الوطني وخاصة في توجيه أفكار النخبة الجزائرية في اتجاهات محددة، هذا الوعي كما يقول قداش[2]:" نجده في تمسك الجزائريين بالإسلام تمسكا دينيا له بعد سياسي، ونجده أيضا في ميلهم إلى الجامعة الإسلامية والقومية العربية، وهي إيديولوجيات كان الجزائريون يعبرون بواسطتها عن طموحاتم ".

أما عن آثار هذه الدعاية في هذه المرحلة على وعي النخبة الجزائرية بأصنافها فيلخصها سعد الله[3] في كونها منحت الجزائريين جبهة يتخندقون فيها ضد الاستعمار، كما أنها غذت الجزائـريين بأفكار وتصورات جديدة للصراع بواسطة الكتب والصحافة التي كانت تصل الجزائر، وعملـت أيضا على التعريف بالقضية الجزائرية بمهاجمتها الاستعمار الفرنسي، وتحريض الجزائريين على رفض التجنيس وعلى الهجرة باتجاه المشرق الإسلامي.

إن سياسة الاستعمار، والصراعات الدولية إضافة إلى دعاية الجامعة الإسلامية جعل الجزائر في بداية القرن العشرين تعرف صراعا إن صح التعبير بين مشروعين، فإذا كانت الدعاية الإسلامية تدعو إلى التفاف الجزائريين حول انتمائهم العربي الإسلامي، فإن مشروع الإدماج الفرنسي يهدف إلى اعتبار الجزائر إقليما فرنسيا.

هذا التفاعل نتج عنه يقظة سياسية ينسبها الفرنسيون إلى خريجي مدارسهم اللائكية مما يعطي الانطباع أن الاحتلال هو الذي خلق الوطنية الجزائرية،بينما ينفي سعد الله ذلك ويرى" أن الاحتلال لم يخلق الوطنية، فالجزائريون ليسوا بحاجة إلى وجود أجنبي فوق أرضهم ليعلمهم معناها، فهي موجودة في نفوسهم وفي خلفيتهم التاريخية، على العكس تسببت الثقافة الفرنسية في

---

[1] التقى محمد عبده بمختلف أطياف النخبة الجزائرية، منهم المحافظون كعبد الحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي وبعض المتجنسين كابن التهامي والمحامي محمد بوضربة، ومن النصائح التي قدمها محمد عبده ترك الاشتغال بالسياسة،أنظر:

الطاهر ،العمري، **النÁبة الوطنية الجزائرية ومشروţ اÕتمـ3 1900-1940**، أطروحـة دكتوراه،كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة،2003-2004،ص.128.

[2] Mahfoud, Kaddache,**Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1954**;ENAL,Alger,T1,p. 19.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص.124.

اضطهادها"[1].

إن الحركة الثقافية التي عرفتها الجزائر مع بداية القرن العشرين أدت إلى تبلور نخبتين جزائريتين ذاتا مرجعيات إجتماعية وفكرية مختلفة هما:

أ.المحافظون:

يتكونون في الغالب من أعيان الحضر، ورجال الدين والمحاربين القدامى وبعض الإقطاعيين والمرابطين، يستمدون ثقافتهم من الإسلام، لم يكن هؤلاء مندمجين في تنظيم واضح ولكن نشاطاتم وأفكارهم كانت واضحة[2]، كانوا يطالبون بالمحافظة على الشخصية الإسلامية والمساواة في التمثيل النيابي، ومعارضة التجنيس، وإلغاء قانون الأهالي، واحترام التقاليد الجزائرية، وبحرية الهجرة نحو المشرق.[3]

كان أنشط عناصرها يتركزون في المدن القديمة كقسنطينة، تلمسان والجزائر العاصمة وفي سنة 1895 قدموا عريضة شديدة اللهجة إلى البرلمانيين الفرنسيين، والتي وقعتها 1700 شخصية من قسنطينة مما جاء فيها " إن أعز رغبة عندنا نفضلها على جميع مطالبنا هي المحافظة على الشريعة الإسلامية ".[4] ويضيف آخرون بالقول:" هذه الفئة محافظة على الأصول ومرتبطة بالتقاليد وترفض كل تجديد"[5] وهو طرح يشير إلى محاولة فرنسا استحداث إسلام جزائري تتلاقى فيه مصالحها مع الطرقية ومقطوع الصلة بالعالم العربي والإسلامي وستراهن فرنسا كثيرا على ذلك في صراعها مع جمعية العلماء المسلمين فيما بعد.

ولذلك كان هؤلاء المحافظون يحاربون كل المشاريع التي تدف إلى ذوبان المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، فحرموا مثلا على المسلمين المشاركة في الجيش الفرنسي أو التطوع فيه وحرموا كذلك التجنيس، والدعاية لرفض المشاريع الفرنسية كقانون فصل الدين عن الدولة الذي صدر في 1905 ولم يتم تطبيقه في الجزائر إلا سنة 1907 لصالح الكنيسة والذي نتج عنه إحباط ويأس في

---

[1] المرجع نفسه، ص.101.

[2] الخطيب، المرجع السابق، ص.36.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص.160.

[4] Charle,Robert, Ageron, **les Algériens musulmans et la France-18871-1919,** presses universitaires de France,Paris, 1968, p.1025.

[5] Ibid, p.1026.

أوساط العائلات المحافظة، وبدأ الحديث عندها عن الهجرة إلى بلاد الشام لممارسة شعائرهم الدينية[1].

وقد أدى قيام فرنسا بالحرب على المغرب، ثم فرض قانون التجنيد الإجباري الذي أقره قرار3 فيفري 1912 إلى ازدياد الشعور بالخطر لدى الجزائريين خاصة لدى المحافظين خوفا من إشراكهم في حرب ضد إخوانهم المسلمين، فشجعوا الهجرة إلى الخارج بدل المشاركة في الجيش الفرنسي، انطلاقا من فكرة أنه على المسلم أن يغادر المناطق المحتلة للالتحاق بديار الإسلام عوض الخضوع لقانون الكفار سيما إذا كان يعارض الشريعة.[2]

قد حاولت هذه الفئة أن تدافع عن الجزائريين فاستعملت اللوائح والعرائض وقدمتها إلى المسؤولين الفرنسيين، ففي سنة 1903 قدمت عريضة إلى رئيس الجمهورية "لوبير" طالبت فيها بتوفير الوسائل الناجعة للأهالي للمحافظة على ممتلكاتهم، ووضع حد لنزع الملكية من المسلمين، وإلغاء القوانين الجائرة[3]، إضافة إلى دورها في محاربة الجهل والخرافات وقد حاربت فرنسا هذه الفئة على أساس أنها مصدر الوطنية، وتحت تأثيرات المشرق عكس الفئة المثقفة ثقافة فرنسية.

وقد لعبت هذه الفئة بعد الحرب العالمية الأولى دورا كبيرا في المحافظة علي الهوية الوطنية ويرى حربي:" أن أنصار الأصالة الجزائرية بالرغم من طرحهم طرحا سيئا لمسألة طبيعة المجتمع الجزائري وطرق تقدمه، أفادوا كثيرا من تطابق خطابهم مع أحاسيس الشعب ومشاعره الشيء الذي أكسبهم فعالية ونجاعة لم تكن لخصومهم"[4].

ب.جماعة النخبة:

إلى جانب فئة المحافظين كانت هناك في مطلع القرن العشرين فئة أخرى لها برنامجها ونظريتها السياسية الخاصة بها[5] يصفهم أحد أعضائها وهو "الشريف بن حبيلس[6]" : "ثريات الشبان

---

[1] Ageron, les Algériens musulmans et la France,op,cit,p.1026

[2] الجيلالي، صاري، محفوظ، قداش، **المقاومة السياسية 1900-1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**،، المؤسسة الوطنية_للكتاب، الجزائر_ 1987، ص.50.

[3]Ageron,.op.cit.p1028.

[4] محمد، حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، موفم للنشر،، الجزائر، 1994،ص.107

[5] سيتم تناول هذه الفئة بنوع من التفصيل في المبحث الأول من الفصل الثاني

[6] سعد الله، المرجع السابق، ص. 167

الجزائريين المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين" ويصفهم فرحات عباس بقوله:" هؤلاء الشبان الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، فعلمهم لم يزدهم إلا تكبرا، فهم ليسوا أطفالا لعائلاتم، ولكنهم أبناء الشعب الجزائري، جعلوا علمهم في خدمته"[1].

هذه الفئة الجديدة هي نتاج المدرسة الفرنسية، التي أسهمت في نشر الأفكار الليبرالية ولذلك نجدهم يختلفون اختلافا كبيرا عن المجتمع الجزائري، وقد استعملت خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين مصطلح المساواة مع الأوروبيين في جميع الحقوق والواجبات، والاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية، وكان هذا الاهتمام في حد ذاته بداية للمطالب الجزائرية وإن كانت محتشمة لا تخرج عن نطاق سياسة الإدماج الرسمية التي ظلت حبرا على ورق، لكنها محاولة للإفلات من ديكتاتورية المستوطنين.[2]

تأثر هؤلاء بالفكر الليبرالي المستمد من مبادئ الثورة الفرنسية التي درسوها في المدارس الفرنسية، وبالديمقراطية الأوروبية المثالية،[3] لذلك استلهموا منها وسائل النضال السلمية مثل الصحافة والعرائض، ففي سنة 1912 اغتنموا قيام الحكومة الفرنسية بإصدار قانون التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين لإخراج أفكارهم، فقاموا باسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين التي أنشئت حوالي سنة 1908 بتحرير عريضة حددوا فيها مطالبهم وأهدافهم قدموها في 26 جوان 1912 إلى" بوانكاريه" رئيس الجمهورية الفرنسية مطالبين بإنهاء الإجراءات الاضطهادية والقوانين الاستثنائية وإلغاء الضرائب مع توزيع عادل ونشر التعليم، وسياسيا طالبوا بالتمثيل الكافي في المجالس الجزائرية والبرلمان الفرنسي.[4]

وحسب سعد الله فان برنامجهم لم يكن متطرفا في النظرة ولا صعبا في الطبيعة،فكل ما فعلته جماعة النخبة هو أنهم طالبوا من فرنسا أن تضع موضع التنفيذ ما كانت كتبته على الورق

---

[1] Amar,Naron, **Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté,**édition,donoel, France,1961.p40

[2] Ahmed, Mahsas, ,**le mouvement révolutionnaire en Algérie de 1er guerre mondiale à 1954,** Hurmattan,paris, 1979, p.36.

[3] Luc de la barre,de Nanteuil,**Ferhat Abbas et le mouvement revendicatif algérien** ,école nationale d'administration ,Alger,1948,p.6

[4] أبو القاسم، سعد الله، المرجع السابق، ص. 184.

بخصوص الجزائر، بشرط واحد هو ألا تطلب منهم التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين ويصنف معظمها إلى الطبقة البرجوازية المتوسطة التي تلقت ثقافتها في المدارس الفرنسية، ونمت في أحضان الحضارة الغربية فتأثرت بتصوراتا ومبادئها[1].

بينما يصنفها قداش ضمن طبقة اجتماعية متوسطة أخذت تشق طريقها في الميادين الشعبية، كما يشير إلى أن الحديث عن هذه الفئة لا يتعلق بحزب سياسي، ولكن بمبادرات فردية معزولة لجماعة من المثقفين تمتاز بقدر من الثقافة السياسية، تحول لها الحق في مناقشة مسألة التجنيس وتمثيل المسلمين في المجالس النيابية داخل الجزائر وفرنسا.[2]

يعتقد البعض أن هذه الفئة كانت من أوائل ضحايا الاستلاب الثقافي الاستعماري، لأن أصحابا لم يعودوا جزائريين أصلا، كما أنم لم يصبحوا فرنسيين كاملي الحقوق، فقد ظلوا عاجزين عن التوفيق بين نقيضين الاستعمار والشعب الجزائري، ولو كانوا هم أنفسهم ثمرة هذا التناقض رغما عنهم.[3]

كانوا لا يختلفون في تكوينهم الثقافي عن مجتمعهم، ومعظمهم ينتمون إلى الطبقة البرجوازية المتوسطة وغالبية آبائهم كانوا في خدمة الاحتلال،كما كانوا يعتقدون بأن مبادئ الثورة الفرنسية التي درسوها في المدارس الفرنسية يجب أن تطبق على أرض الجزائر، ولكن رغم ذلك فإنم جعلوا ثقافتهم في خدمة إخوانم والدفاع عنهم[4].

لم يكن النشاط الثقافي السياسي الذي ميز الجزائر مع مطلع القرن العشرين الصورة الوحيدة للجزائر، فعلى الرغم من فشل المقاومات الشعبية التي تخللت القرن التاسع عشر في تحقيق نتائج مؤثرة على الواقع الذي كانت تعيشه الجزائر، إلا أنا نجحت ولو بشكل ضئيل في تغيير ذهنيات واعتقادات المجتمع الجزائري، الذي أضحت لديه مناعة ضد الاستعمار وتعززت قناعته في محاربته ومن أهم المقاومات الشعبية التي ظهرت بمطلع القرن العشرين والتي تشكل هي الأخرى وجها من أوجه دفاع الجزائريين ضد الاستعمار ثورة عين تركي سنة 1901، التي كانت الصاعقة التي نبهت

---

[1] المرجع نفسه، ص ص. 162-163.

[2] Kaddache,op,cit,p.75.

[3] Mahsas, op,cit,p.37.

[4] Pervillé, op, cit, p.71.

الأوساط الفرنسية حول مستقبل الجزائر، وسياسة الإدماج والثمار التي حققتها في ضوء حالة الاستقرار التي تعيشها الجزائر، وضرورة تبني نظام خاص للجزائر يمنح الأهالي بعض الحقوق في الضرائب والعودة إلى العمل بالقضاء الإسلامي لإزالة أسباب السخط وكسب الأهالي، ومن جهة أخرى تسببت ثورة عين تركي في ظهور نظام خاص يعرف بالمحاكم الرادعة[1].

ثم كانت ثورة عين بسام سنة 1903 التي أظهرت دون شك حالة الغليان التي كانت تعيشها الجزائر خلال هذه الفترة، وكان من نتائجها سن فرنسا إجراءات اضطهادية جديدة تعرف بمنشور جونار[2].من جهة أخرى خاض التوارق معارك ضد الفرنسيين منذ 1902 ومنعوا توغلهم في الجنوب، كما وقعت عدة انتفاضات بمنطقة الأوراس مابين سنتي 1916- 1917 بسبب رفض الأهالي لقانون التجنيد الإجباري، واتخذت هذه الأحداث أجواء خطيرة في كامل الجنوب القسنطيني[3].

باندلاع الحرب العالمية الأولى وضعت الجزائر تحت حالة الحصار خوفا من قيام انتفاضة ضد الاحتلال الفرنسي، ووجه الحاكم العام في الجزائر " لوتو lutaud" نداء إلى المسلمين الجزائريين حذرهم فيه وأكد لهم بأن الله لا يحب الخائنين، وطلب منهم المساعدة مؤكدا بأن الحكومة الفرنسية قادرة على ضبط الأمن[4].

فتحت الحرب العالمية الأولى آفاقا جديدة أمام الحركة الوطنية حيث كانت تأمل بهزيمة ألمانيا وتركيا لفرنسا وهذا يسمح بإعطاء أمل للجزائريين،[5] ويصبح بإمكانهم المطالبة بحقوقهم أمام حكومة فرنسية منهزمة ضعيفة لا تستطيع رفع العصا الغليظة في وجوههم، لكن فرنسا لم تترك الجزائريين على حالهم بل قامت بتجنيدهم ودفعهم إلى الخطوط الأمامية رغما عنهم من أجل دفع

---

[1] لم يكن للجزائري حق استئناف الأحكام، وأعطيت سلطات المحاكمة والنقض والطرد والسجن إلى الحاكم العام ومساعديه أنظر: يحي، بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985 ص44 .

[2] منشور أصدره الحاكم العام جونار، يقضي بغلق المقاهي المشتبه فيها، ومنع المهرجانات، سحب رخص السلاح، ومنع الحج

[3] Ageron,. les Algériens musulmans et la France,p.1151 .

[4] ibid,p.1140.

[5] سعد الله، المرجع السابق، ص.252 .

ضريبة الدم، وقدر عدد المدنيين الجزائريين بـ: 173019[1] وعند نهاية الحرب ستعرف الجزائر تحولات عميقة سواء على مستوى المشاريع، والإصلاحات الفرنسية أم على مستوى الحركة الوطنية التي ستتبلور مطالبها السياسية أكثر فأكثر.

2.البيئة الاقتصادية

لم يكن الواقع الاقتصادي للجزائر بأحسن حال عن واقعها السياسي، فقد كان الاقتصاد الجزائري مرتبطا باقتصاد فرنسا بل ومكملا له، وقد ترتب عن سياسة المصادرات والحجز التي قامت بها فرنسا في بلد يقوم اقتصاده على الزراعة وتنعدم فيه الإمكانيات أزمات اقتصادية ومجاعات متكررة.

نتج عن تدمير البنيات الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين إعطاء الأقلية الأوربية والسوق الفرنسية موارد مختلفة، ويد عاملة رخيصة، إن هذا المسار للاستعمار كان قبل كل شيء نتيجة اغتصاب الأرض من الجزائريين بصفة جماعية، واغتصاب الأرض هذا اكتسى أشكالا مختلفة، لم يكن ممكنا إلا بموجب إجراءات تعسفية، وبعد إصدار مجموعة من القوانين[2] بداية بنزع ملكية الفلاحين بصفة جماعية والسيطرة على الموارد الأخرى.

شكلت الأرض بالنسبة للجزائري المورد الرئيسي والوحيد للعيش، وستكون محور الصراع مع الاستعمار، وبالنسبة لفرحات عباس هي جوهر الصراع باعتبارها أساس اندماج الجزائري في الوطن الفرنسي.

انتهج الاستعمار الفرنسي منذ بداية الاحتلال سياسة الاستيطان الكامل للقطر الجزائري معتبرا إياه قطعة من فرنسا، وفي إطار سياسة الدمج بذلت فرنسا جهودا كبيرة من أجل تهجير وتوطين عدد كبير من الفرنسيين، وقدمت لهم تسهيلات كثيرة لتمكينهم من الاستيلاء على الأراضي والأملاك العقارية الجزائرية بمقتضى عدة تشريعات منها قانون وارني وقانون 1887.[3]

---

[1] Ageron, op,cit,p.1165 .

[2] صاري، قداش، المرجع السابق، ص. 124.

[3] صدر هذا القانون عام 1873 وعرف بقانون المستوطنين والذي يسمح بإقامة الملكيات الفردية داخل الملكية الجماعية للقبائل والأعراش أما قانون 1887 فهو مكمل للقانون السابق ولقانون السناتوس كونسلت لسنة 1863 الذي يسمح ببيع الأراضي المشاعة في المزاد العلني

سيطر المستوطنون على أخصب الأراضي بعد مصادرتها، وقد تعددت أشكال نزع الملكية بداية بأراضي الدولة، ثم أراضي الوقف بموجب قرار 8 سبتمبر1830، ويرى صاري[1] ان هذا الإجراء مس مصدر تمويل ذي صبغة دينية وثقافية واجتماعية، والهدف منه ضرب الأسس الثقافية للمجتمع ثم عممت المصادرات لتشمل ملكيات القبائل، ومن أكثر الإجراءات الفرنسية تعسفا هو حجز أراضي المهاجرين الثائرين وأشهر عمليات الحجز هي التي مست المجموعات الثائرة بوسط وشرق البلاد بعد ثورة 1871 والتي بلغت مساحتها 446406 هكتار، ولتشجيع الاستيطان وخاصة غزو الأرياف والمناطق الداخلية قدمت منها 100.000 هكتار لـ 1183 عائلة رحلتها من الألزاس واللورين[2].

وكنتيجة لسياسة الاستيطان نمت المستثمرات الفلاحية بفضل المساعدات والتشجيعات التي تقدمها الحكومة[3] وتشير الإحصائيات رغم اختلاف وتعدد مصادرها على أن الممتلكات العقارية في الجزائر كانت تشتمل على مجموع 20.812,259 هكتار يملك منها الجزائريون ملكا شخصيا 9.226 ,470 هكتارا أي ما نسبته 44,33 % ويملك الأوروبيون ملكا شخصيا 11.600,000 هكتار[4] وهي تمثل إحصاء سنة 1917، ومن ذلك تبدو لنا المفارقة الكبيرة بين الجزائريين والكولون الذين أوجدوا في الجزائر إقطاعية فلاحية استولت على معظم الأراضي بعد طرد الجزائريين بصفة جماعية من أراضيهم إلى الأراضي الهامشية.

وقد بلغت جملة الأراضي التي تمت مصادرتها في الفترة بين 1840-1950 بنحو2.703,000 هكتار بمعدل 180 هكتار لكل مزارع، ينتج 87 % من هذه الأراضي 70 % من دخل الجزائر ولعل فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي مرحلة المصادرات الكبرى والتي نتج عنها إفقار الجزائريين وأزمات اجتماعية دفعتهم إلى بيع أراضيهم، ففي الفترة بين 1880-1898

أنظر: Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine,pp.50-51

[1] صاري، قداش ،المرجع السابق، ص. 125 .

[2] بوعزيز، المرجع السابق،ص.34.

[3] في المذكرة التي كانت تقدمها الإدارة للراغبين في الإقامة بالجزائر، نجد تسهيلات كثيرة بداية من دفع تذكرة السفر، ثم قطعة أرض للبناء وقطعة أخرى للحرث تتراوح بين 4و20 هكتارا، ومسكنا مؤقتا، ومواد بناء وتبرعات مجانية أنظر:

عبد الحميد، زوزو، _نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص. 141-142.

[4] Ageron.op.cit.p 768 .

فقط تم بيع 512151 هكتار بقيمة 55 مليون فرنك وهي نتيجة طبيعية لسلسلة الضرائب الثقيلة وسياسة المضاربة والربا.[1]

أما الإنتاج الزراعي فقد كانت تسيطر عليه زراعة الحبوب قبل أن يتم تعويضه بالزراعات الكمالية وعلى رأسها الكروم، وكانت المساحة الزراعية في تراجع مستمر فبعد أن كانت 2.442,679 هكتارا سنة 1890 تراجعت إلى 2.391,236 هكتارا سنة 1900 ثم إلى 1.967,995[2] ولم يعد يملك الجزائريون سوى 7% من أراضي الساحل، و17% في منطقة المتيجة و15% وهران

إنتاج القمح والشعير عند المسلمين الجزائريين[3]

الوحدة: القنطار

السنة الزراعية	القمح الصلب	المردود ق/1 هكتار	الشعير	المردود ق/1 هكتار	القمح اللين	المردود ق/1 هكتار
1901-1900	5.716,695	6,1	9.149,902	7,2	457,802	6,3
1902-1901	6.095,656	6,8	9.056,363	6,9	513,140	6,9
1903-1902	5.920,731	5,8	7.218,456	5,6	407,432	5
1904-1903	4.241,644	4,6	6.809,696	5,9	432,670	5
1905-1904	4.352,749	4,6	5.074,498	4,3	320,135	3,6
1906-1905	5.584,104	6,2	8.874,528	7,5	519,756	6,4
1907-1906	4.521,419	5,3	7.731,421	6,7	623,944	7
1908-1907	4.235,496	4,7	6.860,727	5,4	565,561	4,7
1909-1908	4.542,418	5,3	8.225,245	6,7	697,153	7,5
1910-1909	5.491,170	6	8.698,566	7,3	550,513	5,8
1911-1910	5.540,485	6,5	8.425,245	6,8	697,153	7,4
1912-1911	3.712,035	4,2	5.909,145	4,8	379,132	3,9
1913-1912	4.895,693	5,8	9.188,082	7,7	586,363	6,4
1914-1913	4.312,594	4,9	6.823,924	5,8	588,790	6
1915-1914	4.193,006	5,4	6.583,017	6,2	548,632	5,2
1916-1915	4.121,058	4,6	6.187,617	5,7	559,721	5,5
1917-1916	2.829,317	4,0	4.340,831	4,0	374,705	4,1
1918-1917	4.699,993	6,0	7.505,225	7,0	599,864	5,9
1919-1918	3.046,764	4,1	4.529,981	4,7	373,193	4,7

[1] أندري بريان، اندري نوتشي، ايف لاكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 366.

[2] Ageron,op,cit,p.768

[3] Ageron,les Algériens musulmans et la France,op,cit,p801

من خلال دراسة الجدول أعلاه نلاحظ تذبذب الإنتاج وتراجعه في معظم السنوات وتقلص الإنتاج لا يثير في الحقيقة الاستغراب، بل هو نتيجة طبيعية لسياسة فرنسية تهدف إلى تدمير الكيان الاقتصادي الجزائري وخلق اقتصاد استعماري، فسياسة المصادرة التي استمرت لعقود أدت إلى تقليص المساحة الزراعية عموما والمساحات الخصبة خصوصا، ففي الوقت الذي قامت فيه ملكيات كبيرة للكولون تتراوح ما بين 4 أو5 آلاف هكتار، تحتل 1.721,979 هكتارا يسيطر عليها 26153 معمر أوروبي، نجد في المقابل أن الملاكين من الأهالي لا يمثلون سوى 52% والخماسين 30% والعمال الزراعيين 12% ومستأجري الأراضي 5% منهم1,13% يملكون مزارع متوسطة ذات 198 هكتارا، 6% ذات مساحة 18 هكتار وأخيرا 70% يملكون مزارع ذات مساحة 4 هكتارات.[1]

فتقلص المساحة الزراعية وسيطرة الكولون على أخصب الأراضي وقلة الامكانيات وضعف الميزانية المخصصة للجزائريين، يضاف إليها الظروف المناخية في بعض السنوات كلها عوامل أدت إلى تقلص الإنتاج، بحيث انخفض المردود الزراعي إلى 5 قنطار في الهكتار ونصيب الفرد لم يتجاوز2 قنطار[2] وعلى العكس من ذلك نجد المحاصيل الزراعية خارج الحبوب كالخضر والفواكه أكثر مردودية، والسبب هو إمكاناتها التقنية والمالية الكبيرة باعتبارها سلعا تجارية، وإن كانت التقارير الفرنسية تقدم إحصائيات فيها الكثير من المزايدة مما يوحي باكتفاء الجزائر، فان المجاعات المتكررة التي عرفتها الجزائر سنوات 1867، 1892 1897 ،1905، 1917، 1920[3] هي دليل واضح على سياسة الإبادة المنظمة لفرنسا.

مع بداية القرن العشرين جرت تحولات عميقة على القطاع الفلاحي، حيث عوضت مناطق زراعة الحبوب بزراعات كمالية تجارية خاصة الكروم والتبغ،وكان الهدف تزويد السوق الفرنسية بأكبر كمية من الخمور، ولذلك ارتفعت المساحة المخصصة للكروم بشكل متسارع من 20 ألف هكتار سنة 1878 إلى 155.000 هكتار عشية الحرب العالمية الأولى و400.000 هكتار

[1] بوعزيز، المرجع السابق، ص.40.

[2] Ageron,les Algériens musulmans et la France,op,cit,p.794

[3] بوعزيز، المرجع نفسه، ص.39.

عشية الاحتفالات المئوية[1] بمعدل 8 ملايين هكتولتر في السنة.

ولعبت الشركات الأوروبية دروا كبيرا في ازدهار زراعة الكروم وبتشجيع من الدولة ففي سنة 1880 خصȌ بنك الجزائر20 مليون فرنك لتوسيع ممارستها[2] وطبيعي أن يكون ذلك على حساب المساحة المخصصة للحبوب.

يضاف إلى مصادرة الأراضي وتحطيم البنية الاقتصادية وما نتج عنها من مآسي للجزائريين، اعتماد فرنسا منذ بداية القرن ميزانية مستقلة لصالح الكولون، حيث أصدرت فرنسا قانون 19 ديسمبر 1900[3] الذي منح الكولون صلاحيات واسعة لإدارة شؤون الجزائر وخاصة منها المالية ومراقبة الميزانية، فبعدما كانت ملحقة بصفة مباشرة بميزانية الدولة الفرنسية، أصبحت لها استقلالية تامة كانت في خدمة الكولون بالدرجة الأولى رغم أن 80% من مداخيل الميزانية العامة، هي من الضرائب التي يدفعها الجزائريون، حوالي4 مليون فرنك سنة 1907 و43 مليون سنة 1910 و44,8 مليون فرنك سنة1914، بمعدل من 8 إلى 10 فرنكات للفرد الواحد.[4]

تسببت السياسة الاستعمارية وسيطرة الكولون على البلاد وخيراتا في إضعاف الجزائريين أصحاب البلاد الشرعيين، فانتشر الفقر، وانار الاقتصاد وتحول الجزائريون إلى عمال بسطاء وعاطلين دائمين، ففي الوقت الذي تضاعف فيه السكان إلى النصف، تناقȌ الإنتاج الزراعي بنسبة 20% والإنتاج الحيواني إلى النصف، فانتشرت الـاعات بمعدل 5سنوات مجاعة لكل 8سنوات[5] وأصبح كل أربعة من Rسة جزائريين لا أراضي لهم، هذا الواقع هو الذي جعل فرحات عباس يعتقد دائما بان الاحتلال "قوة بلا فكر وجسم بلا روح، جاء بالسيف والخنجر والمدفع لكنه نسي

---

1 صاري، قداش، المرجع السابق، ص.171.

2 نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص.360.

3 يسمى أحيانا بقانون الحكم الذاتي، وقانون اللامركزية، وقانون الشخصية المدنية الجزائرية، وبمقتضى هذا القانون لم تعد الجزائر امتدادا لفرنسا وإنما لها الشخصية المدنية، والحاكم العام لم يعد سوى شخصية تمثل فرنسا في الجزائر لاغير.

أنظر: عبد الرحمان بن ابراهيم، بن العقون. **الكفاح القومي والسياسي1947-1954**، المؤسسة الوطنية للكتاب، لجزائر 1986،ص.43.

أنظر: سعد الله، المرجع السابق، ص.84.

4 Ageron, op, cit, p.731

5 نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص.805.

المسلمين، بل ويحتقرهم"[1].

3.البيـئة الاجتماعيـة:

إن الهدف من دراسة الوضع الاجتماعي في هذه الفترة هو معرفة مصير المجتمع الجزائري في ظل المشاريع الاستعمارية، وانعكاساتها علي تركيبته وبنيته وكيف سيؤدي التحول الناتج عن ذلك إلي تشكيل وعي وطني، ومطالب جزائرية مع بداية القرن ستكون أهم محاورها إصلاح أوضاع المجتمع وإنقاذه.

كان من الأهداف الحقيقية لمشاريع الاستعمار إحداث تغييرات في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، أو كما سماها سعد الله " عملية تذويب المجتمع"[2].

كان المجتمع الجزائري قبل الاحتلال مجتمعا قبليا عشائريا ينقسم إلى طبقتين أساسيتين: طبقة عليا تتكون من الأرستقراطية السياسية أي الحكام ورؤساء العشائر والأرستقراطية الدينية أي الأشراف المرابطين وزعماء الطرق الصوفية وإقطاعيي الأراضي وكبار التجار، أما الطبقة الدنيا فكانت تشمل غالبية الشعب الجزائري، وضمن هذه الطبقة كانت هناك فئة ضئيلة مميزة من سكان المدن تضم المتعلمين والقضاة وصغار التجار، تشكل ماسمي ببرجوازية المدن[3].

كان الشعب يعيش حياة اجتماعية راقية، إذا ما قيست بحياة المجتمعات الأوروبية لكن عند دخول الاستعمار واستيلائه على الأرض انهارت الأرستقراطية السياسية والدينية التي قادت الحرب ضد الفرنسيين، والنتيجة تفكك تركيبة المجتمع وافتقاد الشعب قياداته السياسية التقليدية، وتحت ضغط التعمير وانهيار الحرف والصناعات اختفت برجوازية المدن التي سوف تعيد تكوين نفسها ببطء، وبشكل جديد مع بداية القرن العشرين.

إن الأعمال الأولى التي قامت بها السلطات العسكرية قد استهدفت بصورة مباشرة مراكز الثقافة المتمثلة في المساجد والزوايا، وإعادة تشكيل المدن من خلال تشجيع الاستيطان بمساعدة

---

[1] Benjamin,Stora, Zakia, Daoud,**ferhat Abbas une autre Algérie**,édition casbah ,Alger ,1995 p.43 .

[2] أبو القاسم، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ج1، ص.347.

[3] الخطيب، المرجع السابق، ص.80.

المصالح المختلفة الإدارية والعسكرية والهدف هو إدماج السكان وخاصة مجتمع الريف باعتباره يشكل أغلبية الجزائريين ومصدر المقاومة، وأكثر تماسكا اجتماعيا لاستناده أكثر إلى القيم الدينية.

وقد بدأت هذه المواجهة مع الريف خاصة بعد مقاومة الأمير عبد القادر، حيث اتبع منظرو الاستعمار سياسة تقوم على فرض السيطرة على الأرياف عن طريق ما يمكن تسميته بالأرستقراطية الريفية أو الأعيان، والهدف هو تفتيت القبيلة وتمزيق شبكة العلاقات الاجتماعية[1]، يصرح الوزير "نابليون جيروم" في 31 أوت 1858: " أن الهدف الذي كان يعمل له هو تفتيت الشعب العربي وإذابته في المجتمع الفرنسي وذلك بضرب الأرستقراطية في الريف، وإضعاف سلطة القياد، بإضعاف العلاقة بين المالك والخماس، هذا الأخير سينتقل للعمل لدى الكولون دون ضريبة عربية، والنتيجة اضطراب في الاقتصاد الأهلي، والأهم القضاء على علاقات التضامن التقليدية"[2] فهل نجحت هذه السياسة؟

تناقصت الطبقة الأرستقراطية تدريجيا، فهي في المدن قد أصبحت ضعيفة وقليلة رغم احتفاظها بماضيها وسمعتها، ونفس المصير في الريف نتيجة اغتصاب الأرض والاستيطان وإلغاء المكاتب العربية.[3] فقد اعتمد عليها الاستعمار في البداية لتوسيع الاحتلال ثم استغنى عنها وجردها من نفوذها، فالذي كان يحكم عرشا كاملا أصبح لا يحكم إلا قبيلة والذي يحكم قبيلة لا يحكم إلا فرقة، والعرش قسم بين عدة حكام وأسر، أما المرابطون فقد تمت ترقيتهم في وظائف إدارية، والنتيجة كما يقول فرحات عباس ان تلك القبائل العتيدة القوية تحولت إلى جحافل من الأشباح[4].

لتفكيك البنية الاجتماعية قامت سياسة الاحتلال على تشجيع التعمير خاصة في الريف أو الاستعمار الرسمي بتقديم أجود الأراضي وتسهيلات ومساعدات معتبرة بلغت 6500 فرنك للعائلة سنة 1870 وإذا كانت الفترة الأولى(1830-1870) عرفت نموا بطيئا للاستيطان بحيث لم يتجاوز 119.000 معمر، سرعان ما تزايد التعمير بعد ذلك حيث أصبحوا 200.000 معمر سنة 1900[5]

ومن القوانين التي أصدرتها إدارة الاحتلال قانون "السناتوس-كونسلت" لسنة 1863 الذي

---

[1] Ageron, les Algériens musulmans et la France,op,cit,p.819.

[2] Julien,Histoire de l'Algérie contemporaine,1830-1970,pp.30-31.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص.254.

[4] فرحات، عباس، **ليل الاستعمار: حرب الجزائر وثورتها**، مطبعة فضالة، المغرب،بدون تاريخ، ص.28.

[5] Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine op,cit, p.51

فكك القبيلة بإنشاء الدواوير، وإعادة توزيع الأعراش بعد انتزاع ملكياتا، وتعزز هذا القانون بإصدار قاون "وارني" سنة 1873والقانون التكميلي لسنة 1887 الذي عوض قانون السناتوس كونسلت المتضمن تفكيك أراضي العرش وإعادة توزيعها على المعمرين[1] وأصبح بذلك الدوار عبارة عن أعراش مفككة.

وبتحطيم القبيلة والعرش لم يعد المجتمع ذلك البناء المتكامل، بل أصبح مجموعة من العائلات تربطها علاقة القرابة، هذه العائلات ورغم ضعف نفوذها المادي والعسكري والديني حافظت على القيم والعادات القديمة، وهي التي سوف تقاوم الغزو الفكري والديني ومن تلك العائلات خرجت المعارضة الثقافية والسياسية للاستعمار الفرنسي في القرن العشرين[2]

أما بالنسبة لتطور عدد السكان فإننا نلاحظ من خلال الجدول التالي:[3]

السنة	الأهالي	المعمرون الأوربيون
1856	2.328,091	159,282
1872	2.125,052	530,894
1891	3.577,063	640,976
1901	4.098,955	680,263
1906	4.447,788	752,043
1911	4.740,225	--
1921	4.926,783	--

الملاحظ أن تعداد السكان عموما ظل يراوح مكانه على الرغم من الارتفاع المحسوس منذ نهاية القرن التاسع عشر، وظلت الزيادة الطبيعية بطيئة، فهي لم تتعدى 1,4% في الفترة بين 1891-1901بينما تراجعت في الفترة بين 1921-1931 إلى 1,3% وهي نتيجة طبيعية لتقلص الإنتاج الزراعي بسبب انتزاع الملكية، وللضرائب المتعددة التي أفقرت الجزائريين وجعلتهم إما على هامش الجبال أو على هامش المدن.

يضاف إلى ذلك سنوات الجفاف والمجاعات والحروب، فقد تمكنت فرنسا من تجنيد حوالي 172 ألف جزائري في حين تذهب مصادر أخرى إلى أن الرقم الحقيقي لتعداد المجندين الجزائريين

---

[1] ibid, p.50

[2] سعد الله، المرجع السابق، ص.254

[3] Ageron, les Algériens musulmans et la France, op, cit, p.817

خلال هذه الفترة قارب 250 ألف مجند[1] توفي منهم 80 ألف مجند، أي ما نسبته 32%.

لقد تسببت سيطرة المعمرين على البلاد وخيراتها في تدهور أوضاع الجزائريين وانتشار الفقر بينهم، كما نتج عن انهيار الحرف والصناعة المحلية، ومصادرة الأراضي ودخول رؤوس الأموال والشركات إلى توفر الرخاء للأوروبيين على حساب الجزائريين الذين تراجع إنتاجهم إلى أكثر من النصف، وبعد أن كان لكل جزائري أربعة قناطير من الحبوب سنة 1871 تناقص ذلك إلى قنطارين ونصف سنة 1940، كما خلفت كل الظروف السيئة السابقة حالة يرثى لها على أحوال السكان الصحية، فكثرت الأمراض والأوبئة وانتشرت الوفيات بشكل كبير، وعرفت البلاد كوارث ديمغرافية فقد أدت الكوليرا والمجاعة التي حدثت سنة 1867 إلى ما يقارب المليون وفاة أي ثلث السكان وهي نسبة مرتفعة جدا[2].

لقد وجهت المشاريع الاستعمارية لخدمة المعمرين، والنتيجة تعقد حياة أكثر من 5 ملايين جزائري، فانتشرت البطالة بشكل خطير، واضطر العمال الجزائريون إلى الهجرة شبه الجماعية إلى المدن للاستقرار على أطرافها في أحياء قذرة، وفي حالة اجتماعية يرثى لها، هذه الظروف القاسية هي التي دفعت الكثير من الجزائريين للتعبير عن رفضهم للواقع الاستعماري بالهجرة إلى فرنسا والبلاد الإسلامية.

فقد شهدت جهات سطيف وبرج بوعريريج سنة 1910 موجات هجرة قوية نحو سوريا، رغم أنها من أخصب وأجود الأراضي، كما شهدت تلمسان موجات أخرى من الهجرة نحو البلدان العربية سنة 1911، والتي ترجعها التقارير الفرنسية إلى تعسف القياد واغتصاب الأراضي والدعاية التركية وعبء الضرائب، والرغبة في التخلص من قانون الأنديجينا[3] بينما يرجع سعد الله ما أسماه الوباء الأخلاقي إلى أسباب متعددة، يتداخل فيها العامل الاجتماعي مع الاقتصادي والسياسي والديني[4]، أما السبب الرئيسي الذي غالبا ما يشار إليه فهو قانون التجنيد الإجباري، وإن اختلفت حوله المواقف السياسية، بين مؤيد ومعارض، فإن النظرة الدينية لهذا القانون والنابعة

[1] Ibid, p.816

[2] Claude, Liauzu,Gilbert,Meynier, **"Sétif la guerre des mémoires"**,site: www.ldh-toulon.net/article.php3?id_article=655

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.50.

[4] سعد الله، المرجع السابق، ص ص.120-121

من اعتقاد راسخ أنه " على المسلم أن يغادر المناطق للالتحاق بديار الإسلام التي بقيت مستقلة ليواصل المقاومة، عوض الخضوع لقانون الكفار، سيما إذا كان يعارض الشريعة."[1]

3.البيئة الثقافية:

إنه من الضروري الإطلاع على الواقع الثقافي وخاصة واقع التعليم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لمعرفة ما حققته المشاريع الاستعمارية، ومصير المجتمع الأصلي، وتأثير ذلك على بروز نخبة جديدة يشكل فرحات عباس أحد رموزها.

يجمع أغلب المؤرخين على أن التعليم كان منتشرا بشكل واسع عشية الاحتلال الفرنسي للبلاد، لكن الوضع تغير تماما عقب ذلك، لقد أدرك الاستعمار منذ البداية أن توغل الإيديولوجية الاستعمارية وتحقيق الاستلاب الثقافي لن يتحقق إلا بواسطة التعليم وذلك بتحطيم التعليم الإسلامي، وتعويضه بالتعليم الفرنسي، لجعل الجزائري أكثر استعدادا للاندماج في المجتمع والثقافة الفرنسية[2].

وقد وقع خلاف استعماري حول التعليم الذي يجب أن يتلقاه الجزائريون، فهناك من يرفض تعليمهم تماما خوفا من تشكل روح ووعي وطني لديهم، ويري البعض الأخر إمكانية إعطائهم تعليما محدودا هدفه أن يصبح الجزائري مؤهلا فقط لخدمة المعمر والاقتصاد الاستعماري، ولذلك ظل التعليم الفرنسي إلى غاية الخمسينات محدودا، بينما بقي تعليم العربية يواجه صعوبات كبيرة رغم بعض الإجراءات الرامية إلى ترقيته لصالح أقلية صغيرة.

حاربت فرنسا تعليم الجزائريين، وذلك بتحطيم النظام التعليمي الذي كان سائدا من قبل والمتمثل في المدارس القرآنية التي أغلق الكثير منها، أو قيدت بإجراءات صارمة، وفقدت مصادرها المادية بعد مصادرة الأوقاف من طرف الإدارة[3].

أدرك الفرنسيون من خلال دراسة الواقع الجزائري ارتباط التعليم العربي في الجزائر بالقرآن الكريم، وهو عائق أمام وجود تعليم فرنسي بعيدا عن الدين، ولذلك فشلت سياستهم التعليمية في تحقيق نتائج جيدة، والسبب الرئيسي هو أن العلم والدين في نظر الجزائريين يشكلان شيئا واحدا،

---

[1] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.50.

[2] Pervillé, op,cit,p.206

[3] صاري،قداش، مرجع سابق، ص ص. 225-226

وأن أية محاولة للتخلي عن الثقافة الأصلية والاندماج في ثقافة المستعمر هو خيانة، يذكر مصطفى الأشرف:" أن التعليم الفرنسي ظل مدة طويلة من الزمان مرتبطا في أذهان الناس بمحاولة التنصير، بعد أن وقع تعميد وتنصير الألوف من الأطفال الجزائريين اليتامى"[1].

ولذلك كانت سياسة المستعمر تقوم على إضعاف التعليم العربي وإفراغه من روحه المتمثلة في القرآن الكريم، مقابل فتح الباب للمدارس الرسمية والهدف ليس ثقافيا بقدر ما هو سياسي الغرض منه تخريج العدد الكافي من الإطارات في مناصب العبادة والمحاكم الشرعية لمساعدتها على تسيير الشؤون الجزائرية، وتحقيق آمال إدماجية[2]، وقد نشطت هذه السياسة أكثر في عهد الإمبراطورية الثانية، والفضل يعود إلى نابليون الثالث في فتح أول مدرسة عربية فرنسية بتاريخ 14 مارس1857 على أساس أن يلتحق بها 150 تلميذا من أبناء المسلمين والمسيحيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية والفرنسية.

وبسبب نقص المعلمين أنشأت سنة 1865مدرسة تكوين المعلمين، وحرصت أن يكون هؤلاء قد أحاطوا باستعمال اللغة العربية الدارجة وعلى معرفة بالتقاليد والعادات، وبالقدرة على تكييف المناهج حسب عادات الأهالي الفكرية[3]، ورغم أن التعليم المقدم للجزائريين محدود جدا إلا أنه لقي معارضة شديدة من المعمرين الذين يرون أن تعليم الجزائريين يجعلهم يطالبون بحقوقهم السياسية وبالإدماج والمساواة مع الأوروبيين، ولذلك اسهموا في إفشال السياسة التعليمية لنابليون الثالث.

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدا واضحا تغير نظرة الجزائريين نحو التعليم الفرنسي بحيث بدؤوا يفكرون في تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية، وحسب مصطفى الأشرف: " أن هذا التحول يعود إلى انعكاسات سياسة التجهيل الفرنسية، التي جعلت الناس يشعرون بالحاجة إلى الثقافة، وإلى التعليم ولو بلغة أخرى، وهذا يدل على أن الشعب الجزائري العريق في الثقافة لا يتحمل الفراغ الثقافي، ولكي يشبع هذه الحاجة فهو لا يرى مانعا في استعارة لغة أخرى بدلا من لغته التي أصبحت محرمة عليه، إن هذه الثقافة المستعارة بحكم الضرورة تبين الفكرة التي تقوم على

---

[1] مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.406.

[2] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.227.

[3] المرجع نفسه، ص.227.

التمييز بين الفرنسية كلغة مصالح دنيوية مادية والعربية كلغة التراث الإنساني والديني"[1].

قامت السياسة الفرنسية منذ البداية على محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي فأغلقت المدارس التابعة للزوايا، وحدت من انتشارها، وكان على المدارس التي تسمح لها بالبقاء أن تغلقابا خلال ساعات عمل المدارس الرسمية، كما منعت جمع التبرعات لصالح المدارس القرآنية وبالتالي قطعت عنها الروافد التي تغذيها، كما Ź منع فتح المدارس العربية إلا برخصة من الحكومة[2] وحاربت اللغة بإبعادها أولا عن الإدارة، حيث أصبحت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرسمية، ماعدا المحاكم المتعلقة بالأحوال الشخصية الإسلامية، حيث بقي فيها العمل يجري باللغة العربية، وكذلك في إدارة مناطق الجنوب الصحراوية التي يقطنها عدد قليل من الجزائريين،[3] كما خفضت ميزانية المدارس التابعة للمسلمين بـ 15% حسب قرار أعضاء الوفد المالي لسنة 1902 والجدول التالي يمثل مقارنة بين ميزانية التعليم المخصصة للأوربيين والأهالي[4]:

السنة	ميزانية تعليم الأوروبيين	ميزانية تعليم الأهالي
1907	3.013,000	1.555,000
1910	8.579,000	2.171,000
1914	10.504,000	2.627,000
1920	32.979,000	6.991.000
1924	47.801,000	11.994,000
1928	84.344,000	21.003,000

الوحدة: بالمليون فرنك فرنسي

فالاعتمادات المخصصة لتعليم الجزائريين، حيث عدد السكان يصل إلى 6 ملايين لا تساوي إلا ربع أو Rس الاعتمادات المقررة لتعليم الفرنسيين الذين لم يتجاوز عددهم qانمائة ألف فرنسي وهذا بالطبع يدخل في محاربة تعليم الجزائريين.

---

1 الأشرف، المرجع السابق، ص.416.

2 الخطيب، المرجع السابق، ص.63.

3 رابح، تركي، **التعليم القومي والشÔÁية الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،، الجزائر، 1981،ص.93.

4 المرجع نفسه.

إن ما يمكن ملاحظته هو تأخر التعليم بشكل عام رغم التحسن الطفيف في بعض السنوات، والذي في الحقيقة لا يعكس عدد السكان ونسبة التلاميذ الذين هم في سن التمدرس، كما أن نسبة الإقبال على التعليم الفرنسي كانت ضعيفة، وهو دليل على فشل السياسة التعليمية الفرنسية وعلى عدم جدية فرنسا في نشر التعليم بين الجزائريين، ودليل على سيطرة الكولون على السياسة الفرنسية بشكل عام، وموقفهم من تعليم الجزائريين فهم يعتقدون انه " إذا عم التعليم بين الأهالي فإن صوتهم الموحد سيكون:" الجزائر للعرب"[1]، أما بالنسبة للجزائريين فإن عدم إقبالهم على التعليم الفرنسي هو رفض للاستعمار على جميع الأصعدة، وكان التعليم أهم القضايا التي شكلت محور الصراع بين فرنسا والحركة الوطنية وركيزة أساسية في مشروع فرحات عباس الإصلاحي، وأداة لتغيير المجتمع وبناء " الجزائر الجديدة، التي ستبرز من المدرسة ومن العلوم التقنية،بالإضافة إلى أن بذور الحرية تكمن في طوايا العقل"[2] أي بمعنى تحرير العقل كشرط لضمان الحريات الأخرى.

أما من الجانب الديني فإن التبشير كان أحد ركائز السياسة الاستعمارية للقضاء على الإسلام وإضعاف مقاومة الجزائريين، وقد صاحب التبشير العمليات العسكرية الأولى، فقد كان قادة الاحتلال يجمعون الأيتام ويسلمونهم إلى البعثات التبشيرية، ومن ذلك ما فعله بيجو بحثه الجمعيات التبشيرية أن تجعل الأطفال الجزائريين مسيحيين، حتى لا يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار حسب قوله[3].

وقد ازدادت عملية التبشير بعد قمع المقاومات الوطنية، وانتشار المجاعات والأمراض في الفترة مابين 1860-1870 حيث شن الكاردينال لافيجري حملة تنصير واسعة عن طريق جمعية الآباء البيض[4] بذريعة مساعدة الشعب، ويعترف هو نفسه في مراسلة مؤرخة في 6 أفريل 1868 وموجهة إلى مؤسسة الشرق البرية والتي نشرتها الصحافة الاستعمارية " سيكون لنا من هنا بعد

---

[1] Ageron,Histoire de l’Algérie contemporaine,op,cit,p.70

[2] عباس، ليل الاستعمار، ص. 132

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.231

[4] من أنشط البعثات التبشيرية في الجزائر، أسسها الكاردينال لافيجيري سنة 1867 لمنافسة البعثات البروتستانتية، التي تدفقت على الجزائر، أما تسمية البيض، فلأن أعضائها كانوا يلبسون برانس بيضاء، وغطاء رأس أحمر، بلغ ما لدى الجمعية من مؤسسات حتى عام 193026 معهدا دينيا، و133 مركزا للتبشير الديني، يعمل فيهما نحو 500 راهب وراهبة أنظر: ابوالقاسم ، سعدالله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1998،ج 6،ص ص.126-127

بضع سنوات مصدر من العمال المفيدين المعاونين، أحباب تعميرنا الفرنسي من العرب المسيحيين سيطلب هؤلاء الأطفال الذين تعلموا بمواطنيتنا وبكلامنا وأمثلتنا سيطلبون هم أنفسهم التنصير" ثم يختم رسالته " علينا أن نرفع هذا الشعب ولننته من حصره وقرآنه...، علينا أن نلهمه على الأقل من خلال أبنائه، شعورا آخر ومبادئ أخرى، على فرنسا أن تعطي له الإنجيل، وإلا فلتطرده إلى الصحارى بعيدا عن العالم المتحضر".[1] هكذا فكر دعاة الاستعمار ودعاة أن فرنسا حملت إلى الجزائر رسالة التحضر والتمدن، فالمشروع الاستعماري لم يخل من نزعته الصليبية، بل كانت أحد أهم أسسه، حتى وإن كان يحمل شعار الجمهورية، إننا نجدها في تصريحاتم وفي أعمالهم، عند الجندي والقائد والمواطن العادي" إنا بالنسبة إليهم معركة الصليب ضد الهلال "[2].

يقول "لويس فييو louis Veuillot وهو أحد المفكرين الكاثوليك: " كم كنت أتمنا في هذه اللحظة أن ألبس بذلة جنودنا، وأن أحس بالسيف يقارع ركبتي، إنه سيف الله نضرب به عدوه...، إن الهدف من حربنا في إفريقيا هو أسمى وأقدس من حروبنا في أوروبا، لأن موضوع الصراع هنا هو القضية المقدسة، قضية الحضارة، قضية الأفكار المسيحية الخالدة".[3]

إن سياسة التنصير في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، تبرز التحالف القائم بين الكنيسة والاستعمار للقضاء على الشخصية الجزائرية، ونشر المشروع الحضاري الغربي، وقد كانت لهذه السياسة انعكاساتا على المجتمع عموما، وعلى النخبة خصوصا باعتبارها نتاج المشروع الاستعماري بشكل أو بآخر،وستكون مسألة الأحوال الشخصية جوهر الصراع مع المشروع الاستعماري وبين المشاريع الوطنية، بل ستصنف التيارات الوطنية عل أساس موقفها من هذه المسألة.

رغم السياسة الاستعمارية إلا أن الجزائر ستعرف مع بداية القرن العشرين زخما كبيرا بظهور نهضة أخذت أشكالا جديدة، تضمنت نشاطات اجتماعية وثقافية،وظهور صحافة وطنية ونوادي وجمعيات، وحركة أحياء للتاريخ الوطني قادها المحافظون والنخبة[4].وإن كانت أفكارهما

[1] صاري، قداش، المرجع السابق، ص ص. 233-234

[2] الأشرف، المرجع السابق، ص. 273

[3] نفس المرجع والصفحة.

[4] سعد الله، المرجع السابق، ص.145

وإيديولوجياتهما متضاربة في الكثير من الأحيان إلا أنهما أعطيا للنهضة دفعة قوية شكلت إرهاصات للعمل السياسي الذي سيتبلور بعد الحرب العالمية الأولى.

المبحث الأول: التنشئة.

1.المولد والنشأة:

ينحدر فرحات عباس من أسرة فلاحية، تدعى بن داوى في قرية بني عافر وهي قرية ريفية تابعة لبلدية الطاهير المختلطة، ومن أجداده الأولين محمد عباس وإبراهيم عباس الذي ولد في أواخر عام 1680، أما جده ووالد أبيه فقد ولد في أواخر القرن 18 وتوفي عام 1890 وهو الذي أصر عام 1881 عندما شرع في تسجيل السكان في الحالة المدنية على أن يطلق عليهم لقب عباس على اعتبار أنه كان بطلا شجاعا[1] وقد حضر جده نزول الفرنسيين بالجزائر واحتلالهم لها، واشترك في مقاومة جيش الضابط "سانت أرنو" الذي غزا المنطقة وأحرق قرى الدوار عام 1852، ونهب ثرواتهم وحيواناتهم ولم يترك إلا البكاء والدموع.[2]

عند اندلاع ثورة المقراني 1871 حمل جد فرحات عباس السلاح وشارك في المقاومة وبفشلها قامت السلطات الفرنسية بمصادرة كل أراضي المنطقة وتوزيعها على المعمرين الأوروبيين وعند وفاة جده سنة 1890 ترك وراءه أبناء وبنات منهم والد فرحات عباس كان جده يقول " لسنا نحن الذين انهزمنا، ولكن هي بنادقنا التي لم تقو على مواجهة الأسلحة الفرنسية "[3].

ولد فرحات عباس يوم الخميس 24أوت 1899، ابن سعيد وأمه معزة عاشورة بنت علي بقبيلة بني عافر التابعة لبلدية الطاهير شرق مدينة جيجل، والمعروف عن هذه المنطقة طابعها الجبلي المتضرس الذي يجعلها في شبه عزلة مما يعقد الحياة اليومية لسكانها، ويجعلها أكثر فقرا لأن ما بها من أشجار الزيتون والتين لا تكاد تكفي لتلبية احتياجات سكانها فطابعها الفلاحي المعاشي، وطبيعتها الجرداء جعلت سكانها أكثر بؤسا.[4]

ككل العائلات الجزائرية الفلاحية، كانت عائلة فرحات عباس تضم اثني عشر من الإخوة منهم خمسة ذكور أكبرهم عمار الذي خلف والده في منصب آغا، والأخ الثاني كان موظفا في الإدارة الأهلية، بينما كان أصغرهم حميد وهو يمثل ذكاء استثنائيا، فقد استطاع إكمال تعليمه

---

[1] بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص. 42

[2] Ferhat, Abbas, **Autopsie d’une guerre**.edition Garnier frères,paris , 1980, p. 161

[3] محمد، الميلي،" **فرحات عباس بين الجزائر والقاهرة** "مجلة الحدث العربي والدولي، عدد24، 2002، ص.44.

[4] عزالدين،معزة، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985** ،مذكرة ماجيستير،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة منتوري،قسنطينة ،2004-2005.

الثانوي، ثم الدراسة الجامعية في كلية الحقوق بجامعة السوربون وتوفي صغيرا عند سن 31 سنة.[1]

هذا الوسط العائلي الذي يمثل تحول المجتمع الجزائري مع بروز جيل جديد يحمل حنين المقاومة يمثل كذلك بداية التفاعل مع الواقع الاستعماري، طبعا لم يكن ذلك متاحا لكل الجزائريين، لكن هذا الوسط العائلي الذي يحمل ماضي المقاومة لأجداده، وفي المقابل الاندماج في المجتمع الفرنسي شكل عاملا أساسيا في شخصية فرحات عباس وطروحاته فيما بعد.

كان فرحات عباس متأثرا بعائلته وخاصة جده وجدته التي كثيرا ما يذكرها في كتاباته كمصدر للحنان، وكذاكرة يستعيد بها فظائع الاحتلال لما كانت ترويه عن بطولات جده الذي حارب مع قبيلته بني عمران أثناء غزو "سانت أرنو" سنة 1852، والذي كان معروفا عنه قسوته وإبادته لعائلات وقرى بأكملها، فهو كثيرا ما كان يفتخر في رسائله بأنه محا من الوجود عدة قرى وأقام في طريقه جبالا من جثث القتلى[2].

يفتخر فرحات عباس بدور عائلته في مقاومة الاستعمار مع قبيلة بني عمران أثناء انتفاضة المقراني والشيخ الحداد، وكانت نتيجة فشلها ترحيل عائلته وقبيلة بني عمران إلى فج مزالة وتعويضهم بسكان الألزاس واللورين، ويذكر فرحات عباس أن طبيعة سكان قبيلته المعتادة على ساحل البحر جعلها تجد صعوبة كبيرة في التأقلم مع مناخ الهضاب العليا لذلك رجع الكثير منهم إلى أراضيهم لكن هذه المرة ليسوا كمالكين بل مؤجرين، ومنهم والده الذي كان يشتغل عند الكولون لمدة 15 ساعة مقابل أجر لايتعدى 5,1 فرنك يوميا[3].

يقول فرحات عباس إن والده كان لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه كان ذكيا تعلم التحدث بالفرنسية، وجالس العلماء بكثرة مما جعله مؤمنا بكيفية عمله، تعرف عام 1880 على معمر أوروبي كان مستشارا عاما بجيجل ويملك مزرعة في دوارهم بالطاهير اسمه "داسنير دوفيجي- dasnier de vigie"، واكتسب صداقته واشترك معه في تجارة الحيوانات التي ساعدته على جمع مبالغ مالية اشترى بها قطعتين أرضيتين الأولى بـ 40 هكتارا والثانية بـ 20 هكتارا[4]، في وقت كان الجزائريون يفقدون أراضيهم وكان من الصعب على أي جزائري شراء أرض وبهذه المساحة الكبيرة دون

---

[1] Amar, Naron, **ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté**,édition donoel, 1961, P. 29

[2] الأشرف، المرجع السابق، ص 58.

[3] Abbas,Autopsie d'une guerre,op,cit ,p.161

[4] Ibid.

تقدم خدمات للاستعمار.

وبفضل صداقته لهذا المعمر تحصل على منصب قائد لبلدية "ستراسبورغ" الأمير عبد القادر حاليا، ثم على بلدية بني شنهة سنة 1889 وهي تابعة إلى البلديات المختلطة وبقي فيها حتى تقاعد سنة 1928 بعد أن ترقى إلى منصب آغا شرفيا، ولارتباطه بالفلاحة فقد استمر في ممارستها بعد أن استأجر أرضا بوادي سقين حتى توفي عام 1945 عن عمر يناهز 85 سنة وكانت هذه الراحة المادية سببا في تعليم أبنائه[1].

يتحدث فرحات عباس عن عائلته ومقاومتها للاستعمار، وكأنه يبرز الوجه المشرف الذي يمثل الوطنية والجهاد، لمحو ما لصق با نتيجة تصرفات والده، ونتيجة تحول هذه العائلة ضمن الطبقة البرجوازية الجديدة المرتبطة أكثر بالاستعمار، وقد شكل هذا التحول لعائلته نقطة ضعف في مساره السياسي عرضته إلى الانتقاد باستمرار، ولذلك فعندما يتعلق الأمر بعلاقته بعائلته يتحدث عن ارتباطه بأمه وبحكاياتا التي شكلت جزءا من ذاكرته عن الاستعمار وقمعه، فقد حدثته عن الدخول الفرنسي للجزائر ومنطقة بني عمران، وعن بطولات المنطقة في مواجهة الاستعمار وعن المعاناة التي لحقت بم بعد نزع أراضيهم، عن حياة الريف وبيوت الديس[2]، عن حياة الفقراء ومعاناة الفلاحين، هذه اللوحة من الصور التي اختزنتها ذاكرته في شكل عواطف بقيت طوال حياته تجذبه إلى حياة الفلاحين والدفاع عنهم، فهو في كتاباته يتعرض دائما إلى أوضاع هؤلاء البؤساء، ويدعو إلى ضرورة النهوض بم.

يقول كل من ترجم له:" إن فرحات عباس بقدر ما كان يتحدث عن أمه وجدته بافتخار بقدر ما كان قاسيا على والده فهو لا يتردد في توجيه نقد لاذع له لأنه كان حريصا على برنوسه الأحمر، وهو برنوس الباشاغا"[3].

ولذلك لا يمكن فصل هذه العواطف عن شخصية ونفسية فرحات عباس، فارتباطه بالأرض التي تمثل كيان عائلته، ثم المعاناة الناجمة عن الاحتلال بسبب سلب هذه الأرض لعائلته وقبيلته ومعايشته للوسط الفلاحي، ستجعل كل أفكاره مرتبطة بمحاربة الظلم، وتحسين أوضاع الفقراء واحترام الدين.

---

[1] Abbas,Autopsie d'une guerre,p.162

[2] Stora, Daoud,op,cit,p.20

[3] الميلي، مرجع سابق، ص. 44.

2. إنتاجه الفكري:

إن دراستنا لشخصية فرحات عباس، والعوامل التي أثرت فيها تبرز لنا الرجل كسياسي ومثقف تعمق في عالم الأفكار، فتعددت مرجعياته، درس تاريخ الجزائر وحلل واقعها السياسي والاجتماعي، وبا فكرا سياسيا واجتماعيا من منطلق تكوينه وثقافته حاول به تغيير وضعها السياسي والاجتماعي، وإن امتازت مواقفه بنوع من الغموض والتحول متأثرا بالظروف التاريخية والسياسية.

تعبر كتابات فرحات عباس عن مراحل تشكل وتطور أفكاره ومواقفه السياسية،بدأ نشاطه في ميدان الكتابة من خلال المقالات التي كان ينشرها في الصحف المختلفة وخاصة صحافة الشبان الجزائريين وأهمها:

1. جريدة "الوفاق الفرنسي-l'entente franco-musulmane": والتي شارك في إصدارها مع الدكتور ابن جلول في 1933، وكانت بالدرجة الأولى وسيلة دعاية لفكرة الإدماج، وانتقد فيها سياسة الاحتلال.[1]

2. جريدة "المساواة- l'égalité": أصدرها سنة 1944 وكانت بالدرجة الأولى تقوم بالدعاية لصالح البيان الجزائري الذي قدمه فرحات عباس للحلفاء.

3. جريدة "الجمهورية الجزائرية la république algérienne" التي صدرت سنة 1947 ومن عنوانا نجد التحول الذي عرفه الفكر السياسي لفرحات عباس بعد الحرب العالمية الثانية وهي تروج لفكرة قيام جمهورية جزائرية متحدة فدراليا مع فرنسا.

بالإضافة إلى كتاباته المختلفة في الجرائد، والـلات الأخرى الفرنسية والجزائرية والمراسلات السياسية المختلفة والخطابات الدعائية أثناء الحملات الانتخابية، وكانت كلها تبرز خطيبا متمكنا وتفكيرا عميقا وقدرة على التحليل، وتعبر عن مواقف صريحة وخط واضح في تعامله مع الاحتلال

---

[1] جريدة أسبوعية ناطقة باسم فيدرالية النواب لقسنطينة،صدر أول عدد منها في 29أوت1935،واستمرت حتي1942 رئيس تحريرها بن جلول ثم فرحات عباس منذ1937،تطبع حوالي 3000نسخة،من خلالها عبر فرحات عباس عن أفكاره،وبرز كصحافي بارع،أنظر:

Leila,Benamar,Benmansour,**"Ferhat Abbas,journaliste A l'entente(1935 -1942)une plume exceptionnelle combative"**,Elwtan, 19/02/2006, site: http://dzlit.free.fr/fabbas.html

وسياسته.

ألف فرحات عباس أربعة كتب تلخص مسيرته النضالية، وتبرز تطور أفكاره ومواقفه السياسية.

الكتاب الأول: "الشاب الجزائري" الذي نشره سنة 1931، وهو عبارة عن مقالات كتبها في جريدة الاقدام، وجرائد أخرى خلال فترة العشرينات وهي تشكل وثيقة هامة لدراسة نشأة الوطنية[1]، بحيث يعتبره الكثير من الكتاب بأنه مؤلف هام يعرفنا بتفكير وعقلية متطورة لشاب جذبه الغرب فأعجب و أحترم فرنسا لكنه ظل يحلم بالتغيير الإجتماعي ،وكثيرا ما أخفي أمنية غامضة لنظام اكثر عدلا ،فهو يبحث دوما عن الاستقرار[2]،ويتضمن الكتاب الأفكار الاندماجية التي نادى بها والقائمة أساسا على ربط الجزائر بفرنسا بإلغاء الاحتلال والتجنيس الجماعي للجزائريين، كما يعبر هذا الكتاب عن المرحلة الأولى من نضاله السياسي، ومواقفه تجاه الاستعمار وإن كانت هذه المواقف تطورت مع الزمن، فإن الأفكار الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية الواردة في الكتاب بقيت ثابتة نوعا ما لدى صاحبها.

يتضمن الكتاب" شعورا حادا جدا بالكرامة التي جرحها عدم الاعتبار والاحتقار المسلط على النخبة المفرنسة، وعلى الإسلام، ونقدا لطيفا لكنه صارم للسياسة الفرنسية ودفاعا حار عن الحضارة الإسلامية"[3] أما فكرته الأساسية فهي ضرورة الانتصار على الاستعمار قبل كل شيء لكي يتحقق الوفاق المطلوب بين الفرنسيين والمسلمين، ولا كلام عن الأمة الجزائرية ولا عن الوطنية، " إن الجزائر أرض فرنسية، وأننا فرنسيون لنا نظام إسلامي لأحوالنا الشخصية، والمرغوب هو السير من المستعمرة إلى المقاطعة. "[4].

حاول فرحات عباس في مقالات هذا الكتاب التوفيق بين قيم الحضارة الإسلامية ومبادئ الثورة الفرنسية، أي بين الإسلام وفرنسا أو ما يسميه وطننا الروحي ووطننا الفكري، كما دافع عن حضارة الإسلام في وجه عنصرية الاستعمار وممارساته ومنظريه.

وقد أعاد نشر الكتاب عام 1981 حيث كتب يقول: " إن نشر كتابه اليوم هي شهادة على

---

[1] جوليان، المرجع السابق، ص. 132

[2] De la barre,op,cit,p.2

[3] جوليان،نفس المرجع والصفحة

[4] نفس المرجع والصفحة

نضاله من أجل العدل ومن أجل الضعفاء"[1] ويرد فيه على الذين يؤاخذونه اليوم على مواقفه السياسية في ذلك الكتاب "هل بإمكانكم القيام بأكثر من ذلك "[2] وأرفقه بتقرير أرسله إلى "الماريشال بيتان" عام1941 يقترح عليه مجموعة أساليب لترقية المجتمع الجزائري والقضاء على النظام الاستعماري، ويعد مصدرا هاما لمعرفة الأفكار الاجتماعية والاقتصادية لفرحات عباس حيث يتحدث عن إصلاح وضع الفلاح والتعليم والصحة وشرح بالتفصيل منطلقاته الثلاثة المدرسة، الطريق، ثم المستشفى كأسلوب لترقية المجتمع الجزائري، وتحقيق تنميته.

مقالات فرحات عباس في هذا الكتاب تسجل مرحلة في تفكير النخبة المتفرنسة من الجزائريين، امتدت إلى سنة 1936، وهي مرحلة الإدماج التدريجي للنخبة الجزائرية في المواطنة الفرنسية بدون التخلي عن نظام الأحوال الشخصية.[3]

الكتاب الثاني." حرب الجزائر وثورتنا: ليل الاستعمار"، نشره سنة 1961 بالمغرب، ويعرفه هو نفسه بأنه مجرد عجالة لتاريخ الاستعمار الفرنسي ألفه رجل مستعمر ما فتئ متمسكا بأصله وأجداده ولكنه لا يجحد فضل أوروبا وفرنسا في ازدهار المدنية[4]، كما يعتبره مجرد شهادة لشرح الأسباب التي أدت إلى الثورة المسلحة للقضاء على خرافة الجزائر فرنسية.

ويفضح فرحات عباس في هذا الكتاب سياسة الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1961 وأساليبه المختلفة في اضطهاد الشعب الجزائري بتقديم الأدلة والحقائق، ونتائجها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولذلك يعتبر هذا الكتاب شاهد عدل لكشف الحقيقة وإنقاذ حظوظ تعاون مخلص ومثمر بين الشعب الجزائري والفرنسي[5] كما يعتبر هذا الكتاب ذاكرة تاريخية لجيل فرحات عباس، وتجربته السياسية في مرحلة النضال السياسي، ثم الثورة التحريرية.

الكتاب الثالث:" تشريح حرب"، نشره سنة 1980 بفرنسا، وهو عبارة عن تحليل للأحداث منذ بداية الثورة، ويتناول من خلال فصوله الاثنا عشر تاريخ الجزائر منذ القديم حتى الاستقلال، مركزا على مرحلة الاحتلال ومنتقدا سياسة فرنسا وأساليبها، ثم يتعرض إلى مرحلة

---

[1] Ferhat,Abbas, **le jeune Algérien**, édition Garnier,paris,1981p.2

[2] Ibid.

[3] جوليان، المرجع السابق، ص. 132.

[4] عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص. 12.

[5] المرجع نفسه، ص. 13.

الثورة وكيفية انضمامه ومبررات ذلك، كما يتحدث عن مشاريع فرنسا للقضاء على الثورة وفشلها، وعن حياة المجاهدين وشجاعتهم، وعن نشاطه السياسي والدبلوماسي، كما تناول انتقادات لما رآه من أخطاء وانحرافات ارتكبتها الثورة، ويختم كتابه بدعوة لرد الاعتبار للعلم والإنسان لاستعادة الاستقلال فعلا، وفاء لأرواح الشهداء.[1]

الكتاب الرابع: "الاستقلال المصادر" نشره سنة 1984 بفرنسا، وكان يتمنى أن ينشر في الجزائر حتى يطلع الجزائريون على تاريخهم القريب، ولذلك أرسل كتابه إلى الرئيس الجزائري آنذاك الشاذلي بن جديد مرفوقا برسالة يناشده فيها بنشر الكتاب في الجزائر لكن ذلك لم يحصل ولم يتلق أي رد ايجابي.[2]

والكتاب عبارة عن وصايا سياسية لفرحات عباس وهو في آخر العمر، ينتقد فيه بشدة النظام السياسي الجزائري منذ 1962، فهو يعتقد بأن الشعب الجزائري من أحق الشعوب وأكثرها تأهيلا للديمقراطية، لكنه عكس ذلك خضع لنظام شمولي ستاليني، كان الكتاب لاذعا في انتقاداته لنظام أحمد بن بلة وبومدين وأسلوبهما في الحكم بتطبيق الاشتراكية وقمع الديمقراطية وحرية التعبير[3].

يضاف إلى الكتب السالفة الذكر مجموعة المقالات والتقارير والخطب التي أرسلها أو قدمها فرحات عباس في مناسبات مختلفة عبر مساره النضالي، فقد عرف عنه أنه رجل مفكر ومؤلف وخطيب وسياسي بارع، وكما ذكرنا سابقا فإن التطور السياسي لفرحات عباس لم يصاحبه تطور كبير في مرجعياته الفكرية والثقافية، ورغم ترسخ الثقافة الفرنسية ومبادئ الثورة الفرنسية في شخصيته إلا أنه بقى وفيا كذلك لإطاره العربي الإسلامي، وأنه رغم انتمائه للبرجوازية المحلية الجديدة التي ظهرت منذ مطلع القرن العشرين، لم يمنعه ذلك من التعبير عن أفكار غير نخبوية تجسد معاناة الطبقات الشعبية.

---

[1] Abbas, autopsie d'une guerre, op, cit, p.8 .

[2] عبد القادر، حميد، **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، ، الجزائر،2001 ص. 232

[3] المرجع نفسه

المبحث الثالث: التكوين

1. التكوين الاجتماعي:

كان فرحات عباس يفتخر بانتمائه إلى أسرة فلاحية[1]، وبأنه من العامة الذين سلبتهم فرنسا حقوقهم، ويعتبر نموذج والده من حيث الارتقاء الاجتماعي غير مبرر لانسلاخه، فهو لا يتكلم عنه بفخر وحماس، بل يصفه بذلك الإقطاعي الذي لا يرحم الفقراء ويعاقبهم بصرامة[2].

ويستعيد هذا الانتماء من خلال وصفه لطفولته في الريف والأوضاع المزرية، ومأساة الناس البسطاء الذين يعتبر نفسه جزءا منهم وكتب عنهم في وصيته السياسية قائلا " هؤلاء الناس أحبهم ويبادلونني الحب، ومنذ وطئت أقدامي عالم السياسة لأول مرة، فرضت فكرة ترقية هؤلاء الفلاحين نفسها علي، فهي الهدف الأسمى لكل سياسة محترمة...، حلمي الوحيد كان أن أرى الفلاح ينام في سريره بعد أن يأكل جيدا ويقرأ جريدته"[3] وهو يعبر في هذه الوصية عن ارتباطه الكبير بفئة الفلاحين وحبه لهم، وهذا الطرح يكون قد تأثر به فرحات عباس من أفكار الديمقراطيين الاجتماعيين، فهو لم يكن يميز بين المعمر الأوروبي والإقطاعي الجزائري، والذي يمثل والده نموذجا له فهما في نظره متحالفان من أجل استغلال الفلاحين.

ولذلك ركز فرحات عباس في نضاله على المساواة ومواجهة هؤلاء الذين يعرقلون ترقية المجتمع الجزائري، والمتمثلين في الإقطاعية الاستعمارية والإقطاع العربي من مرابطين وقياد. ويقول عن والده: "بأنه لم يكن من طراز هؤلاء الرجال العظماء الداعين إلى تحسين وضعية الفلاحين، بل كان مجرد مالك أراضي يرتدي برنوسا أحمر يفتخر به كثيرا، ولا تهمه إطلاقا وضعية فلاحيه"[4]، رغم أنه في الحقيقة ينتمي إلى طبقة إجتماعية معدومة وبسيطة قبل 1871، فقد كان يشتغل كأجير في أرض الكولون لمدة 15 ساعة، لكنه استطاع أن يتحول مع مر الزمن من مجرد معدوم إلى تاجر له مكانته الاجتماعية ثم إلى مالك أراضي بعد شراءئه لـ 40 هكتارا نتيجة علاقاته مع المستشار العام لمدينة جيجل "ديستيار دوفيجي" فوالده ينتمي إلى الفئة الجديدة التي ظهرت في المجتمع

---

[1] Ferhat,Abbas, **"je suis fils et petit-fils de paysan",**l'entente franco musulmane ,n°110 , 16/02/1939.

[2] عبد القادر، حميد، مرجع سابق، ص. 22

[3] المرجع نفسه، ص. 21

[4] Ferhat, Abbas, Le jeune Algérien,op,cit,p.186.

الجزائري في نهاية القرن التاسع عشر والتي قدرت بحوالي 5000 مالك[1].

ويتجلى لنا الارتباط الكبير لفرحات عباس بوسطه الفلاحي في تركيزه الشديد على الفلاح والريف في كل أفكاره الإصلاحية، التي تمثلت في المدرسة، والطريق والمستشفى،والمقصود ترقية الفلاح وتنميته عبر مراحل، فالمعلم والمدرسة هما أساس الوعي والطريق مرتبط بالمدرسة واندماج الناس، أما المستشفى فهو عافية وصحة المجتمع[2]، أي الاهتمام بالريف لأنه يمثل الفلاح الذي يمثل كذلك أغلبية الشعب الجزائري، ويرى فرحات عباس أنه لا يمكن ترقية الفلاح وإخراجه من بؤسه إلا بإقامة إصلاح زراعي يقوم أساسا على إعطاء أراضي لهؤلاء الفلاحين.

إن هذه الأفكار التي طرحها فرحات عباس برغم ثقافته الغربية ومكانة والده ضمن الإقطاعية الجديدة هي التي جعلت بعض المؤرخين كبنجامين ستورا يتساءلون عما إذا كان النضال ضد النظام الاستعماري بدأ من التمرد على الأب، الذي كان يجسد التبعية العمياء والولاء للكولون، كما كان يمثل بممارساته المتعالية الإقطاعية المحلية الجديدة التي لم تعد خاضعة للتضامن القبلي كما كان الأمر من قبل الغزو، بل تخدم الاحتلال ولا تهمها إلا مصالحها، وفي الوقت نفسه التمرد على الثقافة الاستعمارية التي لا علاقة لها بعصر الأنوار.[3]

ويشكل هذا التناقض الاجتماعي ليس لفرحات عباس فقط بل لمعظم النخبة الجزائرية تحديا مستمرا، فهو من جهة محسوبا على أسرة متعاونة مع إدارة الاحتلال، وبانتماء فكري وثقافي غربي ومن جهة أخرى مشدودا إلى أصوله الريفية الفلاحية التي يرفض التخلي عنها ويرى نفسه يتحمل مسؤولية الدفاع عنها.

يمثل فرحات عباس الجيل الذي ينتمي إلى المجتمع الجديد الذي أسهمت فرنسا في تشكيله من خلال منحه الإمتيازات، والثروة، والمنصب الاجتماعي، من خريجي المدرسة الفرنسية التي أرادت من خلالها تشكيل طبقة أو نخبة موالية لها تحمل إيديولوجيتها، وتكون أداة سياسية وفكرية وطبقة وسيطة لخدمة السياسة الاستعمارية.

في هذه البيئة الاجتماعية نشأ فرحات عباس، لذلك شبه الجزائر أثناء سيطرة المعمرين المتحالفين مع الإقطاعيين من العرب بالوضع في فرنسا عشية ثورة 1789، أين تحالف النبلاء مع

---

[1] Stora, Daoud,op,cit,p.21

[2] Abbas, Le jeune Algérien, op, cit, p.156

[3] Stora, Daoud,op,cit,p.22 .

رجال الكنيسة فكتب: " أنا كنت أظن أن الجزائر على أهبة ثورة 1789، كان فلاحونا يشبهون أولئك الفلاحين الفرنسيين، وأن الأوروبي المصفوف بأساطين العرب من قواد وأغاوات وأرباب الزوايا، كان بمثابة الإقطاعي الفرنسي في فرنسا وفرنسا هي الملك "[1] وهو بذلك يستنجد بفرنسا زعيمة الحرية ضد فرنسا الاستعمارية، واستمر هذا الاعتقاد راسخا في جميع مراحل نضاله السياسي.

وإذا كان فرحات عباس قد تطور سياسيا في مواقفه تجاه الاستعمار إلا أنه بقي ثابتا في أفكاره الاقتصادية والاجتماعية والمتمثلة في ترقية الإنسان وخدمة الفلاح، متأثرا بذلك بالفكر الاشتراكي الإنساني، بالرغم من أنه كان ليبراليا يؤمن بالاقتصاد الحر، لكن ليس على حساب المجتمع، فهو ضد النظام الرأسمالي المرتبط في نظره بالاستعمار والاحتكار" حيث نجد على رأس كل المرافق الاقتصادية نفس الرجال ونفس العائلات ونفس أصحاب رؤوس الأموال"[2] لكنه يرفض في نفس الوقت أن يكون النظام الشيوعي بديلا له لأنه لا يتماشى مع المجتمع المسلم[3].

تأثر فرحات عباس بوسطه الاجتماعي وبيئته الريفية، وخاصة الظلم الاجتماعي الذي كان يرفضه، فكتب كثيرا عن معاناة الفلاحين حيث يقول:" كنت أتذكر جيدا وأنا طفل في المدرسة جباة الضرائب عندما يأتون في منتصف سبتمبر من بلدية الطاهير المختلطة لجمع الضرائب، كانوا يمكثون في بيتنا عشرة أيام، هناك مشهد ولكنه مشهد مأساوي رأيته بعيني الفلاحون الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون دفع ضرائبهم، يتعرضون للعقاب حيث تعرى رؤوسهم، وتربط أيديهم إلى الخلف، أسأل أعيان الدوار، لماذا هذا العقاب؟ فيجيبونني بقولهم: إن والدك ليس قاسيا، القايد م... كان يقيدهم ويسكب اللبن فوق رؤوسهم ليتجمع الذباب لإزعاجهم، وقد توصلت إلى سرقة الأموال من أمي لأدفعها لهؤلاء الفلاحين، حيث ينقصهم فرنكان أو ثلاثة فقط، هذا شيئ مؤلم لي كثيرا "[4].

وقد تجلى ارتباط فرحات عباس بوسطه الاجتماعي في البرنامج الذي تبناه حتى عام 1956

---

[1] فرحات، عباس، المرجع السابق، ص.136.

[2] المرجع نفسه، ص. 116

[3] Charles-Robert, Ageron, **Ferhat Abbas mon testament politique**,Elthakafa,n°107-108,Mars Avril,1995,p33.

[4] ibid, p.29

انطلاقا من قناعته بأن مشكلة التخلف لا تكمن في فرنسا وحدها، بل تمكن في كمشة من المعمرين الذين يعرقلون تطور المجتمع، ويكمن الحل في التخلص من نفوذ هؤلاء، ويقوم هذا البرنامج على الإصلاح الزراعي، بإعادة توزيع الأراضي على صغار الفلاحين ومساعدتم على تحديث زراعتهم بإقامة القرض الفلاحي[1]، بالإضافة إلى ضرورة بناء المدارس والمستشفيات والطرق وغيرها من المشاريع الاجتماعية الأخرى، التي يجب أن تكون بسيطة ومنتشرة في كل المداشر والقرى، وحسب رأيه تمول هذه المشاريع بواسطة الضرائب على أصحاب المهن الحرة وأصحاب مختلف الملكيات بل ويقترح فرض ضريبة على النخب حيث يقول: " نحن الأطباء والمحامين والصيادلة والموظفين السامون مستعدون لتقديم تضحيات أخرى، لأنه ليس من العدل أن نحكم دون أن يخدم الجماهير"[2].

كما يمكن حسب رأيه توظيف تقاليد، وقيم المجتمع الثقافية والدينية المرتكزة على التعاون وعمل الخير، والصدقات، والتآزر الواردة في الدين الإسلامي، وأنه إذا كان الوضع الاجتماعي مهددا لابد من أخذ أموال الأغنياء وإعادة توزيعها من جديد، فالأولوية هنا هي إنقاذ وتطوير المجتمع قبل أي تطور اقتصادي، ويربط نجاح الحكومات بمدى قدرتا وإقدامها على ترقية فئة الفلاحين، ويعتقد أنه لو قامت الأيالة بتحريرهم بتحطيم الإقطاعية التركية لما كان بإمكان فرنسا أن تغزو الجزائر سنة 1830[3].

ويستدل فرحات عباس على صواب هذا الطرح بأن الجزائر العسكرية الرسمية لم تصمد أمام الغزو الفرنسي لبلادنا سوى عشرين يوما، أما جزائر الفلاحين فقد صمدت نصف قرن، الفلاح دافع عن أرضه وحريته، ولم يتوقف عن ذلك إلا بعد أن تفوق عليه سلاح الاحتلال، حقيقة يقول بجهلها البعض تعلمتها وأنا صغيرا على ركبتي جدتي.[4]

إن الدارس للفكر الاجتماعي لفرحات عباس يجده قد صنف نفسه ضمن طبقة الفلاحين وأنه رغم انتمائه إلى الطبقة المتوسطة الجديدة يعتقد أن التحرر الاجتماعي هو أساس أي تحرر سياسي.

---

[1] Abbas,le jeune Algerien,op,cit ,p.183

[2] Ibid, p.160

[3] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص. 22

[4] ibid,pp.97-98

2.التكوين الثقافي:

إن دراسة الفكر السياسي لفرحات عباس لا يمكن إدراكه إلا بالإطلاع على المرجعيات الفكرية التي أثرت فيه خلال مراحل تعليمه المختلفة، أو من خلال إطلاعه على المدارس السياسية والفكرية.

أدخله والده وهو في سن الثامنة إلى المدرسة القرآنية لتعلم القرآن الكريم، وهي المكان الذي كان يقصده كل أبناء المجتمع المحافظ، وعلى يد معلميه تعلم قيم الإسلام واحترام الدين والتواضع كان محبوبا من زملائه لأنه لم يكن يختلف عنهم في لباسه المتمثل في قشابة وقميص وأرجل حافية،[1] وبعد المدرسة كان يعود ليقوم بالرعي، فلم تكن طفولته تختلف عن بقية أقرانه من أطفال الجزائر، وهو يحب دائما استرجاع هذه المرحلة من حياته.

كان والده أميا لا يعرف القراءة والكتابة، ينتمي إلى الفئة الجديدة التي ظهرت بعد المقاومات الشعبية الكبرى والموالية للجمهورية الفرنسية[2]، لكنه رغم قسوته وتعاليه كان متحمسا لتعليم أبنائه، يذكر فرحات عباس أن والدهم كان يقول لهم :" إن أحسن إرث أتركه لكم هو العلم، ولا أحد يستطيع أن ينتزعه منكم، فالكتاب أحسن صديق للإنسان "[3] هذه النظرة كانت نابعة من تصور عام لهذه الفئة الجديدة وهى أن الارتقاء الاجتماعي المادي يرافقه حضور في المراكز الإدارية والسياسية وكان التعليم هو الوسيلة لهذا الارتقاء.

لذلك أرسله والده إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية بالطاهير، وبعد عامين ثم نقله إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية بجيجل، عن هذه المرحلة الهادئة كتب بنجامين سطورا: " إنه الإحتكاك الأول مع المدينة والبحر الذي لم يتوقف عن فرض سحره عليه "[4]، لكن جيجل تمثل كذلك تاريخ الصمود في وجه الغزاة عبر مراحل التاريخ، من فينيقيين ورومان ووندال، وقد اتخذها الإخوة عروج وخير الدين عاصمة لهم في مطلع القرن السادس عشر، إنها المدينة التي قهرت الدوق "دي بوفور" في جويلية 1664، حيث خسر 2000 عسكري بسبب مقاومة أهلها، هذه الذكريات كان

---

[1] Ageron, op, cit, p.28

[2] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.22.

[3] Abbas, Autopsie d’une guerre, op, cit, p.162

[4] Stora,Daoud, op,cit,p.18

من الطبيعي أن تنتقل إليه أفكار المقاومة والدفاع عن الذات[1].

في المدرسة التي لم تكن إلا في متناول المحظوظين من الجزائريين، واجه تحديات كثيرة أولها احتقار زملائه الأوروبيين في المدرسة، الذين كانوا يسخرون من العرب " الجد الأحمر"[2] كما كانوا ينعتونهم، كان يقرأ كثيرا من الكتب المدرسية التي قدمت له فرنسا كنموذج للحرية ومثالا لحقوق الإنسان، كان يقرأ عن المهمة الحضارية لفرنسا، ففي دليل لافيس Lavisse المدرسي يجد " تريد فرنسا أن يصبح الأطفال العرب أكثر علما من الأطفال الفرنسيين "[3] لكن الحقيقة أن فرنسا نشرت التخلف والجهل، كان فرحات عباس يعتقد ويؤمن بفرنسا ورسالتها الحضارية في تطوير الشعوب التي خضعت لها، وفي الوقت نفسه يصطدم بالتفرقة والتمييز العنصري بينهم وبين الأطفال الأوروبيين، وكيف كان يمنع عليهم التحدث بالعربية مثلا، وهذا هو في الحقيقة الهدف من إنشاء المدرسة الفرنسية الإسلامية طمس الشخصية الجزائرية وغرس ثقافة دخيلة.

من جيجل انتقل للدراسة في متوسطة" فليب فيل" سكيكدة حاليا وهو في السادسة عشرة من عمره، وهناك التقى بأبناء القياد مثله الذين تحصلوا على منح دراسية بسبب مناصب آبائهم والحاملين بوظائف إدارية يحققون من خلالها الرقي الاجتماعي[4].

في سن الثامنة عشره ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى انتقل فرحات عباس للدراسة الثانوية بقسنطينة، إن هذه المدينة برصيدها التاريخي والحضاري ومخزونها الثقافي، سيكون لها بالغ الأثر في شخصيته، إنها عاصمة ملوك نوميديا ومقاومتها للرومان، مملكة القمح وكل الخيرات، بمساجدها ونشاطاتها الثقافية، كانت منارة العلم ورمز الصمود أمام الاحتلال، كل هذا الزخم الذي تمثله قسنطينة يؤدي إلى استقراء التاريخ، وتشكيل وعي لحركيته، وبها سيكون فرحات عباس ناشطا كبيرا ضمن فيدرالية النواب، ومنها سيبرز نشاط العلماء وتأثير ابن باديس.

بعد حصوله على شهادة البكالوريا سنة 1921، يتوقف عن الدراسة لتأدية الخدمة العسكرية

---

[1] عزالدين ، معزة ، المرجع السابق،ص.41

[2] لأنهم كانوا يضعون على رؤوسهم شاشيات حمراء، كما يطلقون عليهم الحجارة المحلوقة أنظر:

Stora, Daoud, op, cit, p.22

[3] Ibid, p.24

[4] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.26.

بمدينة عنابة لمدة ثلاث سنوات، حيث كلف بمهمة كاتب مسير في مستشفى قسنطينة ثم جيجل خرج من الخدمة برتبة رقيب[1] وهي رتبة لا تليق بمؤهلاته العلمية ،هذا التمييز الذي عاشه فرحات عباس في المدرسة، والجيش يعني له اللاعدالة، لذلك ركز في مطالبه وحتى انتقاداته للسياسة الفرنسية على تحقيق المساواة والعدالة.

بعد 1923 عاد إلى الحياة المهنية والعلمية فالتحق بجامعة الجزائر فرع الصيدلة، وكان من القلائل جدا حيث لم يكن مسجلا بهذا الفرع سوى ثمانية طلاب مسلمين جزائريين، ولم يكن في الجامعة سوى 50طالبا مسلما و2000 طالب أوروبي[2]، ولم يكن اختياره للصيدلة عن رغبة ملحة بل لأن هذا التخصص يسمح له بعد تخرجه من ممارسة الأعمال الحرة، ويكون مستقلا عن إدارة الاحتلال التي تمنع على الجزائريين تقلد المناصب العليا[3].

في العاصمة تفتحت أمامه آفاق واسعة، فهي تمثل التمدن والثقافة وفيها برزت مواهبه وقدراته كطالب نشط وكمناضل متحمس للاندماج مع جميع شرائح المجتمع، كان يرتاد المقاهي ويشرب الشاي ويتحدث بحماس مع أصدقائه من الطلبة المسلمين والأوروبيين كان يهمه العلم أكثر من المال[4].

يلخص فرحات عباس مراحل حياته الدراسية بقوله: " إن الكتب كانت تصور لنا فرنسا رمز الحرية، وفي مقاعد الدراسة كنا ننسى جروح الشارع ومآسي القرية، لنسلك جادة التاريخ محلقين جنبا إلى جنب مع أصحاب ثورة 1789 الفرنسيين وجنودها الأبطال كان جل أساتذتنا ومدرسينا يؤمنون بمبادئ الجمهورية والديمقراطية إيمانا تاما،... وأنا شخصيا أينما زاولت دراستي سواء في ثانوية سكيكدة أم في كلية الجزائر، لم أشاهد أية عنصرية في أساتذتي، وما كان يشغلهم إلا نجاح تلامذتهم بقطع النظر عن أصلهم..."[5] لكنه في الوقت نفسه لا يخفي التمييز العنصري بين المسلمين والأوروبيين أثناء أدائه للخدمة العسكرية، إنه الوجه الأخر لفرنسا الاستعمارية.

إن فرحات عباس هو نتاج المدرسة الاستعمارية،وينتمي إلى تلك النخبة التي كونتها فرنسا

---

[1] Stora,Daoud, op,cit,p.28

[2] Ibid,p.41

[3] Naron,op,cit,p.29

[4] Stora,Daoud, op,cit,p.28

[5] عباس، المرجع السابق، ص.136

لتكون الوسيط الأنجع مع الشعب، فهي بحكم تكوينها المتنور، القادرة على نقل الصورة الجميلة لفرنسا والدعوة لها، إنها هيئة أركان مثقفين[1] لإضعاف النخبة المحافظة وإبراز دور فرنسا الحضاري.

وإلى جانب تأثير ما تلقاه في المدارس والكليات الفرنسية، فإن الدراسات الشخصية لفرحات عباس، وتعمقه في الثقافة الفرنسية كان له كبير الأثر في تكوين شخصيته الفكرية والسياسية، كان يحضر محاضرات الأستاذ" غوتييه- Gautier "في كلية الآداب، واطلع على ما كان يكتبه عن تاريخ الجزائر، في كتابه قرون الظلام في المغرب، يعترف الكاتب بنجاح الإسلام وهو في نظره شيء مقلق[2] ثم يتعرض إلى المبررات التي أسهمت في نجاح الإسلام في المنطقة، ويركز على أن الوجود الإسلامي لم يكن ماديا فقط لكنه كان أخلاقيا، وله عقل. هذا هو سر انتصار الإسلام.

إن توظيف فرحات عباس للتاريخ الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، خاصة في مراحل نشاطه الأولى لم يكن بهدف الدفاع عنها بقدر ما هي محاولة لتوجيه الإدارة الاستعمارية وحثها على إتباع نموذج العرب المسلمين وسياستهم في الفتح بدل النموذج الاستعماري إن أرادت فرنسا فعلا دمج الجزائر وإلحاقها بها.

أعاد فرحات عباس قراءة التاريخ وانتقد ما كتبه المؤرخون الفرنسيون الذين شوهوا تاريخ الجزائر، واعتبروا الوجود العربي الإسلامي في الجزائر احتلالا ووصفوا العرب بالعصابات الإسلامية، وهو تزييف للحقيقة التاريخية[3] لكنه في الوقت نفسه أثنى كثيرا على مؤرخين كتبوا بموضوعية عن تاريخ إفريقيا الشمالية مثل شارل اندري جوليان وشارل روبير أجرون.

كما يبرز فرحات عباس في دراسته للتاريخ عدل المسلمين الأوائل وعدم نهبهم الأهالي وتشجيعهم على التعليم دون أي تمييز بين العرب والبربر، أو غيرهم من الأجناس الأخرى[4]، وكثيرا ما كان يقارن بين الوجود العربي الإسلامي، والوجود الروماني، الذي تتخذه فرنسا نموذجا في الجزائر، يقول: " اتسم الاستيطان الروماني أو الفرنسي بالسيطرة والقهر لكن مع الإسلام لم تتغير

[1] Pervillé, op, cit, p.72
[2] Abbas. Autopsie d'une guerre, op, cit, p.32
[3] ibid, p.31
[4] Abbas, Le jeune Algérien, op, cit, p. 85

هذه الأرض، لا في شكلها ولا في شخصيتها ولا ملكيتها"[1] ثم يضيف في مكان آخر قائلا: " إننا لو عدنا إلى الماضي سواء كان القديم أو الوسيط أي عصر الاستعمار الروماني أو الفتح الإسلامي فإن هناك ظاهرتين بارزتين لنا تتمثلان في الفشل التام للأول والنجاح التام للثاني، فمادام هناك أسلوبان فإن هناك نتيجتين."[2]

إن الإشارات التي أوردها فرحات عباس في مقارناته التاريخية، كان يهدف من خلالها إلى أن الإسلام وأساليبه يجب أن تصبح نموذجا لفرنسا إن أرادت فعلا إنجاز عمل دائم وله معا[3] لكن ما يمكن ملاحظته هو توظيف فرحات عباس للتاريخ حسب أهدافه ووفق ما تقتضيه الظروف حتى ولو بالقفز عليه في بعض الأحيان.

إلى جانب المؤثرات الدينية والتاريخية التي شكلت شخصية فرحات عباس، تأثر كذلك بما قرأه لكبار المفكرين والأدباء الفرنسيين الكلاسيكيين من عصر التنوير الذين كتبوا عن الفضائل اللائكية والجمهورية أمثال: فولتير صاحب الأفكار البرجوازية المعادية للكنيسة وخاصة رسائله الفلسفية التي ينتقد فيها الملك لويس الخامس عشر، ويدافع عن الحرية والحب والتسامح ضد الهيمنة والقهر[4] كما قرأ مؤلفات شاتوبريان Chateaubriand[5] مثل عبقري المسيحية الشهداء والطريق من باريس إلى القدس، والمغامرة الأخيرة لأبن سراج التي تصور خروج آخر ملوك المسلمين في غرناطة، وقرأ كذلك لديدرو[6] الذي انتقد الكنيسة وسيطرتها على الفرد والأسرة، كما قرأ لأدباء آخرين كبلزاك، فرانس أناتول، فيكتور هيجو وغيرهم.[7]

إن فلسفة الأنوار التي اعتنقها فرحات عباس تمتاز بكونها رومانسية، تدعو إلى احترام الفرد

---

[1] Ibid, p.131

[2] Abbas,op,cit, p.82

[3] Ibid, p.87

[4] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص. 27

[5] Chateaubrian (1768-1848)،من كبار الكتاب الفرنسيين في بداية القرن 19ومن الحركة الرومانطقية،من مؤلفاته:"آخر بني سراج"،"مذكرات ماوراء القبر"،"رحلة أي اورشليم"،أنظر: [illegible] ،ط12،دار المشرق،بيروت،1976،ص.380

[6] Diderot(1713-1784،)فيلسوف فرنسي نشر مبادئ الالحاد والفلسفة العقلانية في القرن 18 مؤسس موسوعة الانسيكلوبيديا،أنظر: المنجد في اللغة والاعلام،مرجع سابق ،ص.294

[7] Naron,op,cit,p.30

والإرادة العامة، وتحطيم العبودية التي فرضتها الكنيسة منذ العصور الوسطى، وهي الأفكار التي أسهمت في تحرير الفرد الأوروبي وتطوير المجتمع الفرنسي خصوصا ثورة 1789 هذه الأفكار كان لها تأثير كبير على فكر فرحات عباس، فقد شكلت أفكار العدالة والمساواة والحرية أدبياته السياسية عبر مختلف مراحل نضاله، فهو المؤمن بفرنسا الأنوار التي طالما ترجاها لإنصاف الجزائريين.

هذا التكوين الفكري والعلمي جعل فرحات عباس رجل ثقافة مزدوجة، واحدة داخلية خاصة مسلمة، والأخرى عامة سياسية جمهورية[1] هكذا كان فرحات عباس في مطلع حياته السياسية، يمثل تلك الفئة من النخبة التي بالرغم من ثقافتها وتكوينها الجامعي، لم تتمكن من الانفصال نهائيا عن انتماءاتها الثقافية والإسلامية.

3. تكوينه السياسي

اهتم فرحات عباس بالسياسة قبل ممارستها، فمنذ الدراسة تأثر بالقيم التي غرسها فيه معلموه وأساتذته، ومن خلال دراسته لكتب كبار المفكرين والأدباء الفرنسيين الذين كتبوا عن مبادئ الجمهورية والبرجوازية والليبرالية، وتجسدت تلك التأثيرات من خلال نشاطاته الطلابية أو السياسية فيما بعد، ولذلك يجمع كل الدارسين لشخصية فرحات عباس السياسية على أن حياته قد قسمت إلى ثلاث مراحل: مرحلة البحث عن وطن داخل فرنسا، مرحلة البحث عن وطن مع فرنسا،وأخيرا مرحلة البحث عن وطن خارج فرنسا.

وقد كان لفلسفة التنوير تأثير كبير على شخصيته، فأفكار العدالة والحرية والمساواة سيطرت على جميع مراحل حياته، ورغم أنه دخل الجامعة لدراسة الصيدلة إلا أن هذه الأخيرة كانت آخر اهتماماته، فقد استهوته السياسة وهو طالب وساعدته ثقافته الواسعة على ذلك ولهذا يعتبره الكثيرون أنه حامل العلم الذي سقط من يدي الأمير خالد[2].

---

[1] Stora, Daoud,op,cit,p.11

[2] Naron, op, cit, p.28

عرفت الجزائر مع مطلع القرن العشرين نشاطا سياسيا قادته جماعة النخبة، ويعتبر الكثيرون أن تجربة الأمير خالد [1] كرائد للحركة الوطنية الجزائرية جسر عبور بين التراث العربي الإسلامي الذي تراكم منذ نهاية القرن التاسع عشر، وبين العمل الوطني المنظم والمهيكل[2] فالأمير خالد ورغم أنه ينتمي فكريا إلى النخبة المثقفة التي تربت في المدارس الفرنسية على يد الأساتذة الذين علموها طاعة فرنسا، إلا أنه من القلائل من بين أفراد هذه النخبة الذين كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلالية.

لما كان فرحات عباس طالبا بجامعة الجزائر في العشرينات، كان الأمير خالد بمثابة الرمز السياسي للشباب الجزائري المثقف، وما يهمنا في التجربة السياسية للأمير خالد نتائجها بالنسبة لمسيرة المجتمع الجزائري وعلى الحركة الوطنية وفرحات عباس، فهو لم يخف في مذكرته للرئيس "ولسن" في ماي 1919 عدائه للاستعمار وعواطفه الوطنية[3] فشعار حملته الانتخابية "فرنسا والإسلام "كان تعبيرا عن المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية مع المواطنة الفرنسية، وهو بذلك كان يعبر عن مواقف سياسية للنخبة المحافظة، وكان ذلك من أسباب نجاحه في الانتخابات، وهذا الموقف من فرنسا والإسلام يعبر عن ثقافته ومرجعيته لتكونه في المدرسة الفرنسية من جهة وارتباطه بالتراث النضالي للأمير عبد القادر وتمسكه بالإسلام كمقوم أساسي للشخصية الجزائرية من جهة أخرى.

لقد أدت تجربة الأمير خالد إلى ازدياد الوعي والحماس لدى النخبة الجزائرية التي أصبحت تؤمن بإمكانية لعب دور في الحياة الاجتماعية والسياسية، بحيث أصبحت أفكاره المرجعية السياسية للحركة الوطنية،ومشروعا واضحا بجميع أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[4].

---

[1] خالد بن الهاشمي الملقب بالأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر، ولد بدمشق في 20فيفري 1875، تلقى تربية عربية اسلامية وفرنسية، بعد عودة عائلته من سوريا استقرت بالعاصمة ثم بوسعادة، دخل المدرسة العسكرية سان سير عام 1893، ơرج برتبة ضابط في الجيش، عمل سلك، ساند عمه عبد المالك ضد سلطان المغرب، منذ 1910 ربط علاقات مع الشبان الجزائريين، بعد استقالته من الجيش ا٧رط في السياسة ولعب دورا بارزا في الحركة الوطنية أنظر: سعيد، بورنان، **شĂÔاياğ بارزة Ž كفاdz الجزائر**،دار الأمل،ط2 ، 2004 ،الجزائر ص. 37-48

[2] الأشرف، المرجع السابق، ص. 78

[3] Pervillé, op, cit, p.234

[4] Kaddache,op,cit,T1,p.121

كانت حركة الأمير خالد سياسية وطنية وكانت مطالبه تقوم على منح الجزائريين المواطنة الفرنسية في نطاق الأحوال الشخصية الإسلامية، وهو ما يتناخ مع إصلاحات فيفري 1919[1] التي تشترط التخلي عن الأحوال الشخصية للحصول على الجنسية الفرنسية.

كان فرحات عباس يقرأ جريدة الإقدام بانتظام متأثرا بمواقف الأمير خالد، وكان قريبا منه من حيث الطرح القائم على دمج الجزائر بفرنسا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية، وهما بذلك يشتركان في ثقافتهما الفرنسية وإخلاصهما لتقاليدهما الإسلامية والدفاع عن الأهالي ضمن الإطار الفرنسي، وكان هذا يقتضي في نظرهما مساواة الجزائريين والأوروبيين في الحقوق والواجبات وإزالة مفهوم الاحتلال.

إن مطالب فرحات عباس بالإصلاح الاجتماعي وإلغاء التفاوت الطبقي، والتحرر الاجتماعي هي استمرارية لمطالب الأمير خالد، الذي حاول تجسيدها بتأسيسه جمعية الأخوة الجزائرية[2] فأفكار الأمير خالد- أي الأيديولوجية الفرنسية الإسلامية-[3] شكلت مرجعية سياسية لفكر فرحات عباس، والتي عبر عنها من خلال مقالاته السياسية في جريدة الإقدام، وجرائد أخرى في الفترة الممتدة بين 1922-1927 ونشرها في كتابه الشاب الجزائري.

عبر فرحات عباس عن مواقفه السياسية المنتقدة للنظام الاستعماري وهو طالب في الجامعة من خلال المقالات السياسية التي كان ينشرها في جريدة الاقدام وجرائد الشبان الجزائريين تحت اسم مستعار هو "كمال بن سراج"، وقد كان لهذا الاختيار بعده السياسي والتاريخي فاسم كمال يرمز إلى كمال أتاتورك الذي طرد جيوش الاحتلال من بلاده، وأحرز إعجابا لدى النخبة الجزائرية ومصدر إلهام[4]، لهابتحقيقه انتصارات عسكرية على الجيوش الأوروبية، وعلى الرغم من أن حركة كمال أتاتورك قد قضت على الخلافة الإسلامية، إلا أن هذه الصورة لم ترتبط في أذهان

---

[1] من أهم القرارات التي صدرت بعد الحرب أمر 4 فيفيري 1919 القاضي بتوسيع الجنسية الفرنسية إلى بعض الفئات من الجزائريين مثل قدماء المحاربين، ملاك الأراضي والأعيان والأثرياء،...إلخ، وكان هذا القانون يشترط على من يريد الحصول على الجنسية الفرنسية أن لا يكون متزوجا بأكثر من واحدة، وهي دعوة للتخلي عن الأحوال الشخصية أنظر:

Ageron,les algériens musulmans et la France,op,cit ,p.1222

[2] جمعية الأخوة الجزائرية تأسست بنادي الترقي بالعاصمة تحت رعاية الأمير خالد في جانفي 1922، هدفها تحسين الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية للمسلمين الجزائريين، أنظر:الطاهر، العمري،المرجع السابق،ص.194.

[3] Pervillé, op, cit, p. 224

[4] De la barre, op,cit,p.4

النخبة بقدر ما ارتبطت بصورة المحرر من الاحتلال[1] وهو في هذه النقطة يلتقي مع عبد الحميد بن باديس، فقد كتب هذا الأخير مقالا بمناسبة وفاة كمال أتاتورك في 1938 نشره في مجلة الشهاب أشاد فيه بكمال أتاتورك، وعندما يتعرض لموقفه من الإسلام، وتوقيف العمل بالشريعة الإسلامية يحمل ذلك إلى الخليفة العثماني وعلماء الدين الرسميين[2]، وإن كانت التجربة اللائكية هي التي استهوت النخبة.

أما اسم ابن سراج فله دلالة مزدوجة إذ يرمز إلى عبد الله آخر ملوك غرناطة الذي طرد من حكمه سنة 1492 باكيا حكمه متبوعا بلعنات أمه، لأنه لم يدافع عنه مثل الرجال فهو يرمز إلى الاستسلام والذل والمهانة، كما يرمز هذا الاسم إلى قصة شاتوبريان " المغامرة الأخيرة لابن سراج " التي نشرها سنة 1826[3]، وبالجمع بين هذين الاسمين فإن فرحات عباس أراد استعادة الماضي بأمجاده من خلال تحديث الحاضر، كما عبر في آن واحد عن انتمائه للحضارة العربية الإسلامية وعن إعجابه بالثقافة الفرنسية وعن أهمية التوجه إلى المستقبل وعن عبث البكاء على الأطلال.[4]

وبمقالاته السياسية ذاع صيته بين الشبان الجزائريين، وأصبح مثالا لطموحهم الاجتماعي فعين رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بجامعة الجزائر سنة 1926، ثم نائبا لرئيس جمعية مسلمي شمال إفريقيا ورئيسا لها بين 1927-1931.

هذه المكانة التي وصل إليها نتيجة شخصيته القوية، وقدرته الكبيرة على المجادلة والإقناع وثقافته الواسعة كباحث ممتاز، وخطيب ماهر، فبعد أن كانت جمعية الطلبة تهتم بانشغالات الطلبة الاجتماعية، أضفى عليها الطابع السياسي بربطها بمختلف الفئات الشعبية من خلال الحفلات الأسبوعية، والمناسبات الدينية التي كانت تنشطها، والهدف هو ربط الطلبة بعامة الناس والتواصل معهم والإطلاع على مشاكلهم، هذه النظرة البعيدة تهدف إلى إصلاح وضع اجتماعي شامل للمسلمين الجزائريين[5]، ففي تذكيره للطلبة المتخرجين من الجامعة يقول: " بقدر ما يكون الإنسان مستطيعا بقدر ما يجب عليه تجاه مجتمعه، إن الطلاب المسلمين يجب عليهم الكثير من العمل لصالح

---

[1] Stora,Daoud, op,cit,p.17

[2] الميلي، مرجع السابق، ص.47

[3] Stora,Daoud,op,cit,p.17

[4] الميلي ، مرجع ، ص.47

[5] Pervillé, op, cit, p.227

مجتمعهم، خصوصا أنم تشربوا الثقافة الفرنسية فعليهم أن يعملوا كثيرا "[1].

استمر بروز فرحات عباس كزعيم طلابي ومناضل سياسي بتعيينه في أفريل 1930 نائبا لرئيس مجلس الاتحاد الوطني للطلبة الفرانكفونيين، ثم رئيسا لجمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1932 التي كانت تصدر جريدة التلميذ ومن خلالها كان يروج للأفكار الجمهورية وتوعية الجماهير والمطالبة بالحقوق السياسية للجزائريين، وقد مكن النضال الطلابي فرحات عباس من بلورة فكره السياسي القائم على معاداة العنصرية الكولونيالية والاعتقاد أكثر بأفكار الثورة الفرنسية، فهي وحدها القادرة على إبراز الوجه المشرف للثقافة الفرنسية، فهو لا يرى وضعا آخر للجزائر خارج الإطار الفرنسي وهو توجه عام للنخبة الجزائرية في هذه الفترة أي الولاء والتطور ضمن القوانين الفرنسية.

أسهمت عوامل عدة في تكوين شخصية فرحات عباس السياسية، وإيمانه بأن التحرر لا يتم إلا في الإطار الفرنسي، فتأثره بكبار الأدباء والفلاسفة الفرنسيين وبالحركة الإنسانية التي أيقظت ا لتمع الفرنسي للتخلÕ من النظام الملكي الاستبدادي وأدت إلى قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 وتشبعه بالمبادئ الداعية إلى الحرية والمساواة والإخاء " وبسذاجة الشباب كان يظن أن فرنسا قادرة على تصحيح أخطائها "[2] وأن توعية الجماهير ستؤدي حتما للمطالبة بحقوقها السياسية وإلغاء نظام الاحتلال معتمدة على فلسفة التنوير، يقول: " الجزائري يؤمن بفرنسا، لكن بفلسفتها المتنورة، فلسفة القرن 18 "[3].

كما يلخÕ في كتابه ليل الاستعمار تجربة جيله ومبررات تمسكه بفرنسا والتحرر في إطارها " إن ما يفسر إصرار جيلي، وإصرار الأجيال السابقة لنا عل الالتجاء إلى فرنسا الجمهورية التحررية رجاء أن تساعدنا على القضاء على فرنسا الظالمة، اعتقدنا أننا نحتاج فقط لإنارة الأولى لتضع حدا للمآسي التي خلفتها فرنسا المحتلة "[4].

فرنسا التي يطمح إليها هي فرنسا الجمهورية، فرنسا مبادئ ثورة 1789 هي وحدها القادرة على وضع حد للاحتلال، ويعتقد أنه إذا كان النظام الفرنسي يرتكب أخطاء فإن ذلك لا يستلزم

---

[1] Naron,op,cit,p.40

[2] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص. 45.

[3] Abbas, Le jeune Algérien, op, cit, p. 142.

[4] عباس، ليل الإستعمار، ص. 131.

نبذ فكرة الجمهورية ومبادئها.

إن دفاع فرحات عباس عن الثقافة الفرنسية وتأكيده انه متشبع بها قد دفع بعضهم إلى الخلط بين تعلقه بتلك الثقافة، وتبعيته للسياسة الفرنسية، رغم أنهما أمران مختلفان، وإذا كان يحدث أن يلتقي الأمران لدى بعض الساسة فذلك لا يعني بالضرورة أن كل متشبع بالثقافة الفرنسية يعتبر حتما مواليا للسياسة الفرنسية بصورة مطلقة[1].

إن الدارس لفكر فرحات عباس سيجد من خلال كتاباته تأثيرات المشرق والفكر الإسلامي بشكل عام، فهو لم يخف إعجابه بالأتراك الذين صاروا حلفاء الألمان في الحرب العالمية الأولى وذكرنا سابقا اختياره لاسم كمال بن سراج في المقالات التي كان ينشرها في العشرينات، فاسم كمال كان يرمز إلى كمال أتاتورك الذي طرد جيوش الاحتلال من بلاده، وهو بذلك يعبر عن انتمائه للخط السياسي الذي كان يمثله الأمير خالد ضمن حركة الشبان الجزائريين، ونلاحظ هذا التأثير في بعض المقالات التي تضمنها كتابه الشاب الجزائري، فهو يرى أن التاريخ سوف يحتفظ بأسماء مصطفى كمال وسعد زغلول ليس فقط بالنسبة للمسلمين بل بالنسبة إلى الشعوب التي تكافح من أجل حريتها[2].

كما يعتقد أن الشيخ محمد عبده والملك ابن سعود ومصطفى كمال قد وضعوا الدعائم الأولى للمجتمع الإسلامي في المستقبل، وهو بهذا الطرح يساند حركة التجديد التي عرفها العالم الإسلامي، ويلتقي مع جمعية العلماء في ذلك لكنه لا يخرج عن الفكرة المطروحة لجماعة النخبة وهي نهضة الإسلام بواسطة فرنسا، لكن على هذه الأخيرة أن تتناسى أحقادها الدينية التي تراكمت على مر التاريخ،وفي الوقت نفسه يدعو إلى التعايش بين الإسلام والنصرانية، كما يرى أنه لا يوجد في الإسلام أي أمر يمنع المسلم الجزائري من أن يكون فرنسيا[3] وفي مقال كتبه سنة 1926 بعنوان" الاستعمار والأحقاد الدينية " جاء فيه: " ظل الإسلام هو عقيدتنا، هو الإيمان الذي يعطي لحياتنا مغزى، هو وطننا الروحي، إن قانون الأحوال الشخصية هو بلدنا الحقيقي، فهل من التعصب الحرص على أن نكون نحن نحن "[4].

---

[1] الميلي، مرجع سابق، ص.46 .

[2] Naron,op,cit,p.43.

[3] Abbas, Le jeune Algérien, op, cit, p. 152.

[4] الميلي، مرجع سابق، ص.45.

ويلخص فرحات عباس مرجعيته السياسية والفكرية في مقدمة كتابه الشاب الجزائري الذي أعيد طبعه سنة 1981 يقول في هذه المقدمة مايلي: " قيل عني موال لفرنسا، والعبارة التي تصدق بالنسبة لحالتي، هو أن ثقافتي هي الفرنسية، ثم يضيف متسائلا: هذا التعليم الفرنسي هل يمكن أن يؤدي إلى محو شخصيتنا واقتطاعنا من ماضينا ؟ ثم يجيب: لم أعتقد ذلك في يوم من الأيام، إن الإسلام وطن روحي لا حدود له، يقود خطواتنا من المهد إلى اللحد، وطن يتمثل ويهضم الثقافات الأجنبية دون أن تبتلعه، بل ودون أن تحرفه أو تضعفه وهذا جعلني أظل مسلما وجزائريا بجميع أحاسيس روحي، لكن الثقافة الفرنسية أعطتني حس حياة رفيعا وجعلتني أقدر قيم الديمقراطية والإنسان"[1]، وفي مكان آخر يقول: " إن الجزائر أرض عربية، وأن الجزائر أرض إسلامية ليس في ذلك لبس ولا غموض، ورغم عزم الاستعمار الفرنسي، الاستعمار الماضي والحاضر، ورغم قواته وجيوشه فإن عروبة الجزائر وإسلامها يكونان الحقيقة التاريخية الجوهرية التي لا يمكن جحودها ولا إنكارها والحقيقة الدائمة التي يجب أن تبقى أبدا ماثلة بالأبصار وراسخة في الأفكار"[2].

هكذا كان يحلم فرحات عباس بجزائر تسودها قيم العدالة والمساواة، كان يعتقد أن فرنسا الديمقراطية قادرة على إعطاء المسلمين حقوقهم وتقودهم نحو الرقي والتطور كان صادقا في مواقفه وأفكاره، فعندما كان يعتبر المساواة بين الجزائريين، والفرنسيين في إطار فرنسي هو الحل قال ذلك بصراحة، وعندما استخلص استحالة ذلك لأن الفرنسيين أنفسهم يرفضونه، طالب بحكم ذاتي وجمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا من خلال البيان الذي قدمه إلى فرنسا والذي تحول بعد الحرب العالمية الثانية إلى برنامج لحزب سياسي هو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وعندما يئس من إمكانية إيجاد حل سلمي بعد قيام الثورة المسلحة لم يعاند ولم يعتزل السياسة، بل انضم إلى جبهة التحرير الوطني وقدم خدمات معتبرة لقضية الاستقلال.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص.46.

[2] عباس، ليل الاستعمار، ص ص.24-25.

[3] Stora, Daoud,op,cit,p.44

تناولنا في الفصل الأول بيئة فرحـات عبـاس ،وتكوينـه باعتبـاره نموذجـا للمـثقفين الاندماجيين،وسنتناول في هذا الفصل المرحلة الأولى من مسار فرحات عبـاس ،وهـي مرحلـة الإدماج وارتأينا أن الضرورة المنهجية تفرض علينا التعريف بمفهوم الإدماج ومدلوله في المشـاريع الاستعمارية،لابراز التيار الإدماجي في الجزائر باعتباره نتاج السياسات الفرنسية المتعاقبة.

لم يأخذ الإدماج صورة واحدة ،وإنما تكيف تاريخيا حسب المعطيات ،وحسب تصورات واضعيه،فإذا كان في البداية يعني تطبيق النظم الفرنسية علي فرنسي الجزائر،فإنه بعد سبعينات القرن 19 بدأ الحديث عن إدماج الجزائريين في المجتمع الاستعماري ودفعهم إلى التخلي عن كل ما يمثل شخصيتهم و تقاليدهم.

مع مطلع القرن العشرين تغيرت المعطيات الاجتماعية و الاقتصادية ،مما سمح ببروز حركة مطلبيه للجزائريين تبنتها نخبة متخرجة من المدارس الفرنسية ،ومتشبعة بالثقافة الغربية ،وضعت نفسها في مواجهة الواقع الاستعماري بأساليب وأشكال جديدة وفق تصور جديد يقوم علي توجيه المجتمع الجزائري نحو النموذج الأوروبي ،علي أساس التمييز بين فرنسا الديمقراطية ،وفرنسا الاستعمارية .

وقد حاولنا تتبع جذور الاتجاه الادماجي في الجزائر ،ومختلف تحولاته ،وتحديد مرجعياته الاجتماعية ،والفكرية ،والأيديولوجية ،وتفاعله مع المشاريع الاستعمارية التي كان مشروع فيوليت أهمها،وهو المشروع الذي أدي فشله إلي خيبة أمل الاندماجيين ،وفشلهم أيضا،وجعل بعضهم يعود إلي الشعب مثل فرحات عباس ،الذي أسس حزبه الاتحاد الشعبي بعد أن اقتنع بضرورة الاعتماد علي الجماهير بدل النخبة.

كما تعرضنا إلي الطرح الادماجي لفرحات عباس ،وخصوصياته من خلال آراءه ومواقفه من قضايا حساسة حاولنا وضعها في سياق ذلك الوقت ،كمفهومه للدين ،ولمسألة التجنيس لارتباطهما بالقانون الأساسي للأحوال الشخصية الذي شكل محور أساسي ،وموضوع توتر باستمرار في صراع المجتمع مع الإدارة الاستعمارية ،ونقطة خلاف داخل النخبة الاندماجية نفسها،التي ظلت طروحاتا الاندماجية لا تحظى بأي اهتمام وحوربت بشدة من الجزائريين والمعمرين لأسباب مختلفة فكان مصيرها الفشل.

المبحث الأول: الفكر الإدماجي الجذور والتطور.

1. مفهوم الإدماج ومدلوله في السياسة الاستعمارية:

الإدماج هو التماثل بين المستعمرة ودولة الأصل في نظام الحكم والتسوية بينهما ويرتكز على فكرة أن إقليم ما وراء البحر ليس إلا امتدادا لدولة الأصل، فيجب أن يوضع تحت نفس النظام هناك أو على الأقل تحت نظام مقارب له، وأن سكان الدولة الذين هم في الجانب الآخر من البحر يجب ألاّ تكون حقوقهم وضماناتهم أقل من أولئك الذين يعيشون في الجزء الأقدم من الدولة بمعنى أن فتح مستعمرة جديدة لا يعني إلا مجرد إضافة مقاطعة جديدة للنظام الإداري القائم في الدولة [1].

وظاهر الإدماج غير باطنه، فظاهره هو تحقيق التماثل بين الدولة المستعمرة ودولة الأصل كما لو كانت مجرد امتداد للثانية بمعنى " تحويل المواطن الجزائري معنويا وماديا ليصبح شبيها لمثيله بالميتروبول"[2]، أما باطنه فهو لا ينطبق في الجزائر إلا على الأرض ومن عليها من المستعمرين دون السكان الأصليين الذين تستهدف السياسة الاستعمارية إقصاءهم وإجلاءهم من أراضيهم، فالذي يريده المستعمرون هو إدماج أرض الجزائر في فرنسا لا التسوية بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات كما يقضي بذلك منطق الإدماج، فهو إدماج بالنسبة للمستعمرين ولكنه إخضاع للسكان الأصليين [3].

ومنذ الاحتلال سعت فرنسا إلى تحقيق مشروعها المتمثل في محاولة إدماج وطن كان يختلف عنها بشريا وطبيعيا وهذا المشروع لم يكن وليد القرن العشرين وإنما يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد بدأ بإلحاق التراب الجزائري بموجب قرار 22 جويلية 1834،ثم جاء مرسوم 4 مارس 1848 ليعزز انتصار دعاة الإدماج،بحيث اعتبر الجزائر قطعة فرنسية،وربط جميع المصالح الإدارية بمثيلاتها في فرنسا[4]، لكن هذا القرار ظل شكليا مادام المجتمع الجزائري معاديا له

1 محمد، حسنين، **الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب**، ط 4، الجزائر، 1986، ص. 33.

2 أمحمد، مالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط2،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1994، ص. 33.

3 المرجع نفسه، ص. 37.

4 Kamel,Kateb,"**Les politiques françaises d'assimilation en Algérie**",Institut national d'étude démographique,site: http://www.minorites.org/article.php?IDA=8944

والمقاومات الشعبية أثبتت ذلك ولم يأخذ مشروع الإدماج صورة واحدة وإنما تكيف تاريخيا حسب المعطيات وتبعا لتصورات واضعيه [1].

في بداية الاحتلال جاء الجنرال بيجو[2] بفكرة الإدماج الكامل للشعب الجزائري بتذويبه في العنصر الأوروبي والتخلي عن سياسة الاحتلال الجزئي وتطبيق الاحتلال الكامل، وتحويل الجزائر فعلا إلى أرض فرنسية، وخلق شعب موحد تحت السلطة الأبوية لملك الفرنسيين[3].

غير أن هذا المشروع لم يأت بثماره، لكنه لم يضعف من دعوة فرنسا إلى إلحاق الجزائر وهذا الفشل كان حدا فاصلا بين مرحلتين في تفكير فرنسا، بين حقبة العشوائية في التوسع وفترة التخطيط للاستعمار، عبر رسم سياسات منتظمة حول مفهوم الإدماج[4]، فجاء نابليون الثالث بمشروع المملكة العربية الذي ضمنه في مذكرته إلى الحاكم العام "مكماهون-Mac-Mahon" بتاريخ 20 جوان1865[5] لكن هذه السياسة لم تخرج عن إطارها السياسي العام والمتمثل في دمج الجزائر بفرنسا.

ولكي يعطي لسياسته طابعا عمليا أصدر نابليون "قرارا مشيخيا" في 14 جويلية 1865 عرف بقانون "السناتوس كونسيلت-Sénatus Consult" والذي يحدد وينظم الوضع القانوني للأهالي المسلمين بالجزائر، حيث أقر في بنده الأول أن الأهالي المسلمين هم رعايا فرنسيون ولكنهم يضلون خاضعين للقانون الإسلامي في قضايا الأحوال الشخصية، ويستطيع هؤلاء بطلب منهم الحصول على جميع حقوق المواطنة الفرنسية، ولكنهم في هذه الحالة يخضعون للقوانين المدنية الفرنسية[6]، وقد كان الهدف من هذا المشروع إدماج الجزائريين تدريجيا في المجتمع الفرنسي.

---

[1] Kamel,Kateb,op,cit.

[2] Thomas,bugeaud 1774-1849من كبار القادة العسكريين الفرنسيين الذين اشتهروا في الحروب النابوليونية،وفي احتلال الجزائرخاصة الحروب التي خاضها مع الامير عبد القادر،عين حاكم عام عسكري من 1840-1847برتبة مارشال،أنظر: **Encarta**,2006

[3] إبراهيم، لونيسي، **"الفكرة الإندماجية في الجزائر 1830-1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري"**، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 1، ص ص.109-110.

[4] أحمد، مالكي، المرجع السابق، ص.166.

[5] تضمنت الرسالة ثماني وثمانين صفحة موثقة بمعطيات الخاصة بالوضع الإداري والاجتماعي وبالتقييمات والاقتراحات لتحديد السياسة الاستعمارية تجاه الجزائر، أنظر: نفس المرجع، ص.172.

[6] Patrick,weil,le statut des musulmans en Algérie colonial ….,op,cit.

لما جاءت الجمهورية الثالثة مع "جول فيري" اقترحت الإدماج بواسطة المدرسة باعتبارها أحسن طريقة لفرنسة البلاد كلها[1]، ومع بداية القرن العشرين وتبلور وعي النخبة الجزائرية الجديدة وأشكال المطالبة بالحقوق مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية تكونت قناعة عند منظري السياسة الفرنسية بضرورة عزل هذه النخبة عن قاعدتها الشعبية، يمنح أفرادها حقوق المواطنة الفرنسية مع المحافظة على القانون الأساسي للأحوال الشخصية، وقد تجسدت هذه الفكرة من خلال مشروع بلوم-فيوليت[2].

إن فكرة استبدال الهوية الجزائرية بالهوية الفرنسية، والأخذ بالنموذج الفرنسي والغربي بشكل عام إنساقت وراءه بعض أفراد النخبة الجزائرية، وبعد أن كان مجرد إعجاب وطموح أصبح يشكل توجها وتيارا ثقافيا، واجتماعيا، وسياسيا عرفته الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين،فكيف ظهرت هذه النخبة؟ وماهي أفكارها ومرجعياتها؟ وما مصيرها؟.

2. ظهور النخبة الاندماجية ومرجعياتها:

يجمع المؤرخون ارتباط الفكرة الاندماجية في الجزائر بحركة الشبان الجزائريين وتعود تسمية الشبان الجزائريين إلى ذلك النموذج من الحركات السياسية التي عرفتها القوميات الحديثة، فعلى موضة تلك الفترة التي كان يتحدث فيها عن "الشبان الأتراك" و"الشبان المصريين" و"الشبان التونسيون" أطلق على أفراد هذه الحركة تسمية "الشبان الجزائريين"[3].

ولم تكن تلك التسمية الوحيدة فهناك من سماهم العمامات الشابة، تميزا عن العمامات القديمة، بينما أطلق عليهم أبو القاسم سعد الله اسم "النخبة"، وفضل البعض مصطلح

---

[1] وقع خلاف حول كيفية إدماج الجزائريين،بين من يعارض نهائيا،وبين داعي لإدماجهم ببطء عن طريق المدرسة،وتغيير الحالة المدنية والتجنس،من خلال المرور بفئة قليلة وبالتدرج ،وهي فئة النخبة المتخرجة من المدرسة الفرنسية،أنظر:
سعدالله،تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق ،ص.370.

[2] الطاهر، عمري، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع التمع1900-1940،المرجع السابق، ص ص.418-419.

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.17.

"انتلجانسيا"[1]، والبعض الآخر مصطلح "الليبرالين"، وهذا الاختلاف في وضع تعريـف موحـد للشبان الجزائريين يرجع أساسا إلى مكونات هذه الفئة، فهناك من يعرفها علـى أسـاس الطبقـة الاجتماعية التي تنتمي إليها وهي الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة، وفريق ثان أخذ بمعيـار ثقافي للتفريق بينها والطبقات الاجتماعية الأخرى[2].

يعرفهم أحد أفراد هذه الحركة وهو "الشريف بن حبيلس":" إنا أي النخبة مجموعة الشـبان المتكونين في الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجمـاهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"[3] بينما يعرفهم "جورج مارسـي- George Marçier" وهو أحد المعلمين المستشرقين في تلمسان " الشبان الجزائريين هم الطبقة التي جمعت بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية، والذين يعرفون في الوقت نفسه عـن مـؤلفي العصـر الـذهبي الإسلامي وعن كتابات التراث الفرنسي"[4].

وحسب الجمعي Rري فإن أدق التعريفات ذلك الذي قدمه "أندري سرفي André Servier–" أحد المحررين في جريدة الترقية القسنطينية في كتابه "خطر المستقبل" فهو يرى أن الشبان الجزائريين هم "الطبقة الحديثة السن التي يقل عمرها عن الأربعين سنة، ولها تكوين ثقافي فرنسي أو مـزدوج والتي تتميز بأن لها نزعة سياسية تدف إلى الحصول على الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وفي آخر المطاف الحقوق السياسية"[5].

---

[1] Intelligentsia : تعبير روسى أطلق على الطبقة المستنيرة أيام الثورة البلشفية وهو لفظ استخدم منذ أواخر القرن 19 كمرادف انشقت دلالته عن الأصل اللاتيني intelegens ويعني أولئك الذين تثقفوا ثقافة علمية انعكست على تركيبهم الاجتماعي أو النخبوي، وهم يتمتعون بنشاط مبدع ومؤثر في هياكل الدولة، أنظر:

زين الدين، بوزيد، **الصورة الاجتماعية والمرجعية الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية (1900-1930)**، ماجستير في علم الاجتماع التنمية، جامعة منتوري قسنطينة،2000-2001، ص.69.

[2] الجمعي، Rري، **حركة الشبان الجزائريين والتونسيين(1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنـة**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري ،قسنطينة، 2002-2003، ص.121.

[3] Chérif Ben Habilles**, l'Algérie française, vu par un indigène**, édition, imprimerie orientale, fantana frères Alger , 1914, p.105.

[4] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، ص.167.

[5] Rري، المرجع السابق، ص.123.

كان ظهور هذه الحركة متأخرا بالمقارنة مع البلدان العربية، ويعود ذلك أساسا إلى قلة المراكز الثقافية والعلمية، وإلى سياسة فرنسا القائمة على تحطيم البنى الأصلية، مما أدى إلى اختفاء المراكز الثقافية التقليدية كالزوايا والكتاتيب القرآنية، التي كان يرى فيها الفرنسيون المشاعل التي تنير طريق الأهالي، كما لم تقدم فرنسا تعليما فرنسيا إلا في الفترة المتأخرة وفي نطاق محدود[1].

يعود تاريخ ظهور هذه الحركة إلى نهاية القرن 19، فعند زيارة "جول فيري" الجزائر أثناء إشرافه على اللجنة البرلمانية سنة 1892 التي جاءت لتحقق في وضعية الجزائر، التقى ببعض أفراد الشبان الجزائريين منهم "المحامي بوضرية" و"الطبيب مرسلي"[2]حيث احتجوا له عن التعسفات الإدارية وأثاروا مسألتي المواطنة، والتمثيل البرلماني للمسلمين[3].

ظل نمو هذه الحركة بطيئا، فحتى بداية القرن العشرين لم يكن هناك كلام عما عرف بالشبان الجزائريين، وكل ما في الأمر هو نشوء فئة جديدة متعلمة، أو نخبة مثقفة تتبنى الثقافة الحديثة في نظرتها إلى المستقبل، وتتحدث عن التقارب بين المجموعتين الجزائرية والفرنسية تمهيدا لإدماج العنصر الجزائري المسلم في العائلة الفرنسية.

وقد تجلى نشاطها في شكل مبادرات فردية وجماعية، في المجال الاجتماعي والثقافي وخاصة الصحفي بإصدار عدة جرائد كجريدة "المصباح" في وهران سنة 1907. و"الإسلام" في عنابة، ثم العاصمة سنة 1910، وهي في معظمها صحافة معتدلة محررة في غالبها باللغة الفرنسية حتى تتفادى الاصطدام بالإدارة الاستعمارية. بل وتلجأ أحيانا إلى استخدام عناوين تدل على ارتباطها بفرنسا مثل جريدة المصباح التي جعلت لها عنوانا ثانويا من أجل فرنسا بواسطة العرب لأجل العرب بواسطة فرنسا[4].

أدركت الحركة الجديدة استحالة مواجهة النظام الاستعماري باستخدام الوسائل القديمة كما اقتنعت أن الاستمرار في رفض الاستعمار كواقع في البلاد، سيؤدي إلى تكريس الامتيازات

---

[1] المرجع نفسه، ص.90.

[2] طبيب جزائري من وهران،كان أبوه ضابطا في فرسان الصبايحية في الجيش الفرنسي،ويقال انه أول طبيب مسلم تخرج من مدرسة الطب الفرنسية،متجنس ومن مؤسسي نادي صالح باي،من مؤلفاته كتاب المسألة الأهلية،أنظر:سعدالله،تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع السابق،ص.231.

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.16.

[4] صاري، قداش ، ص.18.

السياسية والاقتصادية للمستوطنين، ومن ثمة فإن أول عمل قام به الشبان الجزائريون هو الدخول في منافسة الكولون معتمدين على طريقة جديدة تختلف عن طريقة الأجداد وهي الحوار الهادئ بواسطة الصحافة والعرائض والمذكرات والوفود[1].

لم تبرز مواقفهم السياسية والاقتصادية ومعارضتهم العلنية للسياسة الفرنسية بوضوح إلا في عام 1908، حين صدر مرسوم ينص على إحصاء الشبان الجزائريين بقصد تجنيدهم، ثم إصدار الحكومة قرار التجنيد في 03 فيفري 1912، حيث وجدوا فيه وسيلة هامة للضغط للحصول على بعض الحقوق، تتلخص في مجملها حول المساواة، وكانوا بعيدين عن المطالبة بالاستقلال الكامل عن الوطن الأم، لذلك يمكننا القول إن النخبة كانت تثق في الحكومة الفرنسية في باريس ووعودها، وترى أن العدو الأول للجزائريين هم الكولون[2].

وهم بذلك يميزون بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الاستعمارية، لذلك نجدهم يستنجدون بالليبراليين الجمهوريين لمعارضة المعمرين المستغلين ويمكن الإطلاع على أفكارهم من خلال البرنامج الذي قدموه إلى الحكومة الفرنسية في جوان 1912 والدي تضمن[3]:

- إلغاء القوانين الاستثنائية، فالقانون الفرنسي في الجزائر جعل الجزائريين في وضعية متناقضة فهم رعايا فرنسيون من جهة وخاضعين لقوانين الأنديجينا من جهة أخرى.

- التمثيل النيابي للجزائريين في المجالس العامة في الجزائر وفي باريس، وهي من أهم القضايا الأساسية التي دافع عنها الشبان الجزائريون، لأن إبعادهم من المشاركة في الحكم يعني تمكين الكولون من إدارة شؤون الجزائر.

كما تضمن هذا البرنامج مطالب أخرى تتعلق بنشر التعليم، والمساواة في الوظائف وتطوير الخدمات الاجتماعية، وإصلاح نظام الخماسة والمحاكم الردعية وتحسين وضع المرأة...إلخ[4] .

والملاحظ أن مطالب النخبة بشكل عام قبل الحرب العالمية الأولى هي إصلاحية بحتة لم تتجاوز الدعوة إلى المساواة والمشاركة في الحكم، وتوجيه المجتمع الجزائري نحو النموذج الأوروبي

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ص.181.

[2] يوسف، مناصرية، **[illegible] الحركة الوطنية ما[illegible] الحرب[illegible] العا[illegible]**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص.12.

[3] بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية، ص.26.

[4] سعد الله، الحركة الوطنية1900-1930، ص.426

وهي تبرز مدى تعلق هذه الفئة بالارتباط بالوطن الفرنسي، فجاءت مطالبها خالية من أي نزعة ثورية .[1]

3. المرجعية الاجتماعية والسياسية للنخبة الاندماجية:

مهما كان الاختلاف حول تحديد تعريف موحد للشبان الجزائريين أو الجزائر الفتاة أو النخبة، فكلها تسميات تؤدي إلى إطار سياسي وإيديولوجي واحد يتبنى في المراحل الأولى من القرن العشرين فكرة الإدماج عن طريق التمثل بفرنسا، ويعود هذا الاختلاف أساسا إلى مكونات هذه الطبقة، فهناك من يعرفها على أساس الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها،بينما أخذ البعض المعيار الثقافي للتمييز بينها وبين الفئات الأخرى[2].

تبين بعض الدراسات حول الأصول الاجتماعية للنخبة الجزائرية في الفترة 1900-1930 أن 58% من الشبان الجزائريين ينتمون إلى البرجوازية العليا أو الأرستقراطية، وأن 41 % من أفرادها ينتمي آباؤهم إلى فئة ملاك الأراضي والعقارات، كما أن 16 % منها ينتمي إلى فئة البرجوازية التجارية، وعلى العموم فإن فئات هؤلاء هي إما الأرستقراطية الريفية والحضرية، أو البرجوازية الحضرية التي ترتبط بالمدن الكبرى كقسنطينة مثلا، أو ترتبط بخلفية اجتماعية حضرية عريقة كالفخاريين في تلمسان، أما بقية أفراد النخبة فيشكلون طبقة وسطى تتألف من البرجوازية التي تتراوح بين البيروقراطية وبين ملكية الأرض[3].

يحدد "جورج مارسي George Marçier" الفئات الاجتماعية للنخبة بقوله[4]:"إنكم أنتم المتجذرون في التراب الجزائري، والمتخرجون من ثانوياتنا ومدارسنا، إنكم بثقافتكم أكثر منه بانتمائكم الاجتماعي، تنتمون إلى ما يمكن أن نسميه بكل استحقاق "النخبة الأهلية" إن هذه النخبة التي لها مكانتها بالنسبة للرأي العام الفرنسي، لأن لها بعض مظاهر النخبة الأوروبية ولكن لا وزن لها بالنسبة إلى جماهير الأهالي، هذه النخبة المكونة من بعض الأطباء الشرفاء وبعض المحامين

---

[1] وهي تقريبا نفس المطالب التي تبنتها في العشرينات و الثلاثينات أنظر هذه المطالب في جريدة صوت المستضعفين:
"Liberté Egalité- Fraternité,au peuple indigène musulman d'Algérie" La voix des humbles,n°106,decembre1931

[2] سعدالله،الحركة الوطنية،1900-1930، ص.167.

[3] بوزيد، الأصول الاجتماعية والمرجعيات الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية (1900-1930)، ص.152.

[4] ben habiles, op, cit, pp.1-2.

الشطار، وبعض الصحفيين اللامعين وكذلك المعلمين الذين يعون تماما دورهم في نشر الأنوار والواجب الذي عليهم تجاه فرنسا التي صنعت منهم مجانا ما هم عليه اليوم..".

بينما يرى فرحات عباس أن معظم الشبان الجزائريين ينتمون إلى أصول متواضعة وفقيرة وفلاحية، وأن الارتقاء الاجتماعي لعائلته مثلا وقع عرضا فقط[1]، ولذلك لا يمكن الجزم بالأصل الموحد لجميع أفراد النخبة لكن نجد معظمها ينتمي إلى الطبقة الوسطى، أو ما يطلق عليها بالبرجوازية الصغيرة التي فرضت نفسها في السلم الاجتماعي عن طريق الوظيفة[2].

إذا كانت النخبة الاندماجية تختلف في أصولها الاجتماعية، فهل هي كذلك في مرجعياتها الفكرية والسياسية؟.

يعتقد شارل أندري جوليان أن هؤلاء قادمون من آفاق فكرية شديدة التنوع، فمنهم من كانوا من أتباع الإيجابية، ومنهم من كانوا لا يقرون إلا بما يقبله العقل مثل الدكتور ابن جلول ومنهم من كانت تحدوهم روحانية غامضة وحماس حائر مثل فرحات عباس، ومنهم من كانوا ملحدين ماسونيين مثل الدكتور لخذاري، ومنهم من كان يستهويهم الحماس الثوري مثل بومنجل، ومنهم من كانوا لا يكترثون بالعقيدة الإسلامية بل عقيدتهم اشتراكية[3].

ومهما اختلفت منطلقاتهم الفكرية فإنهم يشتركون في مرجعيتهم إلى الثقافة الفرنسية والفكر الليبرالي الذي جاءت به الثورة الفرنسية، ويعود ذلك إلى كون النخبة في الجزائر هي نتاج المدرسة الفرنسية من أساتذتها أخذت حرية التفكير، ولكنها احتفظت بطريقتها الخاصة في نقد الأوضاع القائمة، فهم يقدرون الإنجازات الحضارية لفرنسا ولكنهم كانوا يتأسفون لنقائصها، أما قضية السيادة الفرنسية فلم تكن مطروحة نهائيا في برامجها أو أفكارها،وباسم الأفكار الفرنسية كانت هذه النخبة تحارب الظلم الذي يقع عليها والذي يتناقض مع مبادئ الثورة الفرنسية"[4]، ونجد فرحات

---

[1] عباس، المرجع السابق،ص.128.

[2] Abdelkader, Djeghloul**, la formation des intellectuels Algériens modernes (1880-1930**), opu, Alger, 1980, p.10.

[3] جوليان، المرجع السابق، ص.150.

[4] Roger,Le Tourneau,**évolution politique de l'Afrique du nord musulmane 1920-1961**,librairie Armand colin,paris,1962,p.315

عباس مثلا يتحدث باعتزاز عن هذه المدرسة وأساتذتا الذين كانوا في نظره شديدي الإيمان بالمبادئ الجمهورية والديمقراطية، وينفي عنهم أي صفة عنصرية تجاه المسلمين الجزائريين[1] .

لم يكن الفكر الفرنسي الليبرالي مرجعيتهم الوحيدة، بل هم يحاولون في بعض الأحيان العودة إلى الإسلام كمحاولة للتوفيق بينه وبين المبادئ الليبرالية، ففرحات عباس مثلا يعترف أن ثقافته العربية محدودة، وأنه مدين للفكر الفرنسي ولروح الكتاب الفرنسيين لكنه في الوقت نفسه متمسك بالإسلام كوطن روحي[2]،" فهؤلاء المتطورون لهم عقلية لائكية و غربية مع إحساس وشعور بالإنتماء الي الإسلام ،لقد فهموا أن الإسلام يضعف مكانتهم ،لذلك عملوا أن يكون للإسلام مكانة مميزة في مطالبهم رغم طغيان المطالب الاجتماعية والسياسية[3].

أما مرجعيتها السياسية فإنه من الواضح تأثر النخبة الاندماجية بحركة تركيا الفتاة مع بداية القرن، والتي كانت تمهد للقضاء على الخلافة العثمانية وبناء دولة علمانية حديثة، اتخذت من مقومات الحضارة الغربية أسلوبا ومنهجا لقيادة المجتمع[4]، ورغم محاولة الاستعمار فصل الجزائر عن إطارها العربي الإسلامي إلا أن الجزائريين بقوا من الناحية المعنوية يشعرون بتلك العلاقة العميقة الجذور مع الأتراك العثمانيين، وقد عبروا عن عواطفهم تلك تجاه الخلافة بالأدب الشعبي تارة وبجمع الأموال تارة أخرى[5].

نال كمال أتاتورك إعجاب الجزائريين، وخاصة النخبة الاندماجية التي رأت في التجربة الكمالية نموذجا يحتذى به خاصة توجهها اللائكي[6]، كما كان تأثر الجزائريين واضحا بحركة الشبان التونسيين بتقليدهم في إنشاء النوادي والجمعيات والصحافة، يضاف إلى ذلك أن بعض

---

1 عباس، المرجع السابق، ص.136.

2 Abbas, op, cit, p.89.

3 Luc de la barre,op.,cit.,p.35

4 الجابري، المرجع السابق، ص.144. وقد كتبت جرائدهم الكثير من المقالات التي تعبر عن إعجابهم بالثورة التركية انظر مثلا: Rabeh,Zenati, "**la révolution turque**", la voix des humbles ,n°61,juin1928

5 سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، ص ص.137-138.

6 Ferhat,Abbas, **"islam en deuil,le plus grand musulman des temps présents meurt a Constantinople"**, l'entente franco –musulmane ,n°97,17novembre1938

وأيضا: Mostefai, "**le mouvement intellectuel turc et le dogme musulman**", la voix des humbles ,n°60,janvier,1929

الشباب التونسيين ينحدرون من أصول جزائرية كالشيخ عبد العزيز الثعالبي والشاب حسن قلاتي[1].

4. تصنيف النخبة الاندماجية:

بحلول الحرب العالمية الأولى غاب نجم النخبة وضاعت مطالبه في متاهات الحرب وانشغالاتها وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى عادت النخبة إلى مسرح الحياة، لكن بوجه جديد وعلى نطاق أوسع[2] ، فالحرب قد هزت ذهنياتم وجعلتهم يخرجون من حالة الانطواء التي وضعتهم فيها فرنسا، وينظرون إلى الأوضاع الجزائرية في ظل الاستعمار نظرة انتقادية[3].

إن نهاية الحرب العالمية الأولى هي الفترة التي برزت فيها توجهات النخبة بكل وضوح فقد كانت الانتخابات البلدية في سبتمبر 1919 المناسبة التي انقسمت فيها النخبة إلى جناحين سياسيين: الليبراليين دعاة التجنيس، والحزب الإصلاحي بزعامة الأمير خالد[4]، وشكلت مسألة الأحوال الشخصية نقطة الخلاف الأساسية، فقد أدت الدعوة إلى الإدماج والتجنيس الجماعي بغض النظر عن القضية الدينية إلى فقدان النخبة لمركزها في نفوس الجزائريين[5].

وإذا كان الاختلاف غير مطروح بالنسبة لمرجعيتها الفكرية الغربية إلا أن موقفها من الإسلام وقيمه وحضارته هو الذي جعلها تصنف إلى فئتين:

أ- الفئة الأولى: هي التي انتزعت جذورها من المجتمع الجزائري وصارت تنفي انتماءها إلى مجتمعها الأصلي، وأحيانا تنفي صلتها بالإسلام وابتعدت عنه إلى درجة التجنس والاندماج في الحياة الفرنسية[6]، وهؤلاء يضعون أنفسهم داخل النموذج الحضاري الفرنسي ويدعون إلى الاندماج التام في فرنسا ثقافيا وسياسيا وحتى دينا، ويعتبرون الدين عاملا معرقلا لفرنسة الجزائر ومنهم حتى من يروج لفكرة انفصال الجزائر عن العالم العربي والإسلامي كإسماعيل حامت[7].

---

1 عمري، المرجع السابق، ص.148.

2 مناصرية، المرجع السابق، ص.12.

3 Stora, Daoud, op, cit, p.34.

4 سعد الله، المرجع السابق، ص.12.

5 مناصرية، المرجع السابق، ص.13.

6 عمري، المرجع السابق، ص.252.

7 نفس المرجع و الصفحة

ويعتبر الشريف بن حبيلس مؤلف كتاب الجزائر فرنسية كما يراها أنديجان نموذج المثقـف الاندماجي فكتابه الصادر سنة 1914 عبارة عن مرافعة من أجل الاندماج والارتباط بفرنسا، فهو يظهر في كتابه احتقاره للوسط التقليدي، ويرفع في المقابل شأن الحضارة الغربية يقـول:" هـذا الحكم عبارة عن اعترافات محتشمة صادرة عن إنديجان جزائري تربى على مقاعد مدرسة فرنسـية يحب الفرنسية كثيرا ويعود لها الفضل في ترقيته لوظيفته في الإدارة الفرنسية التي يعترف لها بتعلـيم الحقيقة، فرفض أن يكون من طراز هؤلاء الجاحدين"[1].

وهناك من ينادي صراحة إلى الاندماج في الثقافة اللاتينية والديانة المسيحية، والتخلي مـن مبادئ الإسلام التي في نظرهم تتناقض مع المدنية الغربية، وتعتبر مجلة "صوت المستضعفين la voix des humbles"[2] و"جريدة "صوت الأهالي- la voix indigène"[3] أفضل الأدوات التي كانت تعبر عن أفكارهم وطموحاتهم.

ب- الفئة الثانية: كانت هذه الفئة من النخبة تطالب بالإدماج لكن مع التمسك بالقـانون الأساسي للأحوال الشخصية، ويمثلها عدد كبير من أعضاء تنظيم فيدرالية المسـلمين الجزائـريين المنتخبين، التي تأسست في 11 سبتمبر 1927 في الجزائر العاصمة برئاسة بن تامي[4].

وكان معظم أعضائها من المنتخبين في المجالس المختلفة وكان "أكثرهم متعلمين بالفرنسـية ومدمجين جزئيا يمثلون الإنتلجانسيا الجديدة التي لم تكن تطعن في شـرعية النظـام الاسـتعماري المسيطر لكنها لم تكن تقبل بدور الخادم المطلوب منها"[5].

كان برنامجهم معتدلا يقوم على المطالبة بالمساواة وبكل الحقوق السياسية التي يتمتـع بـها المستوطنون مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية[6]، وهي نفس المطالب التي نادوا بها قبـل الحـرب العالمية الأولى وأعادها الأمير خالد، أما دور فرنسا في نظرهم فهو مساعدتهم على تحقيق الاندماج

---

[1] pervillé, op, cit, p.81.

[2] تأسست سنة 1922 عل يد رابح زناتي وكان شعارها، بعيدون عن الأحزاب، بعيدون عن القصائد من أجل ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية: أنظر: العمري، المرجع نفسه، ص.390.

[3] تأسست سنة 1929 أسسها كذلك رابح زناتي وكان شعارها "جريدة الاتحاد الفرنسي -الإسلامي" ،أنظر:المرجع السابق

[4] سعد الله، المرجع السابق، ص.351.

[5] Mahsas, op, cit, p.49.

[6] أنظر برنامج فيدرالية النواب في :

collot, Le mouvement nationale Algérien Textes (1912-1954) , pp.40-41.

وإخراجهم من التناقض الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي، وعبر فرحات عباس عن ذلك بقوله: "حين يقول الجزائري إنّه عربي يجيبه القضاة الفرنسيون لا إنك فرنسي، ولكن حين يطالب بحقوق المواطن الفرنسي يجيبه نفس القضاة لا إنك عربي"[1].

ورغم اعتدالها واعتدال مطالبها إلا أنا كانت باستمرار تصطدم بتعصب المستوطنين من جهة وبعدم اكتراث الحكومة الفرنسية ونفور الجزائريين من جهة أخرى، لأنا لم تستوح أي مطلب من مطالبها من مقومات الشخصية الوطنية، فبرنامجها كله يدور في فلك القانون الفرنسي والتعليم الفرنسي والحضارة الأوروبية، وكأنا كانت راضية بالثقافة الفرنسية روحا وبالحضارة الأوربية جسدا، وبالإصلاحات الجوفاء وسائل تنفض بنا غبار الكولون واستبدادهم[2].

وحتى سنة 1936 لم يتغير برنامج هذه الفئة حيث بقي يركز على المسائل السياسية والعسكرية والثقافية وغيرها، وأن المطالب الجديدة كإصلاح القضاء الإسلامي، والزيادة في عدد المدارس وفصل الدين عن الدولة، هي نتيجة دروس حوادث قسنطينة 1934 وربما تأثير جمعية العلماء المسلمين[3]، ونعتقد أن إثارة هذه المطالب يعود إلى الطموح السياسي لهذه الفئة الذي يتطلب منها الاقتراب من قيم المجتمع لكسب الأصوات، لأن وصولهم إلى المناصب السياسية يمر حتما عبر الأهالي.

وما يجب التأكيد عليه أنه رغم هذا الاختلاف بينهما والذي ينبع عن القناعة أحيانا أو المناورة أحيانا أخرى، فإن الانبهار بمبادئ الثورة الفرنسية في طموحاتم وأفكارهم هو القاسم المشترك، وإن اختلافا فقط في الأسلوب ومسألتي الهوية ومواجهة الاستعمار فكلاهما لا يتصور نموذجا سياسيا إلا في الإطار الفرنسي.

5. مـKـÔ مشروع الإدماج:

تميزت الساحة السياسية الجزائرية منذ الاحتفالات المئوية بحركية سياسية نشيطة، لكن أهم ما سيطر عليها مشروع "بلوم فيوليت" والمؤتمر الإسلامي والتي علقت عليها النخبة الاندماجية آمالا كبيرة.

---

[1] عباس، المرجع السابق، ص ص، 144-145.

[2] مناصرية، المرجع السابق، ص.15.

[3] المرجع نفسه، ص.16.

صعدت الجبهة الشعبية للحكم في فيفري 1936 برئاسة" ليون بلوم"[1] وأحيـت مشـروع فيوليت[2] والذي تتلخص فكرته الأساسية في دمج فئة من الجزائريين، ومنحها حق الانتخاب بدون تخليها عن أحوالها الشخصية الإسلامية، وحذر فيوليت الكولون بأن الجزائريين يبحثون عن وطن وإذا لم نمنح لهم وطنا فسيجدون وطنا آخر[3].

وقد تعلقت النخبة الاندماجية بهذا المشروع لأنها كانت ترحب بفكرة الإدماج عن طريـق الحقوق لا عن طريق التجنيس، فالأول يجعل منهم فرنسيين مسلمين أما الثـاني فيجعـل منـهم فرنسيين مسيحيين أو لا دين لهم[4]،وقد تحمست النخبة الاندماجية للمشروع وأسهمت بشـكل كبير في الدعاية له[5]، وعلقت عليه آمالا كبيرة واعتبرته المبادرة الوحيدة القادرة على مـنح تمثيـل حقيقي للمسلمين وقد عبروا عن ذلك بالقول :"قصارى بغيتنا طال الزمن أو قصر ألا يوجـد في القطر الجزائري إلا الفرنسيون، عليهم واجبات واحدة ولهم حقوق واحدة وهدف واحد في بقـاء السيادة الفرنسية... وبعبارة أخرى وملخصة لما سطرناه نريد أن يعد القطر الجزائري، لا مستعمرة فقط بل مقاطعة فرنسية حقيقية"[6].

ورغم ما قيل وكتب عن هذا المشروع، فهو في الواقع لا يخرج عن تنفيذ خطة دمج الجزائر في فرنسا بصورة تدريجية، وبدل حديث الفرنسيين عن هذا الدمج بصورة نظرية، أراد فيوليت أن

---

[1] Leon, Blum (1872-1952)، أديب ورجل دولة ترأس أول حكومة للجبهة الشعبية من جوان 36 إلى جوان 1937 ثم من مارس إلى أفريل 1938، ثم من سبتمبر 1946 إلى جانفي 1947.

[2] Maurice, Viollete (1870-)، درس الحقوق شغل مناصب سياسية، نائبا منذ عام 1902، ثم عضو مجلس الشيوخ رئيسا لبلدية Dreux، ثم حاكما على الجزائر 1925-1927، ثم وزيرا مكلفا بالشؤون الأهلية في حكومة ليون فيوليت معروف عنه نشاطه ضمن الحزب الاشتراكي.

[3] صدر المشروع سنة 1931 في كتاب من 04 أبواب و08 فصول و50 مادة عندما كان حاكما عاما في الجزائر أنظر مشروع القانون في: Maurice,Violette,**l'Algérie vivra-t-elle?**,librairie filix algan,France,1931,pp.375-503

[4] سعد الله، المرجع السابق، ص ص. 60-61.

[5] انظر تعاليق جريدة صوت المستضعفين :

L.Tahrat, **l'algerie vivra-t-elle note d'un ancien Gouverneur général**, La voix des humbles ,n°101,juillet1931,pp.2-5

[6] عايدة،حباطي، **النخبة وموقف الجزائرية منها 1919-1939** مذكرة ماجيستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة منتوري،قسنطينة،2003-2004، ص.177.

يقع فعلا الدمج عن طريق النخبة الجزائرية المتخرجة من المدارس الفرنسية[1]، وكغيره من المشاريع الإصلاحية الفرنسية كان مصيره الفشل كذلك.

شكل مشروع بلوم-فيوليت، قمة مطامح النخبة الاندماجية فهل بفشله فشل المشروع الإدماجي في الجزائر؟

من الأسباب الرئيسية لفشل المشروع الإدماجي الذي كانت تمثله النخبة هو رفض المجتمع له، فبالرغم من سياسة التحطيم الفرنسية، إلا أن العائلة الجزائرية بقيت محافظة على قيمها الإسلامية والتي كانت تنظر بسلبية إلى قضية التجنس والانسلاخ عن الهوية، فكانت بذلك تمارس ضغطا خفيا معارضا لفكرة الإدماج، لأنه يتعارض وشخصيتها، كان الاعتقاد السائد أن الحصول على الجنسية الفرنسية بمثابة ردة عن الدين[2]، فوقفت بذلك الاعتبارات الدينية في وجه دعوة بعض الجزائريين للتجنس والاندماج، وقد كان لجمعية العلماء دور في كبح هذه الطموحات، فقد كانت ترد على أنصار الإدماج بأن الشعب الجزائري شعب عربي ومسلم يرفض أن يكون فرنسيا[3].

يضاف إلى ذلك أن أغلب أفراد هذه النخبة " لم يكونوا ينظرون باتجاه المجتمع الجزائري أصلا، وإنما معتدين بانتمائهم الطبقي البرجوازي باعتبارهم طبقة جديدة مشكلة في الأصل من الأفراد القادمين من التعليم الفرنسي والإدارة الاستعمارية، وأغلبهم ينظر إلى فرنسا لا إلى المجتمع الجزائري، فهم يعتقدون أنهم طبقة ممتازة تطفو على سطح بحر من الغوغاء والمشاغبين والمتعصبين والجهلة"[4].

هذه النظرة الاستعلائية هي سبب ضعف إيديولوجية النخبة الاندماجية وانصراف الجماهير عنها فهي لم تكن مندمجة في المجتمع وإنما غريبة وسط الشعب [5]، فولاءها لفرنسا وابتعادها من حيث أفكارها عن البعد العربي الإسلامي جعلها عاجزة عن فرض نفسها على المجتمع، على العكس

---

1 سعد الله، المرجع السابق، ص.29.

2 سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي،ص.374.

3 عبد الكريم، بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996، ص.275.

4 سعد الله، المرجع السابق، ص.60.

5 pervillé, op, cit, p. 11.

أصبحت معزولة وتأثيرها ضعيف، وحسب سعد الله فإن أخطر شيء كان يواجه هذه الجماعة هو الضياع والخضوع للتأثيرات الخارجية ومن ثمة فقدان سلاح المبادرة[1].

ومن أسباب فشل المشروع الإدماجي كذلك المعارضة الشديدة للمعمرين مستخدمين وسائل الضغط المختلفة، فأثناء عرض مشروع بلوم فيوليت مثلا قدم 300 شيخ بلدية فرنسي استقالتهم الجماعية، لأن قبول المشروع في نظرهم يعني حصول الجزائريين على المواطنة الفرنسية وبالتالي التمتع بجميع الحقوق، أخطرها تزايد عدد الجزائريين في المجالس المحلية، ويصبح المعمرون في هذه الحالة خاضعين لأصوات عدد كبير من المتعصبين المسلمين [2]ويعلق رئيس بلدية قسنطينة "مورتنو " على ذلك " الأهالي 07 مقابل فرنسي واحد، وبمقتضى زيادة النسل سيحصلون على الأغلبية في القوائم الانتخابية وسيؤدي ذلك إلى نهاية الاستعمار الذي يتوقف عليه مصيرنا [3]".

وبفشل مشاريع الإدماج أصيبت النخبة بخيبة كبيرة وفقدت كل أمل في الحصول على حقوق من شأنها إصلاح أوضاعهم وأوضاع الجزائر، وكان من نتيجة ذلك أن انهارت ثقتها تماما في فرنسا وتحطمت العلاقة التي كانت تربطهما، وقد انعكس هذا الفشل مثلا على أنصار المؤتمر الإسلامي الذي كان عليه أن يحصل على إصلاحات مهما كلفه الأمر لمواصلة عمله فأخفق في تحقيقها وفقد بذلك كل فاعلية له وسرعان ما تشتتت وحدته وتخلى عنه قادته بعد أن خابت آمالهم في عدالة وديمقراطية فرنسا[4].

بعد أن كانت النخبة الجزائرية تعلن، وتتمسك بالإدماج، وتعتمده في جميع مطالبها إلى درجة التنكر لوجود الوطن الجزائري، وتعتبر الوطنية اتهاما، حدث تحول كبير في سياستها بعد أن تحطمت آمالها بعد الخيبات المتكررة أمام الوعود الفرنسية، فأصبحت أقل توجها نحو الاندماجية وأكثر تقربا من التيار الوطني وانتقادا للسياسة الفرنسية [5].

---

[1] سعد الله، مرجع سابق، ص 58.

[2] Perville, P. 69.

[3] كريمة، ابن حسين، **الحياة السياسية في قسنطينة ما بين 1930 – 1945**، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية،جامعة منتوري،قسنطينة، ص. 196

[4] المرجع نفسه، ص. 197

[5] اجرون، مرجع سابق، ص. 145

ويعلل فرحات عباس هذا الفشل بكونه ناتج عن الذهنية المتخلفة للإدارة الاستعمارية التي كانت أسيرة مصالح المعمرين [1]، ونعتقد أن انتشار الأفكار الوطنية الاستقلالية نتيجة الدور الذي قام به حزب نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب، والعمل الكبير الذي قام به العلماء في محاربة سياسة الإدماج والتجنس قد أسهم في إفشال المشروع الإدماجي.

لقد شعر هؤلاء أنهم يقدمون مطالب أبعد ما تكون عن اهتمامات القاعدة الشعبية وأنهم يدفعون ثمن مطالبهم السياسية المتذبذبة، وكان عليهم أن يختاروا التوجه إما إلى القاعدة الشعبية وإما إلى فرنسا [2]، لقد أصبح الشعب الجزائري أكثر وعيا لذاته وبانتمائه العربي الإسلامي وهو ما جعل الفكرة الاندماجية ضعيفة ومنبوذة، وهو كذلك ما دفع النخبة إلى التقرب من التيارات الوطنية كما حدث في المؤتمر الإسلامي، يقول سعد الله:" رغم هذه اللهجة فإن النخبة قد ظلت تعمل وتفكر في إطار الإسلام، وهناك عدة أحداث تثبت أنها قد عادت إلى نفس الطريق الذي سار عليه العلماء، سواء عن اقتناع شخصي أو عن تحالف مصلحي [3].

رغم فشل مطالب النخبة الاندماجية إلا أنها شكلت جماعة الضغط جعلت الإدارة الاستعمارية تأخذها في الاعتبار كلما قررت إحداث مشروع في ميدان الشؤون الأهلية، كما عملت هذه النخبة على التعريف بالوضع في الجزائر بتقديم الكثير من الحجج والبراهين لإدانة وفضح الاستعمار [4]، هذا إضافة إلى ما نشرته منذ بداية القرن من أدب قومي بالغ الأهمية وثورة على كل ما هو بال في الهياكل التقليدية، وبتأثيراته السلبية، وتوعية الناس بعلاقات التبعية داخل المجتمع [5].

اعتقد دعاة الإدماج وهم نتاج المدرسة العلمانية، والجمهورية الفرنسية أنه لا مصير ولا مستقبل للجزائر إلا في اتجاه فرنسا المثالية، فرنسا الحرية، وعملوا بكل الطرق وفي مختلف الاتجاهات لإقناع الجزائريين بأن فرنسا هي الوطن الأم، لكن مختلف تجاربها سواء مع الجزائريين أم مع الإدارة الاستعمارية انتهت إلى الإخفاق فكانوا أول ضحايا النظام الاستعماري، وستدفع تجربة الحرب العالمية الثانية إلى تفتح فكر بعض أفرادها، والابتعاد عن أحلام التمثل.

---

[1] عباس، مرجع سابق، ص. 147.

[2] الطاهر، عمري، ص. 436.

[3] سعد الله، مرجع سابق، ص.65.

[4] الطاهر، عمري، مرجع سابق، ص. 443.

[5] حربي، مرجع سابق، ص. 110.

المبحث الثاني: الطرح الإدماجي عند فرحات عباس

يجمع مؤرخو الفترة المعاصرة في تاريخ الجزائر منح لقب زعيم الإدماج لفرحات عباس، رغم وجود شخصيات بارزة قادت هذا الاتجاه، وبحكم ثقافته مثل رؤية جيل من النخبة المتشبعة بثقافة الغرب، فهو كإعلامي ونائب في مجالس مختلفة، عبر عن مواقف النخبة حيال مختلف القضايا التي طرحت على الساحة السياسية الجزائرية خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات، هذه المواقف لا تبتعد عن الاعتقاد في كون فرنسا هي النموذج الذي يجب أن يحتذي به، فما هو الطرح الإدماجي لفرحات عباس؟ وما مصيره؟

كان فرحات عباس اندماجيا لكنه أقل اندفاعا وذاتية، فهو ينادي بالإدماج وتوحيد الجزائر مع فرنسا، لكن مع التمسك بالقانون الأساسي للأحوال الشخصية يقول:" إن هناك وعيا لا شعوريا لدى الإنسان، وهذا الوعي هو الذي يحدد السلوك والذهنية والجنس الذي ينتمي إليه، ولذلك فإن الأهالي بموجب هذا الوعي يحرصون على شخصيتهم، وهل من التعصب أن نحافظ على شخصيتنا"[1]، وعلى خلاف بقية الاندماجيين لم يحتقر وسطه التقليدي، بل كان يعتقد وهو يطالب بالإدماج الواعي بالأحوال الشخصية إعطاء الفئات الشعبية فرصة لتتخلص من بؤسها نائيا.

هذا التصور حدده فرحات عباس في مجموعة من المبادئ نشرها ضمن سلسلة مقالات أعاد جمعها في كتابه "الشاب الجزائري"، وتتلخص هذه المبادئ في النقاط التالية:

- احترام الإسلام واللغة العربية والمدنية الإسلامية.
- الإقلاع عن خرافة التفوق الجنسي.
- المساواة في الحقوق السياسية، بمستقبل مشترك، وإن التمسك فكرة الغالب والمغلوب يؤدي حتما إلى الويلات والنكبات.
- تطوير المجتمع الجزائري ليصبح عصريا بإمكانه منافسة الأوروبيين الند للند.
- اقتفاء آثار أوروبا دون تخلي المجتمع الجزائري عن حضارته.

[1] الطاهر، العمري، المرجع السابق، ص.253.

والملاحظ أن هذه المطالب البسيطة والمعتدلة تدور في اتجاه واحد، وهو المساواة ورفض التفرقة العنصرية، والتي ترى أن لا سبيل أمام الجزائريين للخروج من قبضة الاستعمار إلا عن طريق المساواة والحصول على المواطنة الفرنسية.

كان فرحات عباس يمثل في هذه المرحلة ذلك المثقف الحداثي والمسلم في الوقت نفسه كان يريد أن يصبح جزائريا فرنسيا، لكن ليس بنكران أصالته، والتخلي عن مبادئها، بل كان يسعى لأن يؤكد للكولون بأنه يستحق المواطنة الفرنسية، لأنه متحكم في الثقافة الفرنسية، وأنه يملك مثلهم ماضيا عظيما وأصولا إسلامية قادرة على استيعاب التمدن والعصرنة[1].

ولذلك كانت دعوته الاندماجية ذات طابع معتدل مقارنة برفاقه الذي كانوا يطالبون بالانغماس الكامل في الثقافة الفرنسية، والارتباط اللامشروط بفرنسا، فهل يعني هذا تميز طرح فرحات عباس عن بقية الاندماجيين، وما هي خصوصية هذا الطرح ؟

نعتقد أن فرحات عباس أسس لتوجه فكري وسياسي متميز عن بقية الاندماجيين يخضع لمنطق التطور، من خلال مواقفه التي تصل أحيانا إلى درجة التناقض حول قضايا أساسية كمسألة الهوية ومختلف المشاريع الفرنسية.

1. مفهوم الدين:

تنوعت المصادر الثقافية لفرحات عباس، فقد جمع بين الثقافة الغربية المكتسبة والتي أثرت فيه كثيرا وخاصة أفكار الثورة الفرنسية، وبين الثقافة التقليدية التي ترسخت لديه من طفولته واحتكاكه الدائم بواسطة الفلاحي، ولذلك كانت علاقة الأهالي بالإسلام والعربية من أهم القضايا التي شغلته منذ بداية مشواره السياسي، ويؤكد فرحات عباس على أهمية الدين الإسلامي بقوله:" إن الإسلام بعد أربعة عشر قرنا صار دين الشعب الجزائري، وعليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره، ومن العبث محاربته لأنه قادر على الصمود، في وجه كل مريب أو تدخل في وجه كل عاد[2]".

للخروج من هذا الصراع والازدواجية كان الحل عند فرحات عباس المزاوجة بين الإسلام والمواطنة الفرنسية فكان يصرح بانتمائه إلى وطنين، الوطن الفكري المتمثل في فرنسا، والوطن

---

1 عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.37.

2 عباس، المرجع السابق، ص.144.

الروحي المتمثل في الإسلام وهي محاولة للتوفيق بين الإسلام وفرنسا وكان هذا الانتماء المزدوج حسب بعض الباحثين صورة للمعاناة النفسية العميقة بالنسبة للنخبة المثقفة ثقافة فرنسية[1].

في كتابه الشاب الجزائري يعبر فرحات عباس عن انجذابه لRسلام وعن مرجعيته الفكرية بالقول:"إنني بصراحة لا أملك سوى قدرا محدودا من الثقافة العربية، وهذا الأمر يصدق أيضا على أغلب أصدقائي، فجيلنا ليس مدينا للثقافة العربية، وإنما للفكر الفرنسي الذي هو أساس حياتنا المعنوية، إضافة إلى ما ورثناه من تقاليد آبائنا، فإن روح الكتاب الفرنسيين حملت إلينا التفسير العلمي، والعقلاني لهذه المعتقدات، ورغم كل هذا ظل الإسلام هو عقيدتنا الخالصة التي تعطي معا للحياة، كما ظل الإسلام هو وطننا الروحي"[2].

وهو بذلك يرد على ادعاءات الإدارة الاستعمارية التي ترى أن احتفاû المسلم بأحواله الشخصية يعيق حصوله على المواطنة الفرنسية، وهو ما جعله يتعرض للنقد سواء من الاندماجيين أو الفرنسيين الذين لم يفهموا كيف يدافع عن الإسلام رجل مثل فرحات عباس لا يعرف من القرآن سوى مبادئ أولية، وكان هذا الأخير يدافع عن شخÒ الرسول صلى الله عليه وسلم ويستشهد بالأحاديث النبوية في مواضيع العلم والعمل والأخوة والمساواة في الإسلام وهي القيم التي في تصوره قامت على أساسها الحضارة الإسلامية[3].

لكن كيف ينظر فرحات عباس إلى مكانة الدين في ا لتمع ووظيفته، وهو المتشبع بالفكر الليبرالي الذي تشكل اللائكية إحدى ركائزه؟ لم يكن فرحات عباس لائكيا بالمعا الدقيق، لأنه لا يضع الأديان في كفة واحدة، ومطلب فصل الدين عن الدولة عنده أو عند العلماء، إنما الهدف منه إبعاد السلطات الاستعمارية عن الدين ومؤسساته.

لكنه يعتقد أن للدين وظيفة اجتماعية تربوية في ا لتمع، وإذا كان يشجع انتشاره إلا أنه يرفض أن يكون نظاما سياسيا بل يعتبره قضية شخصية ترتبط بإيمان كل فرد، متأثرا في ذلك بالنموذج الغربي الذي تحرر من التأثير الديني بواسطة التعليم والتربية اللائكية، بدون أن يقضي ذلك على الدين المسيحي بقوله:"إننا نفكر في تحسين تربيتنا مثلما هو جار عند الكاثوليك اليوم

---

[1] Stora, Daoud, op, cit, p.17.

[2] Abbas, op, cit, pp.89-90.

[3] الطاهر، عمري، المرجع السابق، ص.254.

ولهذا قام رجال من ذوي الهمة والإدارة لتحقيق الحقيقة فألفوا جمعية العلماء وبصفتي أحد المسلمين فإنني لم أخف في يوم من الأيام مدى محبتي وتقديري لعلماء الدين والرسالة القيمة التي يؤدونا" [1] وهولا ينكر إعجابه بالعلماء ويعتبر كلا من بن باديس والإبراهيمي أبوين روحيين له والشخصيتين الدينيتين اللتين كان يستنير بما [2]، وعلى عكس ما يعتقده فرحات عباس فإن الإسلام عند العلماء ليس مجرد هوية فقط بل هو سلوك وممارسات ومرجعية رئيسية للدولة .

يرفض فرحات عباس اعتبار الدين كعنصر هوية، ويرى أن:" القرآن الكرﱘ لا يمنع أن نكون مسلمين وفي الوقت نفسه فرنسيي الهوية والانتماء، بل إن الإسلام سلوك يومي ومتفتح على العصر يرفض الاهتمام بالشكل بدل الجوهر فالإسلام هو عقيدة بسيطة بدون ديكور ويحتوى على عدة مبادئ اجتماعية تتمثل في تقديس الأسرة بصفتها الخلية الأساسية للمجتمع،ونظام مبا على أخلاق المساواة كما انه نظام ديمقراطي أين العالم هو النبيل" [3].

وفي إطار دفاعه عن الإسلام ومكانته عند الجزائريين كتب كذلك:" هل من المصلحة دفع الجزائريين إلى تقليد الأوربيين في تفاصيل حياتم اليومية ؟ هل من المصلحة صناعة أشخاص يرتدون سترة أوربية ويدخنون سيجارة على موائد الخمر؟ إن المشكلة تتمثل في اختلاف الحضارات بين الجزائريين والأوربيين، ذلك أن ما يمكن أن يمثل مصدرا للراحة في بعض التمعات يمكن ألا يكون كذلك في مجتمعات أخرى، وإذا كانت الجزائر لم ترفض الإسلام فذلك لكون الإسلام يناسبها" [4]، ويأتي دفاع فرحات عباس عن قيم الإسلام انطلاقا من اعتقاده الراسخ أن الفرد يفقد قيمته إذا عاش بعيدا عن جماعته، ولذلك أثارت أفكاره القائمة على الدعوة إلى الأصالة انتقادات من دعاة الاندماج الكامل فاعتبروا مسألة التوفيق بين الإسلام والمدنية الغربية فكرة متناقضة تتعارض مع ميولات الولاء التي أبداها فرحات عباس للإدارة الاستعمارية [5].

---

[1] بن العقون، مرجع سابق، ص ص. 380-381.

[2] Stora , Daoud, op, Cit, pp. 36 – 37.

[3] Abbas, op, Cit, p. 34.

[4] Ibid, p. 193.

[5] Stora , Daoud, op, Cit, p. 80.

وفي الوقت الذي كان الكثير من الاندماجيين يعتبرون عصور الإسلام عصور ظلام[1] كتب فرحات عباس عن الوجه المشرف للإسلام في القرون الماضية وعلى الطريقة التي توسع بها، والتي لا تعتمد على القوة والعنف بقدر استخدام العقل والمنطق والصدق في المعاملات.

2. موقفه من التجنيس:

أثارت قضية التجنيس ضجة كبيرة داخل النخبة والأوساط الجزائرية وفي أوساط المحتلين وشكلت نقطة خلاف في مطالب الحركة الوطنية بين مؤيد ومعارض فكيف ينظر فرحات عباس إلى قضية التجنيس ؟

نادى فرحات عباس بإلحاق الفرد الجزائري بفرنسا مباشرة، كما ألحقت أرض الجزائر بها ولذلك كان من المعارضين لقانون" السناتوس كونسلت" سنة 1865 ولموضوع التجنيس من وجهة النظر الفرنسية، ويرى أن الجزائر هي أرض فرنسية، وأن الجزائريين فرنسيون مع الاحتفاظ بالقانون الأساسي للأحوال الشخصية الإسلامي الذي يقتصر على أحكام الزواج والميراث، أما بالنسبة إلى بقية الأحكام فإن القانون الفرنسي عوض الفقه الإسلامي بالنسبة إلى أحكام التجارة والأحكام الاجتماعية والاقتصادية والمدرسية والعسكرية ... إلخ[2]، ومن هنا فمن حق الجزائري أن يحصل على كامل حقوق المواطنة الفرنسية، ومن هذا المنطلق فإن التجنيس في نظر فرحات عباس ليس له ما يبرره، إلا إذا كان الغرض منه هو خلق طبقة من المتجنسين داخل المجتمع الجزائري من أجل مزيد من الفوضى الاجتماعية وتقسيم البلاد من أجل فرض سيطرة الاستعمار[3].

إن التجنيس في تصوره لا يجب أن يعني النخبة البرجوازية دون عامة الناس كما كانت تريد فرنسا، انطلاقا من قناعته أن امتيازات البعض ستؤدي حتما إلى بؤس البعض الآخر وتفاقم الفوضى الاجتماعية والانقسامات الطبقية وذلك ما رفضه وإنما طالب بالتجنس الجماعي دون شروط، لأنه يعتبر نفسه جزءا من الفلاحين الفقراء الذين نشأ وتربى معهم ولا يستطيع أن يتخلى عنهم في محنتهم وعذابهم[4].

---

[1] أنظر:
la religion est un obstacle à notre émancipation la voix des humbles,n°55,decembre1927

[2] الطاهر، عمري، مرجع سابق، ص. 253.

[3] نفس المرجع و الصفحة.

[4] عباس، مرجع سابق، ص. 128.

إن فرحات عباس الذي لم يتجنس أبدا كان يعتبر التجنيس هو الباب الضيق للحصول على الحقوق السياسية والدخول إلى البرلمان الفرنسي، كان يرفض التجنيس الفردي فيقول:" إننا جزائريون ننتمي إلى عائلة، وهي تنتمي إلى مجتمع، التجنيس الفردي مرفوض يجب أن يطبق القانون على الجميع "[1].

في المقالات التي نشرها سنة 1927، في أسبوعية التقدم لابن التهامي شرح فرحات عباس المبادئ العامة التي يراها صالحة لRدماج وتتمثل في[2]:

أ- احترام الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية، فالإسلام دين الشعب قاطبة وهو في عقر داره وأي محاولة للقضاء عليه مضيعة للوقت لأنه قادر على الصمود

ب- التخلي عن خرافة التفوق الجنسي

ج- سياسة المساواة في الحقوق هي وحدها القادرة على ضمان مستقبل مشترك، وإن التمسك بفكرة الغالب والمغلوب تؤدي إلى الويلات والنكبات.

د- يجب على الشباب الجزائري أن يكون عامل تطور للمجتمع الإسلامي، وينفض عنه غبار الخمول والركود، حتى يصبح الـتمع عصريا يملك التقنيات لمنافسة الـتمع الأوربي.

ه- قبول الحضارة الغربية لكن مع المحافظة على التقاليد ولنأخذ من اليابان نموذجا يحتذى به فهو قبل بالحضارة الأوربية دون أن يتخلى عن حضارته وعاداته.

وعلى عكس بعض الاندماجيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم فوق أفراد الـتمع وإصرارهم على التجنس لأسباب شخصية تمكنهم من الرقي الاجتماعي[3]، فإن فرحات عباس لم يكن ينظر إلى التجنيس كفرد منفصل عن مجتمعه بل هو يطالب بإدخال 06 ملايين من الجزائريين المسلمين دون استثناء في المواطنة الفرنسية وإنقاذهم من تصرفات المحتلين الظالمة، فالعدالة في نظره يجب أن تكون للجميع، حتى تكون الجزائر كلها بقلبها مع فرنسا.[4]

لم يكن فرحات عباس يرى أي مانع في التحاق المسلمين الجزائريين بالأمة الفرنسية إذا رغبوا في ذلك، لكن شريطة أن يتم ذلك بناء على رغبة كلا الطرفين في العيش المشترك، وهذا بغض

---

[1] Abbas, op, cit, pp. 92 – 93.

[2] عباس،المرجع، ص ص. 144 – 145.

[3] أنظر: Jean,mélia,**naturalisation des indigènes**,La voix des humbles,n°55,december1927

[4] Abbas,op,cit, p. 102.

النظر عن الاختلاف في الدين واللغة أو العادات والتقاليد ما دام هناك تقارب سيتم تدريجيا بين الطرفين، وأن الزمن كفيل بردم الهوة الموجودة بينهما وأن الدين لم يمنع المسلم الجزائري من أن يكون فرنسيا على صعيد الانتماء القومي[1].

في عام 1935 ألقى فرحات عباس خطابا بحضور وزير الداخلية الفرنسي رينيه قائلا:" لم يبق هناك شيء في هذه البلاد إلا الاتفاق على سياسة الإدماج وذوبان العنصر المحلي في التمع الفرنسي " [2] وهو تأكيد على نظريته عن التطور من المستعمرة إلى المقاطعة، ويعطي مثالا بما فعلته ألمانيا في مقاطعتي الألزاس واللورين فألمانيا يقول غزت أرواح الألزاسيين واللوريين عن طريق المدرسة ولغتها وذلك تماما كغزو الأرض وبالتالي تمكنت من ضم الأرض والإنسان وأصبحا جزء من أمبراطوريتها دون تمييز بين جميع سكانا[3]، بل ويطلب من فرنسا أن تقتدي بالفتوحات الإسلامية، فهو يعتقد أن اندماج البربر في الحضارة الإسلامية حدث بسهولة لأن الفاتحين أعادوا لهم أراضيهم التي صادرتا روما واحترموا التقاليد المحلية وتسامحوا معها [4].

رغم أن فرحات عباس يتوفر على جميع الشروط التي تسمح له بالحصول على الجنسية الفرنسية إلا أنه رفض ذلك على أساس أنه على فرنسا تطبيق مبادئ ثورة 1789 وإلغاء التمييز العنصري الذي يمارسه المحتلون على الجزائريين المسلمين يعبر عن مشاعره هذه بقوله:" أكره العنف وأكره الظلم أكثر وأنبذ الأقلية المسيطرة في الجزائر، الظلم هو السائد وجذوره عميقة فمن العبث أن نحمل المسؤولية لهؤلاء المحتلين السيئين ونبعد الفرنسيين الآخرين إنما متكاملان، المحتلون هم نتيجة نظام سيء"[5].

في نقده للكولونيالية التي كانت تروج لنظرية نشر الحضارة يقول:"يعتقد الكثير من الناس أن فرنسا جاءت إلينا حاملة في يدها غصن زيتون ... نعم إنا شنت علينا حربا شعواء لاغتصاب بلادنا ... هاهم قذفوا بنا في غياهب القرون الوسطى"[6]، فالاحتلال بالنسبة إليه لا يعني إلا

---

[1] Abbas,op,cit, p. 152.

[2] غليسبي، مرجع سابق، ص. 165.

[3] Ferhat,Abbas," **sommes nous français il est temps que la France agisse**",l'entente franco-musulmane,n°33,12 Aout,1937.

[4] عبد القادر، حميد، مرجع سابق، ص.41.

[5] عباس، مرجع سابق، ص. 130.

[6] أنظر نقد فرحات عباس للاستعمار الفرنسي في المرجع السابق، ص ص. 76 – 85.

التقتيل وتجريد السكان الأصليين من أراضيهم والإدماج في نظره هو السياسة المثلى لوضع حد لتسلط الاحتلال بتطبيق القانون الفرنسي وتحرير الفلاحين وإلغاء القوانين الاستثنائية وتمكين الجزائريين من اكتساب العلوم وσليصهم من التخلف والجهل بل يجب كما قال :" إننا ننظر إلى يوم قادم وبفضل سياسة حكيمة، حيث تصبح جبالنا مغطاة بمنازل بيضاء وطرقنا معبدة والينابيع تتدفق بالماء ... والكوρ يتحول إلى حطام من الماضي ولن يظهر للأبد في الدواوير النائية، وفي أوساط المشاتي الطينية المغطاة بالديس، البنيان مرتفع المنازل تتكاثر وفي وسطهم المدرسة ومجلس الجماعة والمستشفى ... والأهالي يسرع إلى التحرر كمجموعات راسخة، والقرية تنشأ "[1].

كان فرحات عباس يسعى إلى مد علاقات متينة بين الأهالي والكولون، ووضع حد لسياسات فرنسية عنصرية قائمة على القوة وحدها، وباسم الثقافة الفرنسية وروح ثورتنا كان يأمل في تحقيق مجتمع متجانس خال من العبودية تتجسد فيه أفكار ثورة 1789 وشعار العدالة والمساواة والحرية، لكنه في الحقيقة أخطأ المكان والزمان فلا الاحتلال كان مستعدا للتنازل عن مصالحه والاستجابة له ولا الجزائريون آمنوا بفكرته.

3. ﭽرنسا ﻄي ﺃنا:

كانت سنوات الثلاثينيات حافلة بالأحداث والتطورات التي أثرت على الحركة الوطنية وعلى العلاقة بين النخبة وفرنسا، فالاحتفالات المئوية كانت مهينة لمشاعر الجزائريين الذين أصابم الكثير من الحزن والأسى، وكان دعاة الإدماج قد راهنوا على هذه الاحتفالات واعتبروها فرصة لتدعيم مراكزهم وتحقيق أهدافهم بالحصول على المواطنة الفرنسية والمساواة مع الكولون[2]، إلا أنم أكثر من أصيب باليأس، فرغم ما بذلوه وما صرحوا به من إشادة بالرسالة الحضارية الفرنسية إلى درجة الاستخفاف بالتاريخ الجزائري، كل ذلك لم يشفع لهم لدى السلطات الفرنسية، فقد صرح سيسبان رئيس المندوبية المالية: " إن الأهالي ليس لهم غير الاندماج في الـتمع الفرنسي، إن 05 ملايين نسمة من الجزائريين مرتبطون بمصير الوطن الأم فرنسا "[3] أما فرحات عباس فقد رفض المشاركة في الاحتفالات وإلقاء كلمة باسم الطلبة المسلمين.

---

[1] عباس، مرجع سابق، ص. 146.

[2] أنظر: **Le centenaire de la conquête de l'Algérie**,la voix des humbles,n°68,december1928.

[3] Cherif,Sisbane,**Note sur les réformes désirées par la fédération des élus des indigènes du département de Constantine**,imprimerie P.Brahim,Alger,1931,pp.8-14

وقد وصف هذه الاحتفالات بقوله "إن سنة 1930 هي ملك الأموات مثل سنة 1830 والخمسين سنة التي جاءت بعدها فهي غزو وحزن لنا، نحن لا نتاجر بتضحياتنا ولا نعكر أرواح موتانا بطيف رقصات، هل من الضرورة استحضار الماضي بحفلات باطلة؟ إن القرن الذي مر بالنسبة لنا هو قرن الدموع والدم، نحن الأهالي الذين بكينا وسال دمنا، وأخيرا نتمنى ألا يعيد على الرجال ذلك القرن مع أمل أن يحضرنا إلى أيام أحسن "[1].

عرفت هذه الفترة- وكرد على الاحتفالات الفرنسية- ميلاد جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931، وكان ذلك حدثا عظيما عرفته الجزائر، نظرا للدور الذي ستلعبه الجمعية في إيقاظ الأمة الجزائرية والدفاع عنها، وفي فرنسا أعلن نجم شمال إفريقيا عن برنامجه الثوري الذي يتضمن استقلال الجزائر، بينما استطاعت النخبة الجديدة افتكاك فدرالية النواب المسلمين على حساب النخبة الوراثية، كما عرفت هذه الفترة كذلك توترات اجتماعية، وسياسية تدل حسب سعد الله على فشل الاستعمار في السيطرة على الموقف رغم تجربته الطويلة، وعلى أن التيار الوطني أقوى من وسائل المقاومة التي استخدموها ضده[2].

أمام هذا الوضع المشحون بالتوتر كانت دعوة ابن باديس لعقد مؤتمر إسلامي أو جبهة وطنية تجمع الجزائريين، وتقف في وجه الاحتلال، في هذه الظروف نشر فرحات عباس في 27 فيفري 1936 في العدد 24 من جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي مقالته الشهيرة "فرنسا هي أنا"[3] وذلك ردا على جريدة " le temps "المتطرفة التي اتهمت في مقالاتها أن الحركة الوطنية هي التي كانت وراء الاضطرابات التي حدثت في الجزائر.[4]

اتهم فرحات عباس بسبب هذه المقالة بالتنكر لوجود الأمة الجزائرية وتحولت إلى سلاح في يد خصومه كثيرا ما كان التركيز عليها في الدراسات التي تناولته فكيف يقرؤها مناصروه ومعارضوه ؟

---

1 Abbas,op,cit,p.29.

2 سعد الله، المرجع السابق،ص.37.

3 Abbas,**En marge du nationalisme,la France c'est moi!**,l'entente franco-musulmane n°24 jeudi 27 fevrier,1936

4 kaddache,op,cit,p.367

كان مقال فرحات عباس ردا على ما صدر في جريدة" Le Temps" من تم للنخبة المعربة أي جمعية العلماء بأنا وهابية وقومية متطرفة، ومتهمة النخبة المفرنسة ممثلة في فرحات عباس وابن جلول بالوطنية.

إن المدافعين عن فرحات عباس يرون أنه غالبا ما كانت تؤخذ هذه المقالة دون الأخذ بعين الاعتبار الظرف والسياق التاريخي الذي قيلت فيه، بالإضافة إلى التركيز على بعض الفقرات فقط من المقالة دون الفقرات الأخرى التي تفسر الدوافع وراء ذلك [1] ويعتبرون أن فرحات عباس قد ميز بدقة بين الدولة وفكرة القومية المرتبطة بالأمة، فما دام أن الفكرة الأخيرة لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن التاسع عشر فإنه من المنطقي حسب فرحات عباس ألا يعرف الجزائريون عبر تاريخهم دولة الأمة الجزائرية، وما عرفوه هي " إمبراطورية إسلامية" أو "إمبراطورية عربية" ودول لم تكن مبنية على أسس قومية وما دام أن الفكرة القومية قد اكتشفها الجزائريون وهم موالون للدولة الأمة الفرنسية، فلماذا لا يلحقون بذه الأمة بناء على الرغبة في العيش المشترك بينهم وبين الفرنسيين [2].

كما أن فرحات عباس دافع عن العلماء من التهم الموجهة إليهم بالانتساب إلى الوهابية والقومية العربية، مبينا أن تعليم العربية والإسلام يسمح بالتفتح والاستنارة والخروج من الدروشة وهو ما كان يجب على فرنسا أن تقوم به في نظره، إلا أن فرنسا حرمت الأهالي، وتركتهم للجهل والأمية [3].

ومن المبررات التي يقدمها هؤلاء أن هذه المقالة جاءت أيضا في الفترة التي طرح فيها مشروع بلوم فيوليت، فأراد فرحات عباس إرضاء فرنسا حتى تواصل مشروعها، لأن الكولون عادة ما يستغلون فكرة الوطنية لإفشال أي مشروع يحقق المساواة مع الأوروبيين" إن المعمرين كانوا يقولون دائما إن الجزائريين المسلمين كلهم وطنيون، وإن منحت فرنسا لأعدائها المساواة في الحقوق فستطرد من الجزائر، فلا بد أن تبقى سيطرة الأوروبي قاعدة مطّردة لا تتبدل ولا تتغير"[4].

---

[1] الزواوي، بغورة، **الخطاب الفرÔB Ž الجزائر يk النقد والتأسيÈ**، دار القصبة للنشر، 2003، ص. 146.

[2] المرجع نفسه، ص. 131.

[3] نفس المرجع والصفحة.

[4] عباس، المرجع السابق، ص.155.

يضاف إلى ذلك وحسب تصور فرحات عباس أنه مستعد للتضحية بكل شيء من أجل إنقاذ الجزائريين حتى بموته" إن الوضع المتردي للشعب الجزائري يحتم علينا أن ننقذه بجميع الوسائل المتوفرة لدينا"[1].

أما خصومه فيرون أن فرحات عباس قد سقط في الأيديولوجية الاستعمارية الناكرة للهوية الوطنية، والتي تقوم على أن الجزائر لم تحتل إلا لأنها لم تكن تتمتع بالسيادة وأنها كانت دوما نهبا للأجنبي، وإن يوم احتلالها كانت في فوضى ومتاهة"[2]، وأنه مهما كانت الدوافع وراء مقالته فإن هذا لا يعني عدم إيمانه بإلحاق الجزائريين بالأمة الفرنسية وأنه حتى في حالة اعترافه بوجود هذه الأمة فإن هذا الاعتراف يعود إلى اقتناع فرحات عباس أن الربط بين الجزائريين والفرنسيين بات مستحيلا، وبهدف كسب دعم شعبي بالحديث عن مقومات الأمة، ودافع فرحات عباس عن مواقفه هذه بالقول:"في هذه المرحلة كانت لي مواقف سياسية اليوم يستغلها المحللون للدلالة على أن الوطنية ليست لها جذور عميقة، سوء النية واضح، موقفي في ذلك الوقت معروف جدا، لا يكفي ذكر بعض الجمل من مقالاتي كحجة ضد سياسة كانت يجب على الأقل ربطها بواقع تلك المرحلة"[3].

وقد أحدث المقال ردود أفعال عنيفة[4] خاصة من العلماء، وحزب الشعب نظرا لأنه طرح بصراحة وحدة مسائل كانت شائكة كقضية الأمة والوطنية، فقد كتب ابن باديس في أفريل 1936 أي بعد شهرين من صدور المقال ردا مباشرا في جريدة الشهاب بعنوان "كلمة صريحة".

فبعد أن عقد مقارنة بين الطرقية ممثلة في شخص "بن عليوة" الذي كان ينادي "أنا الله" وبين فرحات عباس الذي قال" أنا فرنسا"، يعلن موقفه في كلمة صريحة مؤكدا وجود الأمة الجزائرية منذ أقدم العصور موضحا تلاحمها عبر التاريخ ومبينا عناصرها" لا يا سادتي ... نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة

---

[1] عباس،مرجع سابق، ص.154.

[2] بغورة، المرجع، السابق، ص.146.

[3] عباس، مرجع سابق، ص.154.

[4] نشر فرحات عباس مقال آخر وفي نفس الفترة يشرح فيه أفكاره السابقة ،ولم يثر نفس الحدة من ردود الفعل،أنظر:

Ferhat,Abbas , **"en marge du nationalisme doctrine et réalité"**, la voix des humbles,n°167, avril1936.

وموجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ... ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت..."[1].

ويعني هذا أن للجزائر هوية وكيانا تتميز به عن فرنسا وذلك في إطارالتصورات الأساسية لابن باديس والجمعية، القائمة على التمييز بين الجنسية السياسية والجنسية القومية، الأولى خاصة بالحقوق المدنية في إطار الاتحاد مع فرنسا، أما الثانية فتتصل بالمميزات والمقومات الشخصية من لغة وعقيدة وتاريخ[2]، من جهتها اتهمت جريدة "لاديفونس- La défense " الناطقة بالفرنسية المقربة من جمعية العلماء فرحات عباس بالولاء لفرنسا، وكتبت مخاطبة إياه: "لست سوى عبد رومي خاضع للأوامر الاستعمارية"[3].

كما يذكر مالك بن نبي في مذكرات شاهد على القرن: "اطلعت على المقال ورأيت اسم صاحبه قطعا لم تزني صدمة مثل التي هزتني ذلك اليوم، منذ قرأت عنوان المقال "أنا فرنسا" ورأيت اسم صاحبه فرحات عباس"[4]، ويضيف أنه كتب مقالا شيقا يرد فيه على فرحات عباس وأنه أرسله إلى الأمين العمودي لنشره في جريدة الدفاع لكن هذا الأخير لم ينشره بحجة أنه سيحطم مستقبل فرحات عباس في الحلبة السياسية[5].

من جهتها كتبت جريدة "الأمة" لسان حزب الشعب:" كيف بإمكان مثقف مسلم أن يعبر عن مثل هذه المواقف التي اعتبرتا شنيعة؟ ماذا أصبح الأمير عبد القادر واعتراف فرنسا بسيادته بمقتضى معاهدة تافنة؟ ماذا تعني مقابر بلاد القبائل التي خاضت ثورة 1871؟ ما هو حال الكثير من الثورات الأخرى؟ إن تصورنا الوطني واضح، فحتى إن سلمنا باللامعقول وقلنا إنّ هذه الأمة لم تكن موجودة أبدا أو ليس باستطاعة خمسة ملايين شخص أن يساهموا في إيجاد هذه الأمة؟" [6]

---

[1] بوصفصاف، المرجع السابق، ص.281.

[2] بغورة، المرجع السابق، ص.134.

[3] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.65.

[4] مالك، بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**،دار الفكر، دمشق،1984، ص.360.بعنوان "مثقفون أم مثيقفون"

[5] المرجع نفسه، ص.366.

[6] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.65.

وهي بذلك طرحت مسألة الوطنية بربطها باستقلال الكيان الجزائري كمطلب لكل الجزائريين قبل أن تكون إشكالية تاريخية.

وبالنسبة لنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب فيما بعد لم تكن مسألة الهوية مسألة مركزية في اهتماماته السياسية، لأنه لم يكن يرى في الهوية مشكلة واقعية بل مشكلة نظرية فكرية تخص النخب، ينطلق في ذلك من تصور أساسي هو أن الجزائر أمة قائمة بذاتها، لها من الخصائص التي نجدها في الأمم المغايرة لها[1].

وبالرغم من الانتقادات القاسية التي تعرض لها، فضل فرحات عباس التريث وعدم التسرع وحافظ على تحالفه مع العلماء قصد التحضير للمؤتمر الإسلامي، وزار ابن باديس في مكتبه بإدارة الشهاب لتفسير موقفه، وقام بنوع من النقد الذاتي، ولذلك كتب ابن باديس مقالا آخر بعنوان "حول كلمتنا الصريحة" ومما جاء فيه "... وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم الهمة العالية، وشرف النفس، وطهارة الضمير... فالسيد فرحات عباس لم يتألم ولم يتكدر وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد، وينصاعون لكلمة الحق"[2].

ولعل هذه الردود العنيفة هي بداية التشكيك في الأفكار الاندماجية لفرحات عباس، لكن وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا في ماي 1936 فتحت آمالا كبيرة أمامه وظن أن ما لم يتحقق في السابق سوف يتحقق بمجيء اليساريين إلى الحكم.

4. فرحات عباس والمؤتمر الإسلامي:

حضر فرحات عباس المؤتمر الإسلامي المنعقد في 17 جوان 1936 وخلال المناقشات تقدم ببرنامج فيدرالية المنتخبين المسلمين، وانتهى المؤتمر بالمصادقة على عدة قرارات تتلخص في المطالبة بمنح كامل الحقوق، وحسب سعد الله فإن مطالب المؤتمر كانت في أكثرها غير سياسية، ما عدا مطلب حق التمثيل وإلغاء منصب الحاكم العام أما بقية المطالب فهي اجتماعية ثقافية واقتصادية[3].

ويمكن اعتبار الاندماجيين وعلى رأسهم فرحات عباس أكبر المستفيدين من هذا الوضع الجديد خاصة كسب مساندة العلماء لأفكارهم الاندماجية، ووصول الجبهة الشعبية للحكم

---

[1] بغورة، المرجع السابق، ص.135.

[2] الميلي، المرجع السابق، ص.45.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص. 158.

ووعودها بإدخال إصلاحات صيغت في مشروع "بلوم - فيوليت" والذي كان من أهم أهدافه: إزالة مفهوم الوطنية الجزائرية وعزل النخبة الجزائرية المسلمة نائيا عن عامة الشعب، وربطها بالحضارة الفرنسية مباشرة[1]. وهو ما صرح به فيوليت:" إذا كان محتلو الجزائر لا يفهمون أنه من واجبهم الانحياز إلى سياسة الاندماج بتبصر وحكمة وبصدق فما عليهم إلا أن يعلموا بأنهم بذلك الرفض يعملون على خلق وطنية جزائرية تتخذ بالضرورة شكلا ثوريا لكل الحركات الوطنية"[2].

وعند لقائه بابن باديس وفرحات عباس انتقد مصالي الحاج بشدة مطالب المؤتمر واعتبرها وسيلة جديدة من فرنسا لتقسيم الشعب الجزائري، وعزل Y به عن الجماهير، وعبر ابن باديس عن خيبة أمله بقوله: " لقد عدنا بأياد فارغة، وسنظل كذلك، صحيح أننا تحصلنا على كثير من الوعود والآمال ولكن علينا أن ننتظر"[3].

هذه الخيبة عاشها فرحات عباس مع وفد المؤتمر الإسلامي الذي سافر سنة 1938 لمقابلة رئيس الحكومة الجديدة دلاديه الذي أفهم أعضاء الوفد بعبارات لا تخلو من تديد بأن البرلمان الفرنسي يعارض مشروع فيوليت، ولا يرى أن المواطنة الفرنسية تنسجم مع قانون الأحوال الشخصية الإسلامية قائلا:"أمام هذه الوضعية لا يمكنني أن أضيف شيئا،أطلب منكم مساعدتي على إحترام النظام العام حتى لا أضطر إلى استعمال وسائل القوة التي بحوزة فرنسا،لأن فرنسا قوية"[4] .

وتعتبر خيبة أمل الوفد الجزائري انتصارا للفكرة الوطنية لمصالي الحاج، التي تجذرت أكثر منذ خطابه التاريخي في 2 أوت 1936 وانتصارا كذلك للكولون الذين استخدموا كل الوسائل المادية والدعائية للضغط على الحكومة لإلغائه لأنه في نظرهم سيتسبب قطعا في القضاء على نيابة وتمثيل الوطنيين الفرنسيين، وسيؤدي إلى إحداث قلاقل واضطرابات خطيرة تؤدي إلى نتائج مهلكة[5] .

---

[1] Kaddache, op, cit, p.408.

[2] Ibid.

[3] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.123.

[4] Naroun, op, cit, p.66.

[5] Noushi, op, cit, p.119.

وقد عبر فرحات عباس عن خيبة أمله في الحكومة الفرنسية التي خضعت لضغط مجموعة من الأميار وتخلت عن وعودها للجزائريين وتركتهم تحت رحمة قانون الغاب،أنظر:

وكرد فعل على موقف الحكومة والكولون استجاب فرحات عباس وجماعته من النواب لقرار اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي بتقدC استقالتهم، وقطع المشاركة في مداولات الـالس النيابية وعبر فرحات عباس عن هذا الموقف: "إن استقالتنا لها معا آخر وهو إعطاؤها قوة شرعية للمعارضة ضد الرجعيين، إلى الأمام من أجل الإصلاحات، إلى الأمام من أجل جزائر فرنسية تضمن الاحترام لكل أحد والعمل والخبز للجميع"[1]. كما علق على رفض الحكومة للمشروع وتديدها باستخدام القوة، محذرا من عواقب هذه السياسة، "ان احترام حقوق الإنسان أكثر أهمية من أي قوة، إنا لسياسة ذات عواقب وخيمة مآلها الفراق والطلاق، وستتحمل الحكومة الفرنسية أمام التاريخ مسؤولية هذه السياسة الخرقاء"[2].

كان سقوط الجبهة الشعبية والتخلي عن" مشروع بلوم –فيوليت" بمثابة هزة عنيفة خيبت آمال العناصر المؤيدة لRدماج خاصة، حيث حكمت بالموت على هذه السياسة ولا شك أن هذا الفشل كان نقطة تحول في تفكير الكثير من الجزائريين المعتدلين، وأدرك فرحات عباس أن الجزائريين أضعف من أن يقاوموا الاستعماريين في كل من باريس والجزائر في الوقت نفسه وخاب أمله حتى في أكثر الفرنسيين تقدما وحرية فكر[3].

كان فرحات عباس يبحث للمجتمع الجزائري عن أفضل الطرق الممكنة لإخراجه من حالة الاستعباد المادي والمعنوي، وكان يؤمن أن أهم عمل في المشروع الفرنسي بالجزائر يتمثل في ترقية الـتمع الجزائري المسلم في المستعمرة الأوروبية، ثم مع فرنسا (الميتروبول) في مرحلة لاحقة كيف ذلك؟.

اقترح فرحات عباس عدة سيناريوهات تمثلت في سياستين يمكن لفرنسا أن تتبا واحدة منها، سياسة التحرر بواسطة المدرسة والنظام الإداري الفرنسي في إطار الجنسية الفرنسية، وسياسة الاستعمار الاستيطاني التقليدية، فبواسطة السياسة الأولى ستشهد الجزائر زواجا سعيدا بين الغرب

Abbas,**"Hitler n'est pas le seul A ne pas tenir ses promesses"**, L'entente franco Musulmane n°116,30/03/1939

[1] عز الدين، معزة، المرجع السابق، ص.123.

[2] عباس، المرجع السابق، ص.157أنظر أيضا مقاله:

"Le sens de nos démissions,pour un régime nouveau", l'entente franco musulmane ,n° 35 26Aout1937

[3] غلسبي، المرجع السابق، ص.255.

والشرق، كما ستشهد تصالحا بين فرنسا والإسلام وبواسطة الثقافة الفرنسية الإسلامية ستولد فرنسا الشرقية، وهذه هي معجزة العصور الحديثة، أما السياسة الثانية فهي تعني بعث الجزائر الرومانية بكل مساوئها. ويشير إلى أن السيناريو الثاني هو الذي Ź تطبيقه في الجزائر، بدليل أن الجزائريين لا يزالون متميزين عن الأوروبيين[1].

حاول فرحات عباس فيما بعد تبرير سياسته التي دافع عنها بحماس في كتابه "ليل الاستعمار" متسائلا: أيهما أولى يومئذ، إنقاذ الجزائري من الانيار المادي والمعنوي الذي كان يتخبط فيه؟ أم المطالبة بالاستقلال؟ وفي رأيه أن المطالبة بالمدرسة والثقافة والعمل ومحاربة التعسف والقوانين الاستثنائية يمكن أن يساعد على المطالبة بالمزيد، فطريق المساواة في الحقوق بين المحتلين والمستعمرين إذا يمكن أن يؤدي في تقديره إلى بعث الدولة الجزائرية[2].

يعترف فرحات عباس أن فشل سياسة الإدماج هو فشل النخبة من أبناء جيله ومهما كانت مبررات هذا الفشل فإننا نعتقد أن انصراف الجماهير عن النخبة الاندماجية في ظل انتشار النزعة الوطنية إضافة إلى تنكر الإدارة الفرنسية وخذلانا لها هي أهم أسباب فشل المشروع الادماجي في الجزائر.

وحسب سعد الله فإن سنة 1937 هي بداية الشعور بالمرارة والفشل لدى النخبة ويذكر كيف عبر فرحات عباس عن هذا الشعور، في رده على السيد "هنوز" الذي كتب مقالة في جريدة صوت المستضعفين بعنوان "في خدمة الذين يعانون" وجاء رد فرحات عباس أن "هنوز" رجل اشتراكي قبل أن يكون أهليا، وأنا رجل أهلي قبل أن أكون اشتراكيا، وهو يناقش ويعرض المشكل كما لو كنا في أوربا أو أوربيين، أما أنا فأعرضه كما يجب أن يعرض في مستعمرة"

---

[1] الطاهر، عمري، المرجع السابق، ص.255 .

وفي مقام آخر يضع فرنسا بين حلين إما سياسة القمع والاضطهاد مثلما يفعل هتلر ضد اليهود،وإما سياسة حقيقية تلعب فيها دورها الحضاري و تمنح الجزائريين حقوقهم ،أنظر:

Ferhat,Abbas,"**Cela dépend de vous**", L'entente franco musulmane,n°106,19janvier1939

[2] عباس، ليل الاستعمار، ص.154.

والشعور بالأهلية وبكونه في مستعمرة يمثل بداية التحول عند فرحات عباس وجماعة النخبة من أمثاله[1].

5. الاتحاد الشعبي:

كان لرفض مشروع بلوم-فيوليت أثار سيئة في نفوس الكثير من المعتدلين، وأصبح ذلك نقطة تحول في تفكيرهم حيث بدأ البعض منهم يتخلى تدريجيا عن فكرة الاندماج في المجتمع الفرنسي، من بينهم فرحات عباس الذي بعد تجارب وإخفاقات مع الإدارة الاستعمارية، واحتكاك بالعلماء والحركة الوطنية أعاد ترتيب أوراقه لأنه رأى بعينه مآل طروحات الاندماج، مقابل تغلغل أفكار التغيير والاستقلال من خلال شعبية حزب الشعب والعلماء، فانفصل نائيا عن بن جلول في صيف 1938 لأن هذا الأخير واصل وفاءه لسياسة الاندماج [2] التي وصلت إلى طريق مسدود " وسيتجمد على حلمه الخالد في المساواة الاندماجية التي ظلت لمدة طويلة ممثلة في مشروع بلوم-فيوليت الذي كان يستجيب فعلا لمطامح نخبة مهتمة بالدرجة الأولى بارتقائها الاجتماعي الفردي عن طريق ديمقراطية مقصورة على نخبة الثروة والثقافة ".[3]

تغيرت أوضاع الجزائر عشية الحرب فقد أدى فشل المشاريع الفرنسية والنشاط السياسي الكبير للحركة الوطنية إلى تغير ذهنية الجزائريين وانتشار الفكرة الوطنية فهل سيتغير فرحات عباس ؟ وما العمل أمام هذا الوضع الجديد ؟ .

يذكر فرحات عباس أنه راودته أفكار انزامية كالانسحاب من الحياة السياسية نائيا، لكنه عدل عن هذه الفكرة بعد مراجعة وإعادة نظر في أفكاره السابقة وممارسة نقد ذاتي، " وسيتعلم الوطنية التي ستبدأ تطورها وتنتزعه من أحلامه الأولى في التمثل وتقود خطاه تدريجيا إلى تصورات فيدرالية "[4]،مع الإبقاء على روح الشاب الجزائري والوفاء للمبدإ الديمقراطي وتقاليد الجمهورية والتمسك بالانتماء للفئات الشعبية

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ص.71.

[2] أسس التجمع الجزائري الفرنسي الإسلامي Le rassemblement Franco-Musulman Algérien (R, F, M, A) الذي تمسك من خلاله بأفكار مشروع بلوم-فيوليت،أنظر:

Benjelloule,**"L'Algérie ne vivra qu'avec le projet Violette"**, L'entente franco-musulmane ,n°94,27/12/1938

[3] سليمان، الشيخ، المرجع السابق، ص.41

[4] نفس المرجع، والصفحة

وتجسيدا لأفكاره الجديدة، أسس فرحات عباس حزب " الاتحاد الشعبي الجزائري U PA" تحت شعار من أجل حقوق الإنسان والمواطن [1] يوم 28 جويلية 1938، وفي اليوم نفسه نشر نداء في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي يدعو فيه كل المناضلين المسلمين من أجل القضية الجزائرية بجميع إنتمائاتم السياسية وفئاتم الاجتماعية الانخراط في حزبه حتى يكون قويا، وبإمكانه مواجهة قوة الاحتلال[2]،أي خلق حركة شعبية مؤيدة له تقودها النخبة ويضمن تحركها الحزب.

وحسب سعد الله تسمية الحزب في حد ذاتا عنوان ضخما يمثل الانطلاقة الجديدة لفرحات عباس وأنصاره، كما يمثل تحول النخبة باتجاه الشعب، انطلاقا من أنّ هذه الطائفة قد ذاقت طعم دور الجماهير ابتداء من 1936 أثناء المؤتمر الإسلامي، وقد رأى فرحات عباس كيف حملت الجماهير مصالي الحاج على الأكتاف، فلماذا لا يشكل هو أيضا حزبا سياسيا يمثل اتجاهه، ويعّبر عن النظرة الجديدة للنخبة القائمة على نقل طموحات المنتخبين نحو العمل السياسي الفعلي المستقل عن الوساطة الفارغة بين الشعب والإدارة[3].

وهذا يعني الانتقال من مطلب الاندماج إلى مطلب المساواة للتعبير عن طموحات الفئات الشعبية، وصرح بذا الصدد " أن النصر يتطلب قوة تكتل في الأسواق والمقاهي وحتى الأكواخ الحقيرة قادرة أن تتحول إلى معاقل، فنحن نريد أن تحافظ الجزائر على مظهر محترم على لغتها وأخلاقها، وكذا تقاليدها، يجب أن نقول: لا للاندماج "[4].

اعتقد فرحات عباس أنّ كل القوى المعادية للكولونيالية يجب أن تتحد، وتترك جانبا قناعاتا الإيديولوجية حتى يتسنى لها وضع حد لهيمنة الأرستقراطية المالكة للأرض المعارضة لكل أشكال الإصلاح الاجتماعي[5]، كما اقتنع أن تحرير الإنسان الأهلي سيكون مهمة الإنسان الأهلي نفسه تحت شعار " بالشعب من أجل الشعب" مع الاعتماد على الديمقراطية الفرنسية التي تؤدي إلى الارتباط بفرنسا لا بدمجها فيها[6].

---

[1] L'union populaire algérienne : pour la conquête des droit de l'homme et du citoyen .
[2] Ferhat,Abbas,**"Appel a tous les amis de la cause indigène"** l'entente- franco-musulmane ,n°83,28/07/1938.
[3] سعد الله، المرجع السابق، ص.72.
[4] Ageron, **Ferhat Abbas et l'évolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxième guerre mondiale. (revue d'histoire Maghrébine)** , n°4 Juillet 1975, Tunis, p . 125
[5] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص. 77
[6]- سعد الله، المرجع السابق، ص. 72

أمّا برنامج الحزب الجديد فكان يتمحور حول المطالبة بنظام متساو تنتفي فيه الامتيازات العرقية والفئوية، ووضع أسس دولة جزائرية تكون بمثابة مقاطعة فرنسية حقيقية تقوم على تصورات المقاطعات الفرنسية نفسها، لكن مع المحافظة على لغتها وعاداتا وتقاليدها[1]، كما ركز البرنامج على المطالبة بالتمثيل المتساوي في البرلمان وفي المجالس العامة، وفصل الدين عن الدولة والاستعمال الحر للغة العربية في التعليم والصحافة وضمان الحقوق النقابية[2].

لقد اقتنع فرحات عباس بضرورة الاعتماد على الجماهير بدل النخبة، وأنّ نجاح أي مشروع لا يكون إلاّ بالعمل الجماهيري، إنّ هذا التغيير في فكر فرحات عباس والخطوة الصغيرة نحو الراديكالية نوعا ما أصبح واضحا في خطاباته ومقالاته، وبدل أن يتصل بالفرنسيين رأسا صار يعتمد على الجماهير الشعبية خاطبا ودها ومنتقدا النخبة التي مازالت مرتبطة بفرنسا، وأصبح حسب أجرون قريبا من العلماء[3].

حاول فرحات عباس إعطاء حزبه تجذرا شعبيا، ونجاعة سياسية، وسعى عند جميع الجهات السياسية الفرنسية للحصول على استجابة لمطالبه خاصة بما يتعلق بالتمثيل، لكن جهوده كلها خابت، وللانتشار شعبيا نصب عدة فروع لحزبه منها 50 فرعا في ولاية قسنطينة و4 فروع في وهران وفرعان بالعاصمة، وحسب تقرير السلطات الفرنسية عن حالة الأهالي سنة1938 فإنّ عدد المنخرطين في حزب فرحات عباس وصل 10.000 منخرط،وأن تأثيره على الأشخاص يفوق 300.000 شخص، بينما قدر نفس التقرير تأثير حزب الشعب بـ 10.000 شخص، والعلماء 30.000 شخص.[4] .

لكن هذه الأرقام فيها الكثير من المغالطة، فمعظم الدراسات تجمع على تأثير حزب الشعب والعلماء على الجماهير، ويعترف فرحات عباس بذلك، وحسب قداش" أن برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري، لم يجد استجابة شعبية، وكان يقتصر على بعض أصدقاء فرحات عباس،المتأثرين بشخصه كزعيم للمنتخبين، أكثر من تأثرهم بالحزب"[5].

---

[1] Kaddache,op, cit, p. 583

[2] أنظر تفاصيل البرنامج في: Collot, op, Cit, pp.121-124

[3] Ageron, op,cit.126

[4] Stora, Daoud, op ,cit, p. 95

[5] Kaddache, op, cit, p. 584

إنّ الحركة الجديدة لفرحات عباس لم تكن تعني القطيعة مع أفكاره السابقة، فهو وإن تخلّى عن فكرة الإدماج إلاّ أنّه لا يتصور من مستقبل للجزائر إلاّ مستقبل أي محافظة فرنسية، ولا وجود هنا لقضية الاستقلال، ولا لقضية الاستقلال الذاتي، وإنما استمرار للمطالب التي تبناها المؤتمر الإسلامي[1].

إن الواقع كان غير هذه الأحلام ففرحات عباس حين بدأ يدعو لأفكاره الجديدة من خلال التجمعات الشعبية وجد أنّ الجماهير متجاوبة أكثر مع دعوة الاستقلال التي نادى بها مصالي الحاج، وأن سمعة حزب الشعب قد فاقت كل التصورات، وقد أدت المعطيات الجديدة إلى الشك في مدى نجاح أفكاره السياسية التي طالما آمن بها وحلم بتجسيدها، وستضع الحرب العالمية الثانية حدا للوجود العابر لحزب الاتحاد الشعبي لكنها ســتتيح لفرحات عباس آفاقا جديدة.

---

[1] - سليمان، الشيخ، المرجع السابق، ص.42

المبحث الثالث: علاقة فرحات عباس بالحركة الوطنية

1. علاقة فرحات عباس بجمعية العلماء:

إن دراسة علاقة فرحات عباس بجمعية العلماء يكون في الإطار العام لعلاقة النخبة بالعلماء وبفرحات عباس بشكل خاص خلال مرحلة بروزه كزعيم سياسي للاتجاه الإدماجي فما هي طبيعة هذه العلاقة؟

كانت علاقة النخبة الإندماجية بالعلماء متذبذبة وغير مستقرة، وإن غلب عليها الطابع التعاوني، تسير حسب التقلبات السياسية والأزمات والظروف التي تمر بها البلاد، فتارة نجد العلماء يعتبرون النواب ممثلي الأمة والمدافعين عنها، ويستنجدون بهم إذا ضيق عليهم الحصار أو أصدرت الإدارة الفرنسية ضدهم قرارا، وتارة أخرى ينظرون إليهم بسخرية ويعتبرونهم أبناء فرنسا وألعوبة في أيادي المعمرين وذلك لكونهم متأثرين بالمبادئ الفرنسية[1].

وقبل تأسيس جمعية العلماء كان رجال الإصلاح وخاصة المهتمين بالنشاط السياسي كالإمام عبد الحميد بن باديس، يرون في جماعة النخبة عونا كبيرا لهم لتحقيق أهدافهم، فهم الذين سيتولون الدفاع عنهم لدى الإدارة الاستعمارية وعن مشاريعهم وأعمالهم، كما أنه عن طريقهم يمكن لهؤلاء نشر دعايتهم وتكوين الرأي العام الإسلامي[2]، ونلاحظ ذلك من خلال علاقة ابن باديس بنواب قسنطينة والدكتور بن جلول على الخصوص .

وبعد تأسيس جمعية العلماء التي نصّ قانونها الأساسي على عدم التدخل في الأمور السياسية وأمام تعنت الإدارة حيال مطالب الجمعية، وجدت نفسها بأمس الحاجة إلى من يدافع عنها من السياسيين النواب، وبصدور قرار ميشال[3] الذي يعرقل نشاط العلماء اهتموا أكثر بطلب إعانة النواب وتقربوا منهم،فوجد هؤلاء في هذا التقارب خدمة كبيرة لهم لأنهم سيوسعون شعبيتهم ونلمس هذا التقارب والتعاون بالخصوص على مستوى القاعدة، فأغلب الجمعيات المحلية والنوادي

1- علي، حشلاف، **المواقف السياسية لجمعية العلماء من خلال صحفها 1931-1939**، ماجستير معهد الإعلام والإتصال الجزائر 1994، ص. 187

2- محمد، خير الدين، **مذكرات** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ، ج2، ص.86

3- منشور ميشال، 1934 نسبة إلى والي ولاية الجزائر ويقضي المنشور بمنع العلماء من القيام بنشاطهم في المساجد

وشعب جمعية العلماء كانت تضم عناصر كثيرة من النواب البلديين والماليين وبعض الموظفين[1] فلماذا هذا التقارب ؟ هل هو تقارب الأفكار أم تكامل المصالح ؟ .

المعروف أنّ جماعة النخبة يختلفون عن العلماء من حيث المبادئ والأفكار، فهم ينطلقون من أفكار فرنسية غربية محضة، حيث إن أغلبهم تعلموا ودرسوا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالأوربيين وطبائعهم، وأعلنوا ولاءهم لدولتهم، وأمتهم فرنسا، وطالبوا بإدماج المتمع الجزائري في فرنسا نتيجة انبهارهم بقوتا وباستحالة طردها ويعترف أحد النواب وهو محمد كسوس " إن جيلنا فرنسي فكريا رغم أنه يحتفẒ بدينه ولغته وعاداته، ومع ذلك فإنه لا يتصور أي شكل سياسي غير الشكل الذي تمثله فرنسا"[2].

أما العلماء فينطلقون من مبادئ إسلامية عربية لكونم درسوا في البلدان المشرقية فنشأوا متشبعين بالأفكار الدينية، ورغم ذلك فإن المتتبع لأطوار العلاقة بين النخبة والعلماء يجد أنم كانوا على اتفاق تام تقريبا في هذه الفترة.

وحسب عبد الحميد زوزو فإن إمكانية التقارب بين نجم شمال إفريقيا والعلماء هي في الواقع أكبر حظا مما كانت عليه بين العلماء والنخبة بالنظر إلى توفر عناصر الاتفاق، فالعلماء يعملون من أجل توعية الجماهير دينيا وثقافيا، ويعمل النجميون من جهتهم على نشر التوعية السياسية ومع ذلك لا نعثر على أي شكل من أشكال التنسيق بينهما بينما نلمس العلاقة الوثقى بين العلماء والنواب وفي نظره أن أكبر عامل في التقارب بينهما يعود إلى "تلاقي طبائع أعضائهما، وتقارب طبقتيهما الاجتماعية وتشابه ميزانما الخاص للأشياء وتقديرهم لها ووحدة الوسائل التي يرونا أفضل لبلوǧ الأهداف"[3]

بينما يرى آخرون أن هذا الطرح غير صحيح، وغير دقيق فطبائع العلماء وتكوينهم الشخصي كان عربيا أصيلا، في حين أن طبائع، وأخلاق جماعة النخبة كانت شبيهة إلى حد ما

---

[1]- خير الدين، المرجع السابق، ص. 92

[2]- سعد الله، المرجع السابق، ص. 59.

[3]- عبد الحميد، زوزوۛ **DzTlرة ودورها Ž الحركة الوطنية الجزائرية بk الحربk (1919-1939)**ۛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1985،ص.136.

بطبائع وأخلاق الفرنسيين، وما التقارب الذي حدث بينهما إلاتكتيكا ظاهريا إقتضته ظروف الكفاح ضد العدو المشترك[1].

والمتتبع للعلاقة بينهما يجد أنا لم تكن تخلو من الصراع خاصة في بدايتها، حيث طالب بعض النواب من الشعب نبذ فكرة القومية الإسلامية، والإبتعاد عنها لأنا فكرة وهابية،فقد جاء في إحدى جرائدهم "La presse libre" "أن ابن باديس يشكل خطرا وأن العلماء رجعيون يفتخرون بالجامعات القديمة، ويعلمون التعصب والافتخار بالنسب "[2] بل نجد منهم من طالب بحلها لأنا انحرفت عن مهمتها الأصلية، وأنا سبب التوترات والفوضى، وكان الخلاف حول عدة مسائل كالوطنية والجامعة الإسلامية والجنسية الفرنسية، فبينما كان زعماء النخبة ينادون بالإدماج والاتحاد مع فرنسا، ومنح الجنسية للجزائريين، فإن العلماء كانوا على النقيض بمواقفهم الرافضة للاندماج، ومحاولة إلحاق الجزائر بفرنسا تحت شعار " الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا " ولذلك لم يترددوا في مهاجمة جماعة النخبة ووصفهم بالجحود وعدم قدرتم على تأسيس حزب سياسي له برنامج خاص، ومبدأ لا تحيد عنه مثل الأحزاب الفرنسية[3].

لكن هذا التنافر لم يدم طويلا حيث تحسنت العلاقة بينهما فيما بعد، فقد أيدت الجمعية معظم النقاط التي جاء با مشروع فيوليت الذي اعتبره النواب منقذ الجزائر من محنتها، كما أيدت الجمعية ابن جلول في الانتخابات البلدية لسنة 1934 الشيء الذي ساعده على الفوز، بل وقاد العلماء الحملات الانتخابية للنواب في تلك السنة، ففي الجنوب كان محمد خير الدين مسؤول الحملة الانتخابية للدكتور سعدان [4] .

وفي المقابل دافع النواب من النخبة عن الجمعية ومطالبها، ووقفوا معها في محنتها عندما منع العقبي من التدريس، فقامت مظاهرات كبيرة في شوارع العاصمة مندددة بذا القرار، كما ازداد

---

1 عبد الكريم، بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 -1945)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص. 274

2 سعد الله، المرجع السابق، ص. 64

3 المرجع نفسه، ص. 63

4 خير الدين، المرجع السابق، ص. 286

هذا التقارب بمناسبة أحداث قسنطينة [1] حيث ظهر ابن جلول إلى جانب ابن باديس لمعالجة الموقف وتوطدت العلاقة أكثر بمناسبة المؤتمر الإسلامي حين اختار ابن باديس الدكتور ابن جلول رئيسا للمؤتمر، فهل بلغت ثقة ابن باديس فيه إلى هذه الدرجة ؟ إن ما يجعلنا نطرح هذا التساؤل هي مواقف ابن جلول من العلماء فيما بعد، وحتى ابن باديس يعلل مشاركته في وفد المؤتمر إلى باريس بقوله:"حتى لا يقع انحراف في المطالب، ولا تساهل في القضية الجوهرية الشخصية القومية لأنه يعلم أن في النواب بعض المتساهلين في هذه المسألة " [2].

ورغم هذا التوتر في العلاقات إلا أنا بقيت مميزة فبمناسبة الاحتفالات الفرنسية باحتلال قسنطينة سنة 1937، ذكرت التقارير الشهرية لمصلحة الاستعلامات لمدينة قسنطينة عن وجود وفاق بين الطرفين رغم معارضة بعض أفراد النخبة [3].

وقد تجلى هذا الوفاق بمناسبة انتخابات أكتوبر1938 حيث دعا العلماء إلى تأييد النواب ومنحوهم أصواتم، ولولاهم لما فاز النواب، لكن شكوك كل طرف نحو الأخر بقيت مستمرة حيث يذكر ابن العقون " هكذا شاءت ورقة الانتخابات المقدسة أن يعقد أبطال – لانطانط – محالفة مع أبطال جمعية العلماء ..... وأن يحل الوداد محل الجفاء ظاهرا، على أن كلا الطرفين يدعي الاٍٍٍٍٍٍٍداع بالآخر، وذلك نظير اٍٍٍداع أحد النشالين بالآخر، في حين أن كل منهما تسرب بيده إلى انتشال حافظة نقود زميله " [4].

أما فرحات عباس ورغم تكوينه الفرنسي إلا أنه لم ينقطع نائيا عن ماضيه الحضاري حيث كتب سنة 1926 " إن الإسلام سيبقى معتمدنا الأكيد، وهو الاعتقاد الذي يعطي معنا لحياتنا

---

[1] - قيل أن جنديا يهوديا جرح شعور المصلين عندما دخل الجامع الأخضر أثناء صلاة الجمعة 3 أوت 1934،و تلا ذلك اضطرابات ومشادات،و كانت النتيجة قتل 23 يهودي وأربعة جزائريين، للاطلاع على أسباب الأحداث ونتائجها أنظر: الدراسة التي قدها الدكتور Geneviève Dermenjian في ندوة" اليهود في أرض الاسلام والبلقان"التي جرت بأثينا في الفترة2-4أفريل 2000: Geneviève,Dermanjian,**le malaise colonial de l'Algérie des années trente au miroir du pogrom de Constantine**(août 1934),: site:http//www.mmsh.uni- aix.fr/telemme/textes /publienscherch /le%20pogrom%20de%20constantine Pdf.

[2] - رابح، تركي، المرجع السابق، ص. 416

[3] - بو صفصاف، المرجع السابق، ص. 280

[4] - بن العقون، المرجع السابق، ص. 125

ولوطننا الروحي، وإن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية هو بلادنا الحقيقية " [1]، ورغم مقاله المشهور " فرنسا هي أنا " إلا أنه كان على اتصال دائم بالحركة الإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء وبعدها، متأثرا بأفكارها خاصة دعوتا إلى العلم، وتقبل التقنيات الجديدة التي أنتجتها الحضارة الغربية، ومحاربتها للطرقية والتخلف، وما قامت به من فتح المدارس، وبناء المساجد وإنشاء النوادي والجمعيات الثقافية والرياضية [2] .

يذكر عمار نارون في الشهادة التي قدمها أن فرحات عباس تحدث إلى وزير الداخلية الفرنسي" رينيه " عند زيارته سطيف سنة 1935، وذكر له المهود الذي تقوم به جمعية العلماء وعلى رأسها " عبد الحميد بن باديس " إذ شبه هذا الأخير بـ " إيرازم "Irazem [3] في دفاعه عن اللغة العربية وبـ" لوثر Luther " في دفاعه عن الدين الإسلامي ضد الطرقية وضد الإدارة الاستعمارية التي تخلت عن واجباتا في تعليم الجماهير، وهذا في نظر فرحات عباس سيؤدي إلى انتشار سريع للغة العربية التي ستملأ الفراغ الذي تركته الثقافة الفرنسية، وذكر فرحات عباس الوزير الفرنسي بالشعار الذي رفعته الجمعية " إن الجزائر ليست فرنسا ولم تكن في يوم فرنسا، ولا يمكنها أن تكون فرنسا " [4] ما يفهم من كلام فرحات عباس أنه أراد تحذير الوزير الفرنسي من تطور مشروع المتمع خارج الإطار السياسي والثقافي الفرنسي الذي كان فرحات عباس يحرص عليه كثيرا[5] .

وقد يبدو أن تصريحه الذي نفى فيه وجود الشخصية والأمة الجزائرية، يجعله أبعد ما يكون عن جمعية العلماء، لكن في الحقيقة نجد هذا التصريح بالذات وما صحبه من رد رئيس الجمعية هو الذي وطد العلاقة بينهما، فمن جملة ما قاله ابن باديس في كلمة صريحة " وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم الهمة العالية وشرف النفس، وطهارة الضمير الأستاذ فرحات عباس " [6].

1- Stora, Daoud, op, cit, p. 39

2 Stora,op,cit, p.37

3 - إيرازم (1466. 1536) كاتب هولندي إنسانوي اللاهة ومثقف، يمثل تيار النخبة خلال عصر النهضة في شمال أروبا، اشتهر بنقده للفلاسفة واستنكار عجزهم عند التأثير في الحياة العامة، أنظر: الطاهر العمري، ص. 442

4- Naroun, op, cit. P25

5 - طاهر، العمري مرجع سابق، ص. 242

6 الميلي، المرجع السابق، ص.44.

وهي شهادة لها وزنها، كما كان فرحات عباس يعتبر كلا من ابن باديس والإبراهيمي آباء روحيين له، فكثيرا ما كان فرحات عباس يعود إلى الإبراهيمي الذي سجن معه بعد حوادث 8 ماي واستقر معه بالقاهرة عند اندلاع الثورة في اتخاذ مواقفه السياسية، ولم يخف فرحات عباس إعجابه بابن باديس حين وصفه " كان مكسوا هبة وجلالا تستنيره هالة من العظمة والوقار "[1].

وفي مكان آخر يبرز فرحات عباس دور الجمعية، ورجالاتها بقوله "....حملت هذه الجمعية على عاتقها عبء نهضة الإسلام، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق، المتواطئين مع الإستعمار وتكوين إطارات اجتماعية ومثقفين ثقافة عربية... وهدفها الرجوع إلى العروبة والإسلام " [2]

ويعتقد أنه يشترك معها في هذه النظرة، فقد كان شديد النقد إلى إسلام الطرقية والمشعوذين ويرى أنه عائق كبير أمام الإسلام الصحيح، ولذلك فإن التجديد الذي جاءت به جمعية العلماء هو الذي يؤدي إلى إعطاء الدين الإسلامي مفهومه الحقيقي، وهو ما جعل البعض يرى أن العلماء قد جعلوا الزعيمين فرحات عباس وابن جلول يعتنقان مبدأ العروبة والإسلام[3] حيث تبنى فرحات عباس بعض مطالبها، وتحالف معها ضد المرابطين، والنواب الرجعيين من خصوم الجمعية، ولعل هذا الإحتكاك بالعلماء هو الذي أخرج النخبة ومنها فرحات عباس من إشكالية الفهم للاستعمار وجعله يتحول تدريجيا عن فكرة الإندماج.

ولعل فرحات عباس قد أدرك أن كل حركة بعيدة عن الشعب مآلها الفشل، وأن أقرب طريق إلى الشعب هو جمعية العلماء، ولذلك تقرب منهم أحيانا بدون قناعة، بالمقابل نجد أن العلماء أحسوا منه القابلية للتعاون معهم وروح الخدمة المتبادلة، فمن الملاحظ أنه كان رجل عمل دؤوب بإمكانه أن يدافع بقلمه واتصالاته عن الجمعية ومشاريعها[4].

وكانت فترة الحرب العالمية الثانية، وما بعدها هي الفترة التي توطدت فيها علاقة فرحات عباس بالعلماء أكثر، لقد اقتنع فرحات عباس من خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية أن

---

[1] عباس، المرجع السابق، ص. 157

[2] المرجع نفسه، ص. 150

[3] بوصفصاف، المرجع السابق، ص. 284 وأيضا سعد الله، المرجع السابق، ص. 67

نفس الطرح يذهب إليه: Luc de la barre,op,cit,p.37

[4] البصائر عدد 8، 21 فيفري 1936، ص.7

الفرنسيين لا يريدون تحقيق المساواة التي كان يدعو إليها، وبعد نزول الحلفاء حاول فرحات عباس أن يستفيد من ذلك، بأن طلب منهم الضغط على الحكومة الفرنسية لإعطاء الجزائريين حقهم في تقرير المصير فاتصل بعدة أطراف جزائرية، وحصل على تأييد العلماء رغم أن رئيسها الإبراهيمي كان متخوفا من سياسة فرحات عباس المبنية على الاتحاد الفيدرالي مع فرنسا[1] حيث شارك الشيخ خير الدين، والعربي التبسي في المشاورات التي قام بها فرحات عباس مع الشخصيات السياسية والتي تمخضت عنها المذكرة التي أرسلها إلى الحلفاء .

كما تجلى تأيـيد العلماء لفرحات عباس في تحمسهم لتأسيس حركة أحباب البيان والحرية لكونها تحافظ على الشخصية الوطنية في قانونها الأساسي، ولأنها جمعت بين أقطاب الحركة السياسية الجزائرية، كما أن تجربة 8ماي 1945 وسجن فرحات عباس والإبراهيمي قد وطدت العلاقة بينهم، وهو ما تجلى في الدور الذي لعبه العلماء في دعم فرحات عباس وحزبه الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في مختلف الإستحقاقات الانتخابية، ولعل استجابة فرحات عباس للكثير من نصائح العلماء جعله أقل تعرضا لانتقاداتها.

من خلال دراستنا لهذه العلاقة نجد أنه غلب عليها التفاهم والتعاون، فكيف نفسر ذلك رغم أن كليهما يحمل مشروعا يختلف عن الآخر؟ إن لم يكن متناقضا؟ فإذا كان مشروع العلماء يقوم على المحافظة على الشخصية الوطنية، ويحارب الإدماج، والتجنس فإن فرحات عباس وجماعه النواب يرتكز مشروعهم على فكرة الإدماج، وفي المقابل كيف يتحالف دعاة الإدماج مع العلماء وهم يعتبرون الأحوال الشخصية أكبر عائق للحصول على المواطنة الفرنسية؟ فمسألة التقارب إذا ليست نتيجة الالتقاء في المبادئ نفسها وإنما نتيجة تكامل المصالح.

إن جمعية العلماء كانت بحاجة إلى من يدافع عنها سياسيا بحكم صراعها مع الإدارة الاستعمارية، والنواب هم أقدر من يقوم بذلك بحكم علاقتهم بالأوساط الفرنسية، فاتجاهها نحوهم طبيعي، ويخدم مصلحتها حتى تؤدي مهمتها، بينما لم يكن من مصلحتها على الأقل إستراتيجيا التحالف مع التيار الاستقلالي بحكم مواقفه وأفكاره المعادية لفرنسا والتي جعلته في صراع دائم مع الإدارة الاستعمارية.

---

[1] - شايب، عزواني قدادرة، **الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 -1945**، شهادة ما جستير، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، مصر، 1991، ص.163

في المقابل كان فرحات عباس وأنصاره يتقربون من العلماء لتوسيع شعبيتهم نظرا لمكانة العلماء ونفوذهم في الطبقات الشعبية، وهذا يعطيهم بعض المصداقية بإعتبارهم يمثلون النخبة فقط، وفي الوقت نفسه يوفر لهم دعما شعبيا للفوز بالإنتخابات، والنتيجة هي أن فرحات عباس حاول كسب العلماء وحرص على ربط علاقة متينة بهم حتى في أشد الظروف سواء عن اقتناع أو لتكتيك سياسي، وكلا الطرفين كان مقتنعا أن الآخر لا يشكل خطرا عليه، على العكس من ذلك فهو يحقق فوائد كثيرة، وبشكل أو بآخر فإن احتكاك فرحات عباس بالعلماء كان له تأثير كبير على مواقفه وأفكاره.

2. ءƔقة ǼǻǼژ عباâ باɬɵƖɬ استƔƖƃ:

تأسس نجم شمال إفريقيا[1] في فرنسا وانتشر في الأوساط العمالية هناك، وقدم مطالب ثورية تحررية، تمثلت أساسا في استقلال الجزائر وبناء دولة جزائرية منفصلة عن فرنسا، ولكن تغلغله في الأوساط الشعبية كان محدودا بسبب وجوده في الخارج، وفي الوقت الذي كان برنامج النخبة من خلال فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين لسنة 1927 ينادي بالمساواة في الحقوق والاندماج والجنسية الفرنسية، فإن زعماء النجم كانوا على النقيض من ذلك يرون أن العنف الثوري هو الكفيل للحصول على الاستقلال، وهذه هي نقطة الخلاف الأساسية مع باقي الحركات السياسية .

في تصور فرحات عباس أن سياسة المساواة، والإدماج مع تقدم وعي الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي والاقتصادي سيؤدي إلى استقلال الجزائر، وهي ليست دعوة لRدماج من أجل طمس شيء اسمه الجزائر العربية المسلمة، وإنما على أساس أن تكون تلك خطوة ومرحلة نحو تحقيق الإستقلال الوطني ولو بعد فترة طويلة[2]،بينما الوطنيون ينطلقون من فكرة أن أقرب طريق لحل

---

[1]- بدأ نجم شمال إفريقيا كجمعية تعمل للدفاع عن مصالح مهاجري المغرب العربي في سنة 1924 ولم يظهر رسميا إلافي 1926 تراسه في البداية الحاج علي عبد القادر، كما تراسه شرفيا الأمير خالد وإبتداءامن جوان 1926 تراسه مصالي الحاج الذي طبعه بشخصيته القوية تعرضإلى الحل أكثر من مرة ليعود بأسماء جديدة (نجم شمال إفريقيا اليد، الإتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، حزب الشعب وأخيرا حركة الإنتصار)لكن بنفس المبادئ والأهداف أنظر:أحمد الخطيب، **_ǵزب الشعب الجزائرB**û المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

[2] بوعزيز، الإتجاه اليميني، مرجع سابق، ص. 55

المشكلة الجزائرية هو الكفاح السياسي والعنف الثوري،فكليهما يختلف عن الآخر من حيث الأهداف والطرق وخاصة حول المسألة الوطنية[1].

ويتعدى الاختلاف بين النخبة عموما، ودعاة الاستقلال إلى الجانب الثقافي، فبينما نجد النخبة خريجة المدارس والجامعات الفرنسية، فإن قادة النجم على مستوى بسيط من العلم ولم تتجاوز مستوياتم الثقافية الشهادة الابتدائية[2]، وإذا كان عناصر النخبة ينتمون إلى الطبقة المتوسطة عموما فإن أعضاء النجم وقادته كانوا من أوساط اجتماعية متواضعة فمعظمهم كانوا عمالا مغتربين في فرنسا، ويضاف إلى الاختلاف في أصولهم وتكوينهم، الاختلاف في مزاجهم وتركيبة شخصيتهم فإذا كان فرحات عباس يمتاز بالمرونة السياسية فإن مصالي الحاج كان يلعب دور العظيم الملهم المسكون بالكبرياء والزعامة[3].

يذكر فرحات عباس أن أول لقاء له مع مصالي كان سنة 1930عندما كان ممثلا لجمعية الطلبة المسلمين، وأثناء عودته من بروكسل التقى بمصالي في شارع السيد لوبرانس: Monsieur le prince"بباريس في مقهى يديره أحد أصدقاء مصالي، ودار بينهما نقاش سياسي حول مستقبل الجزائر، ومنذ ذلك الحين اشترك في جريدة الأمة إلى سنة 1936 [4] .

تميزت علاقة فرحات عباس بدعاة الاستقلال عموما بالصراع والتنافر لاختلاف تصوراته وطروحاته حول مصير المجتمع، والعلاقة مع الإدارة الاستعمارية،كان دعاة الاستقلال يلقون باللائمة على النخبة لأن هدفها الحصول على المواطنة الفرنسية، وانتقدوا مواقفها وسياستها الموالية لفرنسا، فعندما أعلنت فدرالية النواب عن موافقتها على مشروع بلوم فيوليت، كتبت جريدة الأمة الناطقة باسم النجم: "نقول للشعب بأن سياسة الإدماج وترك القانون الشخصي يشكلان خطرا كبيرا، إذ في حالة وقوعهما نضيع جنسيتنا وكرامتنا، وكل أمل في استرجاع حريتنا، وتكون

---

[1] Omar,Hachi, **le problème de l'union des mouvement nationaux algériens a travers la presse(1950-1954),**mémoire de diplôme d'études approfondies,université d'Alger ,juin 1980,p.14

[2] Kaddache, p, cit , p.388

[3] أنظر: Luc de la barre,op,cit,p.38

[4] Stora, Daoud, op, cit, p.82

النتيجة حينذاك الإنتحار، نحن نندد بذه السياسة، ونقف بكل قوانا ضدها ونيب بكل الشعب الجزائري المسلم للقيام ضدها "[1].

ينتقد دعاة الإستقلال الخط السياسي للنخبة، ومواقفها المتخاذلة فهم في نظرهم "مرتدون ومرقة ومتجنسون وحاملون لأوسمة الشرف، وأن سياستهم هي سياسة صالونات بدون برنامج،وبغير هدف، ومجردة من الروح الثورية ويصل الإنتقاد إلى درجة وصفهم بالخونة"[2].

وحسب زوزو أنه رغم الصراع الذي كان بين النجم، والعلماء وبين النجم وجماعة النواب إلا أن هذه الأخيرة هي التي تلقت النصيب الأوفر من هجمات النجم، ويعز وذلك إلى اختلاف موقف النجم من كلا الهيئتين، فكتلة النواب في تقدير حركة النجم حركة انعزالية منفصلة عن الجماهير والدخول معها في صراع قد لا يثير ضده أي شعور بالاستنكار من قبل الجماهير، لأنها تضم Ƴبة معينة تتمتع بوضعية اجتماعية حسنة نسبيا، بينما ترى جماعة النواب أنّ النجم هو حركة خيالية ليس إلاǃ[3].

ويمكن دراسة مظاهر هذه العلاقة من خلال تجربة المؤتمر الإسلامي، فقد التقى أعضاء الوفد ومنهم فرحات عباس بقادة النجم، وكانت النقطة التي أثارت الجدل بينهم هي المتعلقة بدمج الجزائر في فرنسا، التي عارضها مصالي بينما اعتبرها فرحات عباس ضرورية لتحرير الجزائر وحسب سعد الله فإن ابن باديس اقتنع بكلام النجمين، واعترف أنه كان على خطإ[4].

كانت مطالب المؤتمر معارضة لأفكار نجم شمال افريقيا ولذلك رفضها خاصة فيما يتعلق بربط الجزائر بفرنسا، بينما كان فرحات عباس يعتبر تلك المطالب في صالح الجزائريين على أساس أنا مجرد حد أدƅ لتحقيق مطالب أخرى، بينما يرى النجم أن ربط الجزائر بفرنسا يؤدي إلى ضياع الحركة الوطنية الجزائرية[5]، وهو ما دفع زعيمه مصالي اߐيء إلى الجزائر ليقلل من مفعول المؤتمر، وكان له ذلك بخطابه المشهور يوم 2 أوت 1936.

[1] زوزو، المرجع السابق، ص.138.

[2]- نفس المرجع والصفحة

[3] زوزو،المرجع سابق، ص. 139

[4]- سعد الله، المرجع السابق، ص. 136

[5] بن العقون، المرجع السابق، ص. 186

ويتهم النجم فرحات عباس، وجماعة النخبة بأنم يسعون وراء مشروع بلوم- فيوليت لتحقيق مصالحهم الشخصية، والحصول على المواطنة الفرنسية، ونعتقد أنه بالنسبة لفرحات عباس على الأقل لم يسبق، وأن طلب الجنسية رغم توفر الشروط التي جاءت في إصلاحات 1919 ولذلك يتهم فرحات عباس ،وحتى العلماء النجم بأنه كان يخشى المنافسة السياسية، وتقلص نفوذه وسيطرته نتيجة الإجماع الذي حظي به المؤتمر الإسلامي، وبالدرجة الأولى لدور العلماء فيه.

وقد لمّح لذلك بن العقون بالقول: " وبالمقابل فإن حزب الشعب كان يرى أن جمعية العلماء قد سلكت غير طريق الإسلام الصحيح لاسيما بعد انجرافها في مهوى السياسة الاندماجية وتأييدها لجمعية النواب، وابتعادها عن مهمتها الأساسية وهي نشر الإسلام بعيدا عن التحزبات "[1]، وقد اتم العلماء باسم المؤتمر في مقال بجريدة "الدفاع" مصالي الحاج بالديماغوجية والدروشة السياسة وأتباعه بمستعيري الوطنية الاستفزازيين ووصفتهم بأنم انتهازيون جهلاء [2]، ومن هنا يظهر أن معارضة فرحات عباس وحتى العلماء للنجم لم تكن لأرائه وأهدافه ومطالبته بالاستقلال التي يعتقدون أنا خيالية وبعيدة التحقيق، لكن لمنهجه القائم على الثورة وعدم الشرعية التي في نظر فرحات عباس تؤدي الي الفوضى، ولأسلوبه في معاملة خصومه[3].

لذلك عبّر فرحات عباس عن رفضه لأساليب النجم بقوله " إن الدولة والأمة والمجتمع والقوانين لا ترتجل ولا تنقل من الجار، إنّها تخرج من عمق الشعب، كما يخرج الطفل من بطن أمّه الثقافة ،والأرض ،وطبيعة الإنسان هي التي تصنع مؤسسات دولة"[4].

إن جوهر الخلاف بين فرحات عباس ودعاة الاستقلال، هو اختلاف تصورهما للمعضلة الجزائرية وأسبابا وحول مستقبل الجزائر، فبينما يرى فرحات عباس وجماعة النخبة بأن أسباب المعضلة تكمن في النواحي الاجتماعية والاقتصادية أولا، يرى دعاة الاستقلال في العملية الاستعمارية ذاتا السبب الرئيسي، ويرون الحل الصحيح للمشكل الجزائري يكمن في السيادة الجزائرية الكاملة.[5]

---

[1] بن العقون، المرجع السابق، ص.182.

[2] سعد الله، المرجع السابق، ص. 183

[3] Omar,Hachi,op,cit,p.27

[4] Abbas, Autopsie d'une guerre, op, cit, p.22

[5] زوزو، المرجع السابق، ص. 140

ومن الأسباب التي يطرحها فرحات عباس لهذا الخلاف قوله:" كان مصالي الحاج يرى الجزائر عبر الأجواء الباريسية، والقوانين التي تحمي الحريات في فرنسا، وأنا كنت أراها ضمن إطار الدوّار الذي ولدت فيه"[1].

كما يعتقد أن شخصية مصالي القائمة على الزعامة أحد أسباب عدم تقارب تيارات الحركة الوطنية، وسبب أزمة حزب الشعب فيما بعد، ويعلق على ذلك بالقول" إنّ مصالي الحاج من أصل وضيع مثلنا جميعا، لا ثقافة له ولا همة عالية، هزته نشوة العظمة ،والتقديس ورأى في نفسه العظمة"[2].

رغم هذه الخلافات ورغم الهجمات التي كان يتعرّض لها فرحات عباس من مناضلي حزب الشعب والصورة السيئة التي رسموها عنه، يؤكد أن علاقته بمصالي الحاج كانت طيبة ويحترمه كثيرا لأنّ هدفه كان نبيلا.[3]

وحتى وإن كان التنافر والتباعد والتناقض في وجهات النظر هي السمة الغالبة والمحددة لطبيعة العلاقة بينهما، إلاّ أنّ التقارب فرضته في بعض الأحيان الظروف التي مرت بها الحركة الوطنية فأثناء إلقاء القبض على مصالي وأنصاره في أوت 1937 والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، استنكر فرحات عباس ذلك واعتبره تعديا على حقوق الإنسان وحرية الرأي[4]، كما أدت ظروف الحرب العالمية الثانية إلى تقارب أكثر حيث كان اللقاء التاريخي بين مصالي الحاج وفرحات عباس بمنزل هذا الأخير بسطيف في مارس 1943، ثم زيارته له بقصر الشلالة حيث أيد مصالي الحاج مبادرة فرحات عباس حول البيان الجزائري[5].

وكان تأسيس حركة أحباب البيان والحرية في مارس 1944 قمة التنسيق السياسي بين الطرفين، حيث شارك أنصار حزب الشعب في الحركة ،وحسب ابن العقون فإنّ هؤلاء رأوها فرصة ثمينة لممارسة نشاطهم السياسي، والخروج من السرّية المفروضة عليهم[6]،لكن حوادث ماي وما انجرّ عنها من اتهامات متبادلة ستعيد هذه العلاقات إلى نقطة الصفر.

---

[1] Abbas, op, cit,p. 59

[2] عباس، المرجع السابق، ص.261

[3] Abbas,op,cit, p.60

[4] Ferhat,Abbas,"**Atteinte A la souveraineté de la France"**, L'entente franco musulmane ,n°36,02septembre1937

[5] عباس، المرجع السابق، ص. 183

[6] ابن العقون، المرجع السابق، ص. 282

نتناول في هذا الفصل الحرب العالمية الثانية وتأثيراتا علي الحركة الوطنية عموما وعلي فرحات عباس خصوصا،فرغم خيبة أمله في المشاريع الفرنسية ،إلا أن اندلاع الحرب جعل فرحات عباس يستعيد ثقته بفرنسا وفاء منه لثقافته ،وصرح أن مكانه تحت العلم الفرنسي لإنقاذ فرنسا الديمقراطية ،لكن المعطيات الجديدة التي أفرزتا الحرب ،بعد انزام فرنسا ونزول الحلفاء قد أتاحت آفاقا جديدة لفرحات عباس ، وبداية النقلة السياسية النوعية ،وقد كان البيان الجزائري المنعطف الأساسي لهذه النقلة ،فهو يعبر بشكل واضح عن القطيعة مع الأوهام الإندماجية ،وميل استقلالي واضح ،وشكل في وقته همزة وصل بين طموحات مختلف التيارات السياسة الوطنية ،وتعبيرا عن مصالحة أملتها التجربة والظروف.

وقد عمقت مواقف الإدارة الاستعمارية من المطالب الوطنية آراء فرحات عباس الجديدة،وأكثر من ذلك ساهم في إنشاء حركة أحباب البيان والحرية التي تجاوزت أفكارها الإطار الفيدرالي ،بتأثير من حزب الشعب.

كما تناولنا أحداث الثامن ماي نظرا لتأثيراتا السياسية العميقة علي الحركة الوطنية وعلي فرحات عباس ،وحاولنا فهم هذه الأحداث من رؤية فرحات عباس باعتباره أحد المؤثرين والمتأثرين با.

المبحث الأول: اندلاع الحرب ونشاط فرحات عباس (1939-1945)

تعد الحرب العالمية الثانية من أكبر الأحداث التي ميزت ناية النصف الأول من القرن العشرين، لما ترتب عنها من تغييرات جذرية على النظام الاستعماري ،وعلى الدول المستعمرة ،فقد فتحت عصرا تاريخيا جديدا تمثل في بداية انيار الاستعمار الأوروبي الحديث وانتشار الفكر التحرري، وبروز نظام علاقات دولية جديدة بقواعد وضعتها المؤتمرات والأفكار التي صاحبتها ومنها مبدأ تقرير المصير، فإلى أي مدى كان تأثير الحرب على الوضع السياسي في الجزائر؟ وكيف تفاعلت الحركة الوطنية مع الوضعية الجديدة؟ وإلى أي مدى بلورت الفكر السياسي لفرحات عباس؟

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية اتسمت الساحة السياسية الجزائرية بضعف شديد بسبب الانقسام الذي دب في صفوف قادة الحركة الوطنية، وتضارب الأهداف الوطنية وعدم استجابة

حكومة الجبهة الشعبية لمطالب الجزائريين في تحقيق المساواة مع الفرنسيين وتطبيق مشروع بلوم فيوليت، وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[1].

وبسقوط الجبهة الشعبية في 10 أفريل سنة 1938 ضاعت آمال القادة السياسيين الجزائريين، فبدأوا يفكرون في جمع القوى الشعبية وتوحيدها، فاقترح الشيوعيون تشكيل جبهة إسلامية فرنسية عام 1939 كما نادى أنصار حزب الشعب الجزائري بإنشاء جبهة إسلامية جزائرية، بينما فكر زعماء فيدرالية النواب المسلمين لعمالة قسنطينة في إيجاد طريقة جديدة لبعث حركة سياسية تكون قادرة على تحقيق مطالبهم[2].

أسس فرحات عباس الإتحاد الشعبي الجزائري عام 1938، واعتبر الا٧راط فيه واجبا على كل جزائري يرغب في الحصول على الجنسية الفرنسية، وحدد مهمته في تحقيق تقدم جزائري فرنسي[3] ومن جهته أسس الدكتور ابن جلول التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري عام 1938 وكانت مطالبه اقتصادية واجتماعية وسياسية.

كانت الحركة الوطنية عشية اندلاع الحرب ضعيفة ومنقسمة، ففيدرالية النواب لعمالة قسنطينة انحلت تقريبا، أما الاتحاد الشعبي لفرحات عباس والتجمع الإسلامي الفرنسي الجزائري فلم يبق لهما سوى أقلية من المنخرطين ،وأصبح نشاطهما ضعيفا، بينما العلماء ضحايا لإجراءات قاسية سلطتها عليهم الإدارة الفرنسية كما قامت بحل الحزب الشيوعي الجزائري، وحزب الشعب واعتقلت معظم زعمائهم وعطلت صحفهم.[4]

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر1939 وكانت فرنسا تمر بفترة ضعف سياسي وعسكري، فلم تكن لها حكومة قوية وجيش بإمكانه الوقوف أمام هتلر، وفي الجزائر لم تجد حلا لمشاكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية " لذلك واجهت فرنسا الحرب بالجزائر أبعد ما تكون عن الولاء الحقيقي"[5].

---

1 Kaddache,op,cit,p.571

2 كريمة، بن حسن، المرجع السابق، ص.299

3 collot,op,cit,p.138

4 كريمة، ابن حسين، المرجع السابق، ص.31

5 سعد الله، المرجع السابق، ص. 9

ويرى أحمد مهساس[1] أن الحركة الوطنية لم تكن لها الوسائل ،ولا الإرادة السياسية أن تحول لمصلحة الجزائر التغييرات التي طرأت بفعل الحرب وخاصة ضعف مواقف الاحتلال وأنه كان بإمكان حركة وطنية موحدة قبل إعلان الحرب أن تفرض شروطا سياسية لاشتراك الجزائريين في الحرب، على العكس Ź استغلال مساهمة الجزائريين بالدم في الحرب ضد القوات الفاشية بدف تعزيز الهيمنة في الجزائر عن طريق إدماج وهمي[2].

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية وجه الحاكم العام في الجزائر "لوبو- lepeaux" نداء يوم 4 سبتمبر عام 1939 إلى الشعب الجزائري يدعوه فيه إلى الوقوف إلى جانب فرنسا، " يا سكان الجزائر، منذ الأمس ،دخلت فرنسا وبريطانيا العظمى في حالة الحرب مع ألمانيا، إن هتلر رئيس الدولة الألمانية بتماديه في سياسة التباغض بين الأمم للتوصل با إلى جعل العالم أجمع تحت نير العبودية الألماني،... إن الجمهورية الفرنسية وبريطانيا العظمى، تصميما على الدفاع عن استقلالهما وعن تسامي فكرتما في نصرة الحق والحرية، يدعوان جميع أولادهما لحفẒ سلامة بلادهما،...إن الوطن الجزائري الذي هو الأهم من المملكة الفرنسية يجيب كله بالقبول لنبيل خطاب السيد لوبران le pranne رئيس الجمهورية، والسيد "إدوارد دالاديه -edward daladier" رئيس ديوان الوزراء ويكون مثالا لوطن هادئ ذي عزم وامتثال بإتحاد جميع أبنائه في حب الوطن، لتعش الجزائر الفرنسية، لتعش الحرية"[3]،و هي تصريحات تعكس في الحقيقة ضعف فرنسا عشية اندلاع الحرب وحاجتها إلى مستعمراتا.

أما الحركة الوطنية ورغم ضعفها فقد كانت لها على اختلاف تياراتا واتجاهاتا مواقف مختلفة من الحرب، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت قد التزمت الصمت في البداية ثم رفضت تأييد فرنسا وإيطاليا، ونظرا لسمعتها ومكانتها وقدرتا على إقناع الأوساط الجزائرية قامت فرنسا باعتقال رؤوس الجمعية ونفيهم، فحددت إقامة ابن باديس في قسنطينة منذ بداية الحرب، وظل رهينا فيها حتى وفاته في 16 أفريل 1940 ونفي الإبراهيمي إلى مدينة آفلو الصحراوية.

---

[1] Mahsas, op,cit,p.157
[2] Ibid.

[3] بن العقون، المرجع السابق، ص.224.

أما جمعية المنتخبين وفيدرالية النواب التي ينتمي إليها فرحات عباس وابن جلول، فقد أيدت في البداية الوقوف إلى جانب فرنسا، وعلى هذا الأساس تطوع فرحات عباس والدكتور ابن جلول والدكتور الأخضري في الحرب دفاعا عن فرنسا اعتقادا منهم أن المشاركة إلى جانبها تعني الانتصار للسلام والحرية والديمقراطية[1]، كما ظنوا أن الوقوف إلى جانب فرنسا في محنتها يسمح لها بمراجعة سياستها نحو الجزائريين والنظر إلى مطالبهم بعين العطف والعدالة.

أما الحزب الشيوعي الجزائري فقد أيد هو الآخر الوقوف إلى جانب فرنسا، ولكن عندما خضعت للاحتلال الألماني أقدمت الحكومة الفرنسية على حله ،وزجت بأعضائه في السجون والمعتقلات، بسبب ارتباطهم بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي أبدى تأييده للنازية الألمانية.

بينما كان موقف حزب الشعب منذ البداية واضحا وثابتا، وهو رفض التجنيد والتعاون مع فرنسا بأي شكل من الأشكال، رغم وجود أغلب قادته في السجون عند اندلاع الحرب.

صرح فرحات عباس في بداية الحرب لما قامت فرنسا بتجنيد الجزائريين،" لا نستطيع أن ندفع عشرات الآلاف من الجزائريين إلى التضحية من أجل لاشيء، المسلمون لا يستطيعون أن يستمروا في الموت دفاعا عن حرية الآخرين، وهم محرومون من هذه الحرية، فالتضحية من أجل الآخرين يجب أن تكون مسبوقة بتحررهم الكامل"[2]، كما وجه نداء إلى الفرنسيين قائلا لهم: " لا تنتظروا حربا لتقولوا لرعاياكم: تعالوا لكي تموتوا من أجل الجمهورية، التي تنبذكم ظلما ومن أجل الحريات التي لا فائدة لكم منها،..."[3] تدل هذه التصريحات على الاضطراب الذي يعيشه، لأنه في الحقيقة تصرف غير ذلك على أرض الواقع[4].

ويبدو أنه وفاء لثقافته الفرنسية قد استرجع الثقة بفرنسا المستنيرة، فصرح بعد ثلاثة أيام من اندلاع الحرب بأن مكانه الآن تحت العلم الفرنسي إلى جانب رفاقه في الجيش ففي مقال نشره لقرائه ومنتخبيه جاء فيه:"وفاء لمذهبنا وفاء لبرنامجنا وللمهمة التي اتخذتنا باسمكم وللأفكار التي

---

[2] Ferhat,Abbas,"**reformes et mobilisation**",l'entente franco-musulmane,n98,24/11/1938

[2] Stora, daoud,op,cit,p.97

[3] Stora,Daoud,op,cit,p.97

[4] نلاحظ هذا التناقض حتى في كتاباته،حيث يستعطف في مقال آخر فرنسيي الجزائر ويدعوهم إلى تناسي الأحقاد،واعتبارهم أبناءهم،أنظر:

Ferhat,Abbas,"**Appel aux français d'Algérie**", L'entente franco- musulmane ,n°128 22/06/1939

أذعتها بينكم، مكاني في الجيش إلى جانب رفاقي، أنا ذاهب فإذا مت أطلب منكم أن تحتفلوا بذكراي مع بقائكم أمناء لحزبنا، وإن عدت سوف أستأنف معكم الدفاع عن قضيتنا المقدسة،...تحيا الجزائر..تحيا فرنسا"[1]، تجند فرحات عباس في سن الأربعين في وحدة طبية "بتروي-Troyes" بفرنسا من سبتمبر 1939 حتى أوت 1940 برتبه مساعد، وهي التجربة العسكرية الثانية في حياته.

لكن ما إن حلت سنة 1940 حتى انكسرت فرنسا أمام القوات النازية التي اكتسحت باريس نفسها، وأعلنت قيام حكومة "فيشي vichy" برئاسة الماريشال" بيتان-Pétain "[2] هذه الهزيمة تعجب لها الجزائريون، وأدركوا كم هي ضعيفة فرنسا، وبالمقابل أعجبوا بألمانيا النازية واعتقدوا أنا محررة الشعوب المستعمرة، خاصة وأن إذاعات لندن وموسكو وواشنطن غمرت حينها العالم أجمع بمبادئ حرية الإنسان والشعوب[3]، وقد أدت هذه الدعاية إلى وعى شعوب المستعمرات لحقوقها وتزايد آمالها في التحرر.

شاهد فرحات عباس هزيمة فرنسا ،وسقوط حكومتها وجيشها كما عاش تجربة الحرب وسياسة التمييز، فكيف سيكون تأثير ذلك على مواقفه؟ وكيف سيتفاعل مع المتغيرات الجديدة؟

عاد فرحات عباس إلى الجزائر في شهر أوت 1940 عازما على المضي في طريق السياسة خاصة ،وأن الساحة الوطنية خالية الآن، فالشيخ ابن باديس توفي منذ أفريل، ومصالي الحاج محكوم عليه بـ 16 سنة من الأشغال الشاقة، والشيوعيون لا أثر لهم، أما ابن جلول وأتباعه من النخبة فقد تراجع دورهم، عاد فرحات عباس ولكن بفكر سياسي جديد " إن الوطن الجزائري الذي لم أجده سنة 1936 في أوساط العامة من المسلمين، وجدته اليوم"[4].

---

1 Ferhat,Abbas,**" A la population musulmane de la circonscription de Sétif**",l'entente franco- musulman,n°134,02/11/1939 أنظر: **الملحق رقم 2**

2 فليب بيتان Philippe- Pétain(1856-1951) من كبار قادة فرنسا في الحرب العالمية الأولى، انتصر في معركة فردان 1916، وترأس الحكومة الفرنسية في ظل الاحتلال النازي(1940-1944) حكم عليه بالإعدام سنة 1945 – المنجد في اللغة والإعلام، ص. 156

3 سعد الله، المرجع السابق، ص. 173

4 Ageron, in R.H.M,op,cit,p.125

لما ألغت حكومة فيشي في 07 أكتوبر سنة 1940 مرسوم" كريميو- Crémieux"[1]، كان الاعتقاد بين الجزائريين أن ذلك بداية للنظر في وضعيتهم، لكن فرحات عباس أدرك أن تجريد اليهود من امتيازاتم لن يؤدي حتما إلى ترقية أوضاع المسلمين، بل اعتبره ضمن منطق التمييز العنصري الممارس على الجزائريين، مسلمين أو يهود[2]،ودليل على أن الفرنسيين لا يحترمون قوانينهم حيث أصبح ولاؤهم للنازية وحكومة فيشي، متخلين عن وطنهم خوفا على مصالحهم[3].

ويعلق على إلغاء مرسوم كريميو بالقول: " إن ما عملتموه ليهود الجزائر المندمجين في الحضارة الفرنسية، بفعل مبادرتكم وإرادتكم وليس بمبادرة العدو الذي يهتم بإلغاء قرار كريميو إن عنصريتكم تذهب بكم في كل الاتجاهات، إنكم اليوم ضد اليهود ،وأنتم دائما ضد العرب"[4].

عاد فرحات عباس إلى مدينة سطيف واستعاد نشاطه السياسي في شكل تحد للإدارة الاستعمارية في ظروف استثنائية كان من الصعب اتخاذ مواقف معادية لها، ومن مظاهر هذا التحدي المظاهرة التي دعا إليها فرحات عباس في سطيف بعد عزل مدير مدرسة يهودي بسبب احتجاجه على تعليق المجالس العامة المنتخبة[5]،كما عارض قرار الحاكم العام الأميرال "أبريال Abrial" في تعيين مجلس مالي لتعويض المندوبيات المالية المنتخبة، برسالة احتجاج يوم 16 ديسمبر1940 ضمنها وضع النواب الماليين، وكذا الوضع العام للأهالي منتقدا تعيين شيوخ الزوايا الذين يعتبرهم أميين ومتعصبين، مصرحا بأن زمن الموظفين الكبار قد ولى[6].

---

[1] أدولف كريميو-Adolphe cremieux(1796-1880)دكتور في الحقوق،وزير للعدل في الحكومة المؤقتة1848ثم في حكومة1870ثم نائبا عن مدينة الجزائر من1872الي1875 لعب دورا كبيرا في صدور المرسوم الذي عرف بإسمه والذي يسمح لجميع اليهود الحصول علي الجنسية الفرنسية بصورة جماعية وقدر عددهم آنذاك 35000 أنظر:
Patrick,weil,op,cit,p.4

[2] Stora, daoud,op,cit,p.107

[3] يذكر فرحات عباس أن 80 % من الكولون ساندوا حكومة فيشي أنظر: عباس، ليل الاستعمار،مرجع السابق،ص. 164

[4] Ibid.

[5] Ageron, in R.H.M,op,cit,p.126

[6] Naron, op,cit,pp.78-80

إن سياسة القبضة الحديدية التي مارستها سلطات الاحتلال على الحركة الوطنية لم تكن تعني هدوء الجزائر، بدليل تمرد المئات من القناصة الجزائريين في ثكنة الدار البيضاء بالعاصمة في 25 جانفي 1941[1].

ساعد الوضع الجديد على بروز فرحات عباس، الذي عرف بديناميكيته وتلاؤمه مع الظروف من خلال مبادرته السياسية بتحرير مذكرة في شكل تقرير حمل عنوان "جزائر الغد"[2] سلمه للماريشال "بيتان" عن طريق صديقه " ماكس بونافوس-Max Bounafous[3] " بتاريخ 10 أفريل1941 باسم الشباب الجزائري والفلاحين والعمال ضمنه برنامج احتوى جملة من الإصلاحات في تسعة نقاط أساسية، شملت مختلف الميادين أبرزها إلغاء القوانين الاستثنائية وإلغاء النفقات والتميز العنصري بين الجنود الفرنسيين والمسلمين، الاهتمام بالتعليم ورفع ميزانية وحرية التعليم، وترسيم اللغة العربية وفصل الدين عن الدولة، وترقية الدواوير، والتجمعات السكانية الخاصة بالأهالي المسلمين وإلغاء النظام العسكري من الجنوب[4].

واختتم تقريره بخلاصة مفادها "أننا بتطبيق هذه النقاط سنبعث في قلب المستعمرة الأوربية وفي عمق جمهورنا الكثير العدد، الرغبة في البقاء معا، هذه الرغبة حسب تعريف "رينان-Renan" هي أساس تكوين كل أمة"[5].

يعتبر هذا التقريردراسة اقتصادية وسوسيولوجية للجزائر،ومصدرا هاما لمعرفة الأفكار الاجتماعية والاقتصادية لفرحات عباس، حيث يتحدث عن إصلاح وضع الفلاح والتعليم والصحة، ويشرح بالتفصيل منطلقاته الثلاثة، المدرسة ثم الطريق ثم المستشفى، كأسلوب لترقية

وقد استدعى أبريال فرحات عباس، وتحاورا، وعلى إثرها وصفه أبريال بأنه معاد لفرنسا، ويسعى لحماية الفلاحين، لكن عباس أكد له مواصلة نجه، ورفض الوصف الذي أطلق عليه، حينها طرده، ثم هدده بإلقاء القبض عليه.

للتفصيل، أنظر: Naron.ibid.p81 وأيضا Ageron, in.R.H.M,op,cit,p127

[1] للتفصيل أنظر: أحمد، مهساس، المرجع السابق، ص. 186 Keddache, op, cit, p.618

[2] أنظر التقرير كاملا في: Abbas, le jeune Algérien, op, cit, pp, 169-208

[3] من المثقفين الفرنسيين، توجهه اشتراكي، درس الفلسفة بتركيا، ثم بوردو بفرنسا، حاكما عاما سابقا في عمالة قسنطينة وأصبح وزيرا للتمويل في حكومة فيشي. أنظر: Naron, op, cit, p.104

[4] Abbas, le jeune Algerien, op, Cit, pp.156-169

[5] Abbas,Le jeune Algérien, p. 185

المجتمع الجزائري وتحقيق تنميته[1]،كما يلاحظ على التقرير غياب المطالب السياسية وهذا كان مقصودا، مما يعكس أن مبادرة فرحات عباس ورغم أنها موجهة لرئيس حكومة موالية للألمان إلا أنها لا تمثل تأييدا لها، بل تحفظ كذلك من التورط مع دول المحور، ولم ينشر فرحات عباس هذا التقرير آنذاك خشية اتهامه بالتعامل مع نظام فيشي، ولم يعرفه الرأي العام إلا بعد نشره كاملا في الطبعة الثانية لكتاب الشاب الجزائري عام 1981.

يلخص فرحات عباس تقريره في:" إن خلاصة هذا العرض بسيطة، من خلال الاتصال اليومي بالمجتمع الأوروبي فإنه يتضح من خلاله إهمال المجتمع العربي الإسلامي، فلا يكفي إيقاظه من سباته فقط، فالمجتمع الجزائري يوجد في عالمين، واحد ميت والآخر غير قادر على النشوء إننا في مفترق الطرق، يجب الاختيار نتقدم من أجل توسيع الحياة العصرية أو نستسلم ليأتي يوم ونرى فيه عالم الشرق ،وعالم العصور الوسطى يغرق كله وتنهار كل منجزاته"[2].

لم يبتعد فرحات عباس كثيرا عن أفكاره السابقة، فهو وإن لم يذكر نهائيا مصطلح التجنيس الجماعي للجزائريين، إلا أنه ركز على سياسة المساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين، وأن أي تقدم للشعب الجزائري مرهون بوجود أمة تساعده وهذه الأمة لن تكون إلا فرنسا.

لم يتلق فرحات عباس رد الماريشال بيتان إلا متأخرا في 04 أوت 1941، وجاء مختصرا وغير واضح في:"سآخذ اقتراحاتكم بعين الاعتبار"[3] وفهم فرحات عباس أن هذا الموقف هو محاولة لاستمالة المسلمين إلى جانبه ضد المقاومة التي بدأت تنتظم بقيادة الجنرال ديغول من لندن، ورغم ذلك حاول فرحات عباس الاتصال بعدة شخصيات سياسية فرنسية يعرض عليها برنامجه السياسي منها الوالي العام "شاتل - Chatel" الذي قال فيه: " أنه نوع جيد يسير وراء الأفكار المثالية من غير عياء لكنه لن ينجح في الوصول إليها"[4]، وفشل مرة أخرى فرحات عباس في إقناع الفرنسيين ببرنامجه السياسي فأصابه اليأس، وانسحب من اللجنة المالية الجزائرية واستقال من فدرالية النواب[5]

---

[1] Ibid, p.156

[2] Ibid, p.185

[3] Ageron, In , R. H. M, N°4 juillet 1975, Op,Cit, p .128

[4] Naroum, op, cit, p .86

[5] أنظر رسالتي الاستقالة إلى رئيس اللجنة المالية بتاريخ 03/26/ و1941/08/4 في documents inédit du mouvement nationale : textes fondamentaux, direction des archives de la wilaya de Constantine, n° 12 , 1981

ويذكر آجرون أن هذه المواقف بقدر ما أغضبت الوالي العام والاندماجيين زادت من شعبية فرحات عباس[1].

لكن أوضاع الجزائر تغيرت مع نزول قوات الحلفاء بشمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942 وتحقيق عدة انتصارات عسكرية على حساب المحور، وتدخل الجزائر في مرحلة جديدة في تطورها السياسي. فما هو تأثير الأوضاع الجديدة على الحركة الوطنية عموما وعلى فرحات عباس بصفة خاصة؟ .

بعد أن ساد الساحة السياسية في بداية الأربعينيات فراغ كبير نتيجة نفي أو سجن زعماء الحركة الوطنية، حاول فرحات عباس ،وجماعة النخبة والنواب ،والشيوعيون الذين كانوا يتحركون بنوع من الحرية ملء الفراغ السياسي[2]، بمحاولة كسب تأييد الحلفاء ومن جهة أخرى محاولة التفاهم مع حكومة فرنسا الحرة.

يذكر فرحات عباس أن الجزائريين رحبوا بحلول الحلفاء، واعتبروه من علامات التحرر انطلاقا من الدعاية الكبيرة التي روج لها الطرفان المحور والحلفاء، حيث كثر الحديث عن الحرية والاستقلال، وتقرير مصير الشعوب والمساواة في الحقوق والواجبات، هذه الدعاية يقول سعد الله ساهمت في زرع مبادئ الديمقراطية وتنبيه الشعوب سياسيا وإيقاظ الروح القومية لدى شعوب إفريقيا وآسيا المستعمرة[3]، وأصبح الجزائريون أكثر من أي وقت مضي يعتقدون أن ساعة الخلاص قد حانت[4].

كان لفرحات عباس عدة اتصالات وبالتحديد بالأمريكيين قبل الإنزال من خلال "روبيرت مورفي- Robert Morphy"[5] الذي وصف فرحات عباس بأنه وطني جزائري وأن له حركة في

---

[1] Ageron, in, R. H. M, N°4 juillet 1975, Op, Cit, p .130

[2] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سابق، ص. 189.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص. 190.

[4] Annie,rey-goldzeiguer,**"aux origines de la guerre d'Algérie", (l'express),** 14mars 2002 site: www.ldh-toulon.net/article.php3?id_article=285

[5] روبرت، دانيل **(**1894**-**1978**)** دبلوماسي أمريكي، قنصل في فرنسا **(**1930**-**1940)، مكلف في شمال إفريقيا، لعب دور في حل الكثير من الأزمات الدولية.

مقدورها أن تسبب مصاعب أمام نزول قوات الحلفاء لو استعملها، وقال عنه أيضا أنه رجل معتدل ومتعقل ،وأنه كان يحضر إليه لمناقشة استقلال الجزائر[1] ذاتيا.

وبعد نزول الحلفاء بادر فرحات عباس مع العديد من الشخصيات السياسية[2] إلى توجيه رسالة للحلفاء دون الفرنسيين يوم 20 ديسمبر 1942 ،عبر من خلالها عن الاستعداد للمساهمة في تعبئة الشعب الجزائري ضد المحور لكن مع توفير حد أدنى من الحقوق، كما طالب بتسهيل عقد ندوة تجمع الشخصيات الممثلة لجميع المنظمات المسلمة الجزائرية لإعداد قانون أساسي يخص الجزائريين[3].

رفض ممثل فرنسا استلام الرسالة بحجة أنها موجهة للحلفاء وليس للحكومة الفرنسية كما رفض الحلفاء الرد عليها، واعتبروا القضية شأنا داخليا فرنسيا وأن مهمتهم هي القضاء على النازية، وقد أحدث هذا الموقف السلبي من الحلفاء غليانا في الأوساط السياسية وفي نفسية الشعب الجزائري، كما شجع السلطات الفرنسية على ضرب الحركة الوطنية[4].

وبسبب هذا الرفض للرسالة الأولى تم تعديلها بجعل مهمة عقد المؤتمر للحكومة الفرنسية بدل سلطات الحلفاء، وإبقاء الجزائر في الإطار الفرنسي بدون المساهمة في وضع النظام الخاص بالجزائريين[5].

لم تتم سلطات الاحتلال خاصة الوالي العام الجنرال "جيرو - Giraud" بمطالب الجزائريين في البداية لانشغالها في الحرب، لكنها استدركت بأنها ترتكب خطأ استراتيجيا فهي بذلك تسمح

---

[1] المرجع نفسه، ص.196.

[2] نقصد كل من عبد القادر السايح رئيس الفرع العربي في المندوبيات المالية، والدكتور تامزاح رئيس فرع القبائل للمجلس المالي إضافة 12 عضو في اللجنة المالية و9 شخصيات، والمجموع 24 شخصية أنظر:
Ageron, in, R. H. M, N°4 juillet 1975, Op , Cit, p. 132

[3] أنظر نص الرسالة في : collot, op, Cit, pp. 153-154
nouschi, l'algerie Amère, Op, Cit, p .164

[4] بن العقون، ج2، مرجع سابق، ص.280.

[5] تم تقديم الرسالة من طرف فرحات عباس للأمين العام للحكومة قونون Gonon يوم 22 ديسمبر 1942 بعنوان : رسالة إلى السلطات المعنية، والصياغة تدل على تغير موقف، فرحات عباس من فرنسا أنظر نص الرسالة في:
collot, op, Cit, pp. 154-155
وأيضا: بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص ص. 64-65.

بتدخل الأمريكان والإنجليز ،وهو ما دلت عليه الاتصالات السابقة، ولأننا بحاجة إلى دعم الجزائريين ماديا وبشريا أبدى الوالي العام" مارسيل بيروتون - Marcel Peyrouton" الذي عين في 17 جانفي 1943 مرونة أكثر.

ولوضع حد لRتصالات الجزائرية الأمريكية وفي إطار النظرة الجديدة للسياسة الفرنسية طلب "بيروتون Peyroton" من فرحات عباس إعداد مشروع لRصلاح للنظر فيه بجدية وهو ما شكل منعطفا حاسما لحركة المطالب الجزائرية.

المبحث الثالث: فرحات عباس وبيان الشعب الجزائري 1943.

أدى انهزام فرنسا في الحرب واحتلالها من طرف ألمانيا إلى انيارها في نظر الجزائريين وفقدانا مكانتها وهيبتها، ولم تعد القيم والمبادئ التي تمثلها تحظى بنفس الأهمية في نظر كثير من الجزائريين ومنهم فرحات عباس الذي أعلن صراحة عن تراجعه عن سياسة الإدماج التي ظل ينادي بها خلال فترة الثلاثينيات[1]، فإلى أي مدى تطور فكر فرحات عباس نحو الوطنية؟ وما هي أسباب هذا التطور؟ الذي اعتبرته السلطات الفرنسية ردة تكاد تكون خيانة[2].

فتحت الأوضاع الجديدة للجزائر منذ نزول الحلفاء آمالا عريضة لدى فرحات عباس بإمكانية تحقيق حد أدنى من المطالب، في بداية سنة 1943 التقي بعدد من الشخصيات السياسية[3] وكان الحديث عن الخطوط العريضة لمشروع الإصلاح الذي استكملت تفاصيله في اللقاء الثاني يوم 7 فيفري 1943 حيث تم تكليف فرحات عباس بتحريره[4]، وكان ذلك بمقر سكناه بمدينة سطيف وأصدره يوم 10 فيفري 1943 تحت عنوان "الجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري" .

يكتسي البيان أهمية تاريخيةكبيرة في تطور الحركة الوطنية، فقد عبر عن روح الإجماع من خلال التوفيق بين مختلف الإيديولوجيات الوطنية[5]، في برنامج وطني لا يحمل اقتراحات فقط لكنه يعبر عن مذهب سياسي واضح[6]،كما شكل قاعدة موحدة لمطالب سائر الفئات الشعبية حيث

---

[1] Kaddache, op,cit, Tome2, P. 641

[2] مهساس، مرجع سابق، ص.187

[3] عقد الاجتماع في مكتب بومنجل بالعاصمة وحضره:الدكتور تامزلي رئيس القسم القبائلي في النيابات المالية، والشيوخ البشير وخير الدين والمدني من العلماء الدكتور بن جلول، الهادي حمام رئيس جمعية الطلبة، الدكتور سعدان مستشار عام، غربي أحمد نائب مالي، قاضي عبد القادر رئيس جمعية الفلاحين، دباغين وحسن عسلة عضو حزب الشعب، انظر : عباس، ليل الاستعمار، ص167

[4] نفى فرحات عباس ما أشيع من أن البيان تم بإيحاء من أغستين بيرك، ومورفي وأكد أن هذين الرجلين لم يطلعا على البيان إلا بعد تسليمه،أنظر: فرحات، عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص167 . وقد أشار إلى هذا الطرح شارل اندرى جوليان أنظر :

جوليان، إفريقيا الشمالية نسر، المرجع السابق، ص.313

[5] باستثناء الإيديولوجية الشيوعية التي بقيت وفية للدعوة الإندماجية.

[6] Luc de la barre,op,cit,p.14

استطاع البيان أن يمزج بين أفكار مصالي الحاج الثورية ونظرة العلماء الإصلاحية التي يلتقي معهم فيها، و أنعش البيان الروح الوطنية الكامنة لدى الجزائريين[1]، إضافة إلى أنه قضى على الفراغ السياسي الذي دام منذ بداية الحرب، فقد جدد الثقة والأمل في النفوس، ومن خلاله انتقل فرحات عباس من الاعتدال إلى الراديكالية والقطيعة مع سياسة الإدماج وجعله كما وصفه جوليان بمثابة "الرجل الصاعد لما بعد الحرب"[2]،وهذا ينم عن "شجاعة الرجل الذي تولى بنفسه وفي ظرف عشر سنوات تحطيم شخصيته القديمة التي لا تعرف أمة غير الأمة الفرنسية، ليصنع شخصية جديدة تؤمن بسيادة الجزائر كأمة مستقلة"[3] .

أما عن محتوى البيان فقد كتب فرحات عباس: "... لقد لخص بصفة موضوعية ونزيهة حصيلة 112 سنة من الاحتلال الفرنسي للبلاد واستقرأ التاريخ الاستعماري وعبر بصدق عن المطامح الوطنية لشعبنا، ووضح بلا حقد ولا عنف المشكل الجزائري في إطاره الحقيقي"[4].

احتوى البيان على خمسة أقسام، تعرض القسم الأول إلى الوضع بالجزائر منذ احتلالها من الحلفاء، وتناول القسم الثاني أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب، وفي القسم الثالث استعراض للعلاقات الفرنسية الجزائرية منذ 1830، ودرس في القسم الرابع فشل الإصلاحات السابقة واندلاع الحرب العالمية الثانية وأهمية نزول الحلفاء أما القسم الخامس والأخير فتضمن مطالب الجزائريين الأساسية[5].

لقد جاء البيان تقييما موضوعيا لمختلف المراحل التي قطعها الاستعمار الفرنسي للجزائر ونتائجه السلبية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، بالرغم من وجود أفكار معتدلة في بعض

---

1 عبد القادر، حميد، مرجع سابق، ص.88

2 المرجع نفسه، ص.88.

3 الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص.65.

4 عباس، مرجع سابق، ص.176.

5 أنظر نص البيان في:

Le Manifeste du peuple Algérien(10fevrier1943),documents inédits du Mouvement national: textes fondamentaux(1943-1945),n°12,novembre1983,I.R.boite N°13 ,A.W.C , pp.4-19

وأيضا:

Anonyme,**du manifeste a la république Algérienne**,éd,libération,Alger,1948,pp.25-43

فقراته كوقوفه مطولا عند مبادئ الثورة الفرنسية، والدور الذي لعبته في تفكير النخب المحلية التي تأثرت بما سماه البيان الثورة الروحية والأخلاقية التي لا تمكن الاستغناء عنها[1]، إلا أنه شكل قطيعة حقيقية في تفكير فرحات عباس السياسي ونضاله الطويل.

وبعد تقييم مراحل الاستعمار توقف البيان عند أهم المقاومات الشعبية ،وما ترتب عنها من تصميم وعزم في صفوف الجزائريين، ومن إفقار وتهميش لهم بسبب اغتصاب أراضيهم وإخضاعهم لمختلف القوانين الاستثنائية، كما تطرق إلى أسباب فشل سياسة الاندماج وخلص البيان أن ذلك يعود إلى ممارسات الاستعمار الذي أخضع كل شيء في الجزائر للعنصر الفرنسي والأوروبي وتعنت هؤلاء ورفضهم لكل مشاريع الإصلاح التي لم تجد طريقها إلى التنفيذ وظلت حبرا على ورق بدءا من اقتراح الماريشال بيجو الموجه لحكومته سنة 1844 والقائل: "إننا أبدينا قوتنا وعظمتنا للقبائل الإفريقية وأصبح علينا الآن أن نظهر لها طيبنا وعدلنا" انتهاء بمشروع فيوليت الذي يعطي حق المواطنة الفرنسية لبعض الجزائريين وخلص البيان إلى القول:"لقد فات الأوان الذي كان المسلم الجزائري يطلب فيه أن يكون شيئا آخر غير جزائري مسلم، وبعد إلغاء مرسوم كريميو خاصة فإن الجنسية والمواطنة الجزائريتين قد أصبحتا ملاذه الأفضل باعتبارهما تتضمنان الحل الأكثر وضوحا ومنطقية لمسألة تطوره وتحرره"[2].

ويلخص فرحات عباس الفكرة الرئيسية للبيان في العناصر التالية:

- إن تحول الجزائر من مستعمرة إلى دولة، يمكن تحقيقه سلميا عبر الثورة بواسطة القانون.
- إدراج هذا المسعى ضمن هدف محدد: اتخاذ الديمقراطية الفرنسية محورا لشراكة جديدة قائمة على أساس الاعتراف بجنسية الشعوب المستعمرة وحريتها
- أن يتم ذلك في إطار سياسة الإتحاد الفرنسي ومن ثمة كان شعار البيان "تحرير واتحاد"

أما أبرز مطالب البيان نجد:

1. إدانة الاستعمار والمطالبة بإلغاء الأنظمة القائمة على استغلال شعب لآخر
2. المطالبة بتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها بجميع البلدان صغيرها وكبيرها

---

[1] عبد القادر،حميد، مرجع سابق، ص.89.

[2] الأمين، شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998 ص.43.

3. وضع دستور خاص بالجزائر يضمن:

- المساواة بين جميع السكان دون تمييز عرقي أو ديني
- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية
- حرية المعتقد لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على الديانة الإسلامية.
- إلغاء الإقطاعية الفلاحية ،وتحقيق إصلاح زراعي يضمن رفاهية الجماهير الفلاحية.
- حرية الصحافة وحق الإجماع.
- التعليم المجاني والإجباري لكل الأطفال ذكورا وإناثا.
- المشاركة الفورية والفعلية للجزائريين في حكم بلادهم، على غرار ما فعلت في سوريا الحكومة البريطانية والجنرال كاترو.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمساجين السياسيين المحكوم عليهم مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه[1].

بعد إعداد البيان تمت المصادقة عليه بالإجماع في 10 فيفري 1943 من طرف ممثلي للشعب الجزائري (النواب)[2]. وفي دراسته يذكر شارل روبير اجيرون أن هناك عدة نسخ من البيان في أرشيف الحكومة العامة وتحمل عدة توقيعات[3].

وقد لاحظ آجيرون أن هناك نسختين للبيان من حيث الإختلاف في النص، فالنسخة الموجهة إلى الحلفاء ورد فيها تعبير الأمم المتحدة، بينما النسخة الموجهة إلى السلطات الفرنسية ورد فيها تعبير الأمم المتحالفة، ولم يذكر فرحات عباس السلطات الفرنسية إلا مرة واحدة بينما

---

[1] عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص ص. 169-170.

أنظر نص الرسالة في : Collot, op, Cit, pp . 155-164 وأيضا: بوعزيز، الإتجاه اليميني، مرجع سابق، ص ص. 69-87.

[2] منهم: ابن جلول، السائح عبد القادر، الدكتور تامزالي، أورابح، بين علي الشريف، الدكتور الأخضري، فرحات عباس،العمودي، توفيق المدني...إلخ. أنظر: عباس، مرجع سابق، ص.170.

[3] يذكر أن هناك نسخة بـ 6 توقيعات، وأحرى بـ 9 توقيعات وثالثة بـ 37 توقيعا

أنظر: Ageron, in, R. H. M, N°4 juillet 1975, Op, Cit, p p. 132-13 وقد وقع إختلاف حول عدد الموقعين: فكلود كولو يشير إلى 31 توقيع، وجوليان 55 توقيع، سعد الله 22 توقيع.

ورد في النسخة الأولى أن المشكل الجزائري ليس فقط جنسيا ودينيا بل بالدرجة الأولى هو مشكل صراع طبقات، ورد في النسخة الثانية المشكل جزائري ... جنسي وديني[1].

تسلم" بيروتون" أول نسخة رسمية من البيان بتاريخ 31 مارس 1943 كما سلمت نسخة منه إلى ممثلي الولايات المتحدة، بريطانيا، روسيا، وأرسلت نسخة منه إلى الجنرال "ديغول" وأخرى إلى الحكومة المصرية للإعلام والتحسيس، ويذكر فرحات عباس أن بيرتون فوجئ للعدد الهام من المنتخين والمندوبين المحسوبين على إدارة الاحتلال الذين وقعوا على البيان وعلق على ذلك قائلا: "كانت الجزائر في لحظة مكاشفة وحقيقة لكن المحتل كان آخر من يعلم"[2].

حسب فرحات عباس فإن بيرتون وعدهم بأنه سيأخذ البيان بعين الاعتبار، وإمكانية اعتماده كأساس دستور للجزائر ،وأمر بإنشاء لجنة لدراسته سميت "لجنة البحث الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي" بتاريخ 3 أفريل رغم الاعتراض على تركيـبتيه البشرية، وقد اجتمعت هذه اللجنة مرتين الأولى من 14 إلى 17 أفريل طلبت فيها تحديد المطالب الآنية والمستعجلة والمطالب التي يمكن تأجيلها إلى ما بعد الحرب، والثانية من 23 إلى 26 جوان أين صادقت على لائحة الإصلاحات الجديدة التي عرفت باسم "مشروع إصلاحات ملف البيان الجزائري"[3].

وحسب فرحات عباس فإنه قد أدخل عدة تغيرات على البيان بناء على اقتراحات مصالي الحاج[4] ولذلك نلمس بصماته الثورية بوضوح في هذا الملحق، ويذكر فرحات عباس قول مصالي

---

1 Ageron, Historie de l'Algérie Contemporaine, T2, op, Cit,p . 560

[2] فرحات، عباس، المرجع السابق، ص.171.

3 Projet de réforme, faisant suite au manifeste du peuple Algérien musulman du 10 février 1943, présenté par les délégués financiers Arabes et kabyles le 26 mai 1943 , I .R . boite N°13.A.W.C,pp.19-27

وأيضا: Anonyme,du manifeste a la république Algérienne,op,cit,pp.45-55

[4] التقى فرحات عباس مع مصالي الحاج بعد إطلاق سراحه من السجن في 26 أفريل 1943 خلال نقله من سجن لمبيز باتنة إلى إقامته الجبرية بقصر البخاري، وقضى معه ليلته بسطيف حيث اعترف فرحات عباس لمصالي بـ: يا مصالي با الأمس كنت ضدك، مدافعا عن الاندماج وحاربتك ولكن الأحداث أثبتت أنك على صواب وأنني على خطأ واليوم فإنني أثق فيك" أنظر: Stora,Daoud, op, cit, pp. 121-122

الحاج"إني أثق فيك لإقامة جمهورية جزائرية مشتركة مع فرنسا، وفي المقابل لا أثق أبدا في فرنسا إن فرنسا لن تعطيك شيئا، إنها لا تتنازل إلا بالقوة ولن تعطي إلا ما ينتزع منها"[1]

احتوى الملحق على قسمين:

قسم أول خاص بالإصلاحات الجوهرية المؤجلة إلى ما بعد الحرب، ينص بصفة خاصة على أن تصبح الجزائر غداة نهاية الحرب دولة بدستورها المتميز، يتولى وضعه مجلس تأسيسي منتخب بالاقتراع العام من طرف جميع سكان الجزائر.

قسم ثان يتطلب مطالب يمكن إنجازها قبل الحرب كتمهيد للمطالب المؤجلة من أهمها: مشاركة الممثلين المسلمين الجزائريين فورا وفعلا في حكم الجزائر وإدارتها، وبمقتضى ذلك التساوي بين الجزائريين والأوروبيين ضمن المجالس المنتخبة والهيئات الاستشارية، تحويل الولاية العامة إلى حكومة جزائرية تشكل مناصفة بين الطائفتين يرأسها الوالي العام باسم المحافظ السامي لفرنسا بالجزائر، منح الجزائريين كل الوظائف وإلغاء القوانين الزجرية[2].

وما يلاحظ على الملحق انه أكثر وضوحا في التصريح بمطلب الدولة الجزائرية ذات السيادة وكان أكثر راديكالية وثورية وتبدو أفكار مصالي وحزب الشعب بارزة فيه، قدم الملحق للجنرال "كاترو[3]- Catroux" الذي خلف" بيرتون" في 12 جوان 1943 وبسبب تجاربه في سوريا والمغرب استقبل تعيينه على أنه بداية عهد جديد، لكن عكس ذلك تراجع عن التعهدات السابقة التي قدمتها فرنسا، فبالإضافة إلى رفضه للبيان وملحقه علق عليه: انه العاصفة ومن الحكمة وقف هذه العاصفة"[4]،كما انتقد الروح العربية الإسلامية التي طبعته واعتبر أن مبدأ الدولة الجزائرية ذات السيادة يهدف إلى تحطيم الوحدة الفرنسية،وأن أي إصلاح يجب أن يكون في الإطار الفرنسي والسيادة الفرنسية كما وصف كاترو عباس بالمتمرد حتى أنه رفض استقباله[5].

---

1 عباس، مرجع سابق، ص.183

2 عباس، المرجع السابق ، ص ص. 175-177، أنظر أيضا: بوعزيز، الإتجاه اليميني، مرجع سابق، ص ص. 87-95

3 جورج، كاترو (1877-1969) جنرال فرنسي سابق خريج كلية سان سير، خدم في الهند وإفريقيا كحاكم بعد سقوط فرنسا بعد 1940، إنظم إلى ديغول اين أسند له منصب المفوض السامي في سوريا ولبنان 1941، ثم حاكما عاما على الجزائر حتى عام 1944 حيث أصبح وزيرا لإفريقيا الشمالية، ثم سفيرا بالاتحاد السوفيتي من 1945-1948.

4 سعد الله، الحركة الوطنية (1930-1945)، المرجع السابق، ص.210

5 Stora, daoud, op, cit, pp.144

واحتجاجا على تجاهل مطالبهم الواردة في ملحق البيان قاطع المنتخبون الجزائريون اجتماع المندوبيات المالية في 23 سبتمبر، فقام الجنرال كاترو بحل الفرع الأهلي للمندوبيات ولم يكتف بذلك بل قام بوضع عبد القادر السايح رئيسا ومع فرحات عباس محرر البيان تحت الإقامة الجبرية بغرب الصحراء، بدف التخويف ومعرفة مدى تماسك موقعي البيان الذين اتمهم بالعصيان المدني وإحداث الشغب في وقت الحرب[1].

هذا الإجراء القمعي أثار غضب الجماهير التي خرجت في مظاهرات احتجاج في كل من العاصمة وسطيف وقسنطينة خاصة، الأمر الذي اضطر إدارة الاحتلال إلى إلغاء قرار حل قسم النواب المسلمين والإفراج عن فرحات عباس وزميله في 02 ديسمبر ،ويعلق فرحات عباس على ذلك : " كان ذلك هدفنا حيث أجبرنا العدو على كشف حقيقته وربحنا الجولة الأولى"[2] وبالفعل فقد ازدادت شعبية فرحات عباس وقيمته في أعين الجزائريين .

إن دراستنا لنشاط فرحات عباس عند بداية الحرب ودوره في البيان يقودنا إلى التساؤل عن النقلة النوعية السياسية لفرحات عباس وأسبابا، لأن الرجل عاش في غضون الحرب قطيعة سياسية بأŹ معا الكلمة بعد أن ơلى عن أوهام الاندماج وبدأ يطالب باستقلال ذاتي واسع ضمن اتحاد فيدرالي ويمكن ملاحظة هذه القطيعة بمقارنة رسالته إلى الماريشال بيتان في أفريل 1941 مع بيان الشعب الجزائري في فيفري 1943[3].

هذه القطيعة كانت نتيجة تظافر عدة عوامل داخلية وخارجية استوعبها فرحات عباس باعتباره سياسيا يراعي باستمرار حركة الرأي العام، ويحاول تكييف أفكاره حسب مقتضياتا فعلى الصعيد المحلي أدرك التحول الحاصل في الإحساس الشعبي الذي يعتبره أقوى من أي تنظير فكري،وفهم كيف أن العلماء والاستقلاليين لم يجدوا أي صعوبة في الوصول إلى قلوب الجماهير لتضامنها مع المصالح الحقيقية للشعب، يضاف إلى ذلك اليأس من فرنسا وخيبة الأمل في النموذج الفرنسي بعد رفضها أي خطوة نحو الإصلاح وتحالفها مع الكولون على حساب الجزائريين.

---

[1] عباس، مرجع سابق، ص. 178

[2] عباس، المرجع السابق، ص. 179.

[3] محمد الصالح، بكوش،"**ǧlǵẓ عباâ ﻣﺔ öŸǹ كتابÛ ǵرب الجزائر جØور وأزمة**" Ûمجلة المصادر، المركز الوطني للحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد 04Û 2001، ص. 141

أما على الصعيد الدولي أدرك فرحات عباس التغييرات العميقة التي أحدثتها الحرب العالمية الثانية وتغيير موازين القوى بين الدول المستعمرة والشعوب المستعمرة، فقد أسهمت المبادئ الجديدة من تحرر ومساواة بين الشعوب وحق تقرير المصير نتيجة الدعاية الكبيرة أثناء الحرب في تحسيس وتوعية الشعوب وأن معادلة القوة في العلاقات الدولية قد تحولت لصالح قوى جديدة.

المبحث الثالث: فرحات عباس وحركة أحباب البيان والحرية 1944-1945

في الوقت الذي كان الجزائريون يعتقدون تجاوبا من الإدارة الفرنسية مع مطالب البيان سجلت هذه الأخيرة تراجعا في مواقفها من خلال خطاب ديغول في قسنطينة في 12 ديسمبر 1943 باسم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني[1]، والذي حمل خيبة أخرى لفرحات عباس ورفقائه حيث اقترح ديغول منح الجنسية لعدة آلاف من الجزائريين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وزيادة نسبة عدد النواب الجزائريين في المجالس النيابية، أي العودة إلى مشروع فيوليت وإلى السياسة الإدماجية ،وكلف ديغول لجنة من 16 عضوا منهم 06 جزائريين[2]مسلمين لتحضير هذه الإصلاحات وقد استمعت إلى آراء السياسيين.

جاء في تصريح فرحات عباس للجنة أن مبادرة ديغول ليست إلا إعادة لمشروع فيوليت مع العلم أن الأوضاع اليوم قد تغيرت عما كانت عليه سنة 1937 فالأمر لم يعد يتعلق بتوسيع امتيازات طبقة إلى واحدة أو أكثر من فئات الأهالي، وإنما أصبح الهدف هو إلغاء تلك الامتيازات وهدم كل ديكتاتورية في الجزائر، لأجل ذلك فإن الإصلاحات التي يمكن أن تكون في مستوى فرنسا الجديدة يجب أن تتم في إطار المبدأين التاليين:

المبدأ الأول: إن الناس يولدون ويعيشون أحرارا وسواسية في الحقوق

المبدأ الثاني: كل شعب حر في تقرير مصيره بنفسه

وبعد التعرض للبيان أكد فرحات عباس أن الاستقلال الداخلي الذي ينبغي أن يحل محل النظام الاستعماري المتوحش يشكل قاعدة التجديد بالنسبة لفرنسا وللجزائر وعليه يتوقف ميلاد نظام جديد[3].

وكانت اللجنة قد استمعت إلى كل من الشيخ البشير الإبراهيمي ومصالي الحاج، وبدل من أن يأخذ ديغول في الاعتبار التوجه الوطني الجديد الذي أجمع عليه قادة الحركة الوطنية بضرورة

---

1 عباس، مرجع سابق، ص. 180

2 وهم: الطيب العقبي، الدكتور تامزالي، ابن جلول، الشيخ قاسمي، فضيل رينيه، قاضي عبد القادر، ابن قانة، أنظر: سعد الله، الحركة الوطنية (1930- 1945)، ص.214.

3 محمد العربي، الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000، الموقع:
http://www.awu-dam.org/book/00/study00/170-m-a1/book00-sd003.htm

تجاوز الماضي العقيم، أصدر أمر 07 مارس 1944 هذا الأمر هو صيغة جديدة لمشروع بلوم فيوليت، حيث يعترف لنخبة من الجزائريين بحق المواطنة مع احتفاظهم بالأحوال الشخصية الإسلامية كما يعترف بمبدإ المساواة بين المسلمين والأوربيين[1].

إن هذا المرسوم إضافة إلى التناقض الحاصل بين مواده، يتناقض من حيث المضمون مع الخطاب الذي ألقاه الجنرال ديغول ببرازافيل ما بين 01/30 و1944/01/08 والذي جاء فيه على الخصوص ،أنه لن يكون هناك تقدم بمعا الكلمة إذا كان أبناء البلد لا يستفيدون منه معنويا وماديا[2] وإن هدف السياسة الفرنسية هو إعطاء الحرية للشعوب المحتلة لحكم نفسها في إطار اتحاد فيدرالي مع فرنسا.

هذه السياسة الجديدة التي جاءت با حكومة فرنسا الحرة رفضها الجزائريون لأنا أصبحت عقيمة ،وتجاوزها الزمن فقد اعتبرها فرحات عباس منافية للديمقراطية وللحقوق الاجتماعية[3] وفي تعليقه على قرار 07 مارس يقول : " قرار 07 مارس لم يأت بالجديد لأنه كان في جملته مستمدا من روح مشروع بلوم فيوليت ،هذه الإصلاحات تجاوزها الزمن، إن الشعب قد رفض هذا المرسوم ونبذه، ولم يرض به إلا أذناب الاستعمار المارقون لأجل الحفاû على مصالحهم"[4].

إلى جانب رفض فرحات عباس نجد كذلك رفض جمعية العلماء ،وحزب الشعب، حيث اعتبروا أن كل إصلاح في الإطار الفرنسي قد تجاوزه الزمن، وحتى بن جلول اعترف بخيبة أمله في ديغول ولم يساند هذا الأمر سوى الحزب الشيوعي لكن تأثيره كان محدودا، من جهة أخرى لم يرحب الكولون بذلك لأنم ضد أي محاولة ولو شكلية لمساواة تدد امتيازاتم وهم الذين تحالفوا مع القوات النازية حفاظا على مراكزهم[5].

عرف فرحات عباس بنهاية سنة 1943 المليئة بالأحداث والتطورات، حلاوة الالتحام الشعبي ولمسه أولا في التعبير عن طموح الآلاف من العامة من خلال بيان الشعب الجزائري، ثم شهد

---

[1] أنظر نÒ هذا الأمر في: سعد الله، مرجع سابق، ص ص. 215- 216

[2] محمد العربي، الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق.

أنظر أيضا : Collot, op, cit, pp.177-182

[3] أنظر نÒ هذا الأمر في : سعد الله، مرجع سابق، ص. 215 – 216

[4] عباس، مرجع سابق، ص. 181

[5] Collot, Op, cit, pp. 177 – 182

الالتفاف الجماهيري حوله إثر اعتقاله فذاع صيته ،واعتنقت أفكاره ،ومثل الشخصية البارزة التي تملأ الفراغ السياسي الذي تركه غياب ابن باديس ومصالي والإبراهيمي[1]، مما تركه يفكر في تأسيس حركة تنظم وتسير وتحرك هذه الجماهير العريضة من الجزائريين.

ضاعف فرحات عباس مع بداية 1944 اتصالاته الرامية إلى تشكيل جبهة جزائرية تجمع مؤيدي البيان، وأعلن من سطيف يوم 14 مارس عن تأسيس حركة "أحباب البيان والحرية[2] AML كتجمع من حركة المنتخبين التي ينشطها شخصيا وجمعية العلماء وحزب الشعب وتولي فرحات عباس نفسه مهمة وضع قانونه الأساسي لدى عمالة قسنطينة ولكسب تأييد مصالى زاره بمنفاه بقصر الشلالة (تيارت) ويقول في هذا الصدد :" إن مصالي وافق مع بعض التحفظ فقد منحه ثقته دون أن يلتزم معه شخصيا"[3].

وحسب فرحات عباس دائما أن مصالي كان واعيا بضرورة تحرك جماعي يومئذ وعبر له بالمناسبة عن موقفه قائلا :" إذا كنت أثق فيك وفي مشروع الجمهورية الجزائرية المرتبطة بفرنسا الذي تدعو إليه فإنني عكس ذلك لا أثق في فرنسا فهي لن تعطيك شيئا ولن تعطيك شيئا ،ولن تخضع لغير القوة، ولا تعطي إلا ما ينتزع منها انتزاعا"[4].

ويعلق فرحات عباس عن موقف مصالي قائلا: " أنا شخصيا كنت أثق في فرنسا فالنظام المنبثق عن المقاومة بقيادة ديغول لا يمكن أن يتركنا"[5]، أعتقد فرحات عباس أن المعاناة التي عاشها الفرنسيون في ظل الاحتلال النازي ستزرع فيهم وفي عقولهم روحا وأفكارا جديدة ويستفهمون مطالب الجزائريين وهذه كانت خيبة أمل أخرى.

وقدتحددت أهداف هذه الحركة حسب ما لخصها فرحات عباس في النقاط التالية:

- الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة.
- نشر الأفكار الجديدة لحركة أحباب البيان والحرية.
- استنكار الاستبداد ،والتنديد بالعنصرية العرفية وجبروتا.

---

[1] سعد الله، مرجع سابق، ص. 217

[2] Les amis du manifeste et de la liberté

[3] عباس، مرجع سابق، ص. 182

[4] المرجع نفسه، ص. 183

[5] نفس المرجع والصفحة

أما وسائل نشاطها وعملها فهي: إسعاف كل ضحايا القمع ،والاضطهاد ،والقوانين الزجرية الاستثنائية الجائرة، إقناع الجماهير بشرعية الحركة ،وخلق تيار موازي للبيان، الترويج لفكرة إنشاء دولة جزائرية، وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة فيدراليا مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار، وخلق روح التضامن بين كل الجزائريين اليهود والنصارى والمسلمين وبث روح الشعور والمساواة ورغبة التعاون بينهم في السراء والضراء[1].

لقيت الحركة تجاوبا من العلماء وحزب الشعب وأصبحت بذلك ذات تأثير فعال في التمع لأنا أصبحت تعبر عن الأغلبية العظمى من الجزائريين، بينما رفض الحزب الشيوعي المشاركة في هذا التجمع، وعاتبت قيادته فرحات عباس على تسرعه، وحاولت إنشاء تجمع بديل باسم "أحباب الحرية والديمقراطية" ADL[2] على أساس مساندة سياسة الإدماج، وأنم ضد الروح الإسلامية المتعصبة التي تطبع حركة أحباب البيان والحرية[3].

واستكمالا لأهداف الحركة أسس فرحات عباس جريدة المساواة[4] لسان حال الحركة في 15 ديسمبر 1944 وعلى صفحاتا كان فرحات عباس يشرح أفكار الحركة وأهدافها.

حققت الحركة نجاحا وانتشارا كبيرين حيث وصل عدد المنخرطين إلى 500 ألف منخرط حسب فرحات عباس وهو رقم كبير إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هناك ما يقرب من 1.7 مليون مسلم كانوا في سن الانتخاب[5]، ووصل عدد فروع الحركة إلى 150 فرعا على مستوى الوطن فبماذا يمكن أن نفسر هذا النجاح ؟

---

[1] أنظر القانون الأساسي وأهداف الحركة في:

Statuts des Amis du manifeste et la liberté,Documents inédits du mouvement national :textes fondamentaux, A. W.C,n°12,1983,pp.27-31

أنظر أيضا: Collot , op, cit, pp.186-187

[2].les amis de la démocratie et de la liberté

[3]. Ageron, Historie de l'Algérie Contemporaine, T2, op. Cit, p : 568

[4] Egalité كانت تصدر باللغة الفرنسية في البداية بـ: 4 صفحات من الحجم الكبير ثم زادت إلى 8 صفحات شعارها: مساواة الإنسان الشعوب والأجناس، بلغ سحبها 30 ألف نسخة ناية 1944 ويذكر آخرون رقما وهو 130.000 نسخة أنظر: Ageron, .op.cit.p56

بينما سعد الله يذكر من 300 ألف إلى 500 ألف أنظر: سعد الله ، مرجع سابق، ص.225.

[5] جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مرجع سابق، ص. 329.

إن الإقبال الكبير على الحركة ناتج عن شعور الجزائريين لأول مرة أن ثمة حركة وطنية قادرة على إخراج البلاد من الاستعمار، إضافة إلى ضم الحركة إلى أكثر الزعماء الجزائريين والالتقاء حول برنامج واسع جاء معبرا عن طموحات أغلبية أفراد الشعب الجزائري، فعند قراءة البيان وملحقه نجد أفكار كل الأطراف الرئيسية الفاعلة من العلماء والنواب وحزب الشعب كما نجد أن كل طرف قدم تنازلات مختلفة، ففرحات عباس تخلى نهائيا عن قناعته بالمساواة للارتقاء إلى المواطنة الفرنسية وأصبح يؤمن بضرورة إقامة جمهورية جزائرية[1]، كما تغاضى مصالي عن أنجح وسيلة تمكن الجزائر من استرجاع استقلالها ،وهي العنف الثوري، ووافق مؤقتا على جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا، أما الإبراهيمي فإنه أعلن صراحة أن جمعية العلماء مستعدة لخوض المعارك السياسية على أساس ما ورد في البيان ،إضافة إلى دورها الثقافي والتعليمي والديني.

يضاف إلى ذلك النشاط الكبير لمناضلي حزب الشعب الذين وظفوا خبرتهم الواسعة في الدعاية للأفكار الجديدة بين الجماهير، وانعدام الحواجز البيروقراطية أمام الراغبين في الانضمام للحركة، بحيث يمكن لكل جزائري بلغ من العمر أكثر من 18 سنة أن يصرح على ورق عاد عن رغبته في الالتحاق بالحركة[2]،هذه العوامل ككل جعلت الحركة قوة فاعلة ،ومؤثرة ،ولكن في المقابل أصبحت في أعين الإدارة الفرنسية خطرا يجب الإسراع لإيقافه.

---

[1] نلمس هذا التغيير في رسالة الإستقالة من فدرالية النواب،التي يراها بدون روح وبعيدة عن طموحات الشعب،أنظر:

Lettre de démission de la fédération des élus,documents inédits du mouvement national : textes fondamentaux,A.W.C,n°12,1983,pp.32-42

أنظر كذلك رسالة الاستقالة من المجلس البلدي لمدينة سطيف، **الملحق رقم 3**

[2] محمد العربي، الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر،مرجع سابق.

المبحث الرابع: فرحات عباس وأحداث 8 ماي 1945.

أدت تجربة الحرب العالمية الثانية والبيان الجزائري ثم أحباب البيان والحرية، إلى تطور فكر فرحات عباس بإعلانه القطيعة النهائية مع أفكار الإدماج والمساواة، فقد أضاف إلى مرجعيته الكلاسيكية القائمة على أفكار عصر الأنوار، أفكار أخرى استمدها من تجربته الجديدة، ترتكز على حقوق الإنسان وحق تقرير المصير، لكن إلى أي مدى سيترسخ هذا التحول بعد أحداث الثامن ماي 1945؟

تمثل أحداث الثامن ماي 1945 منعرجا حاسما في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية، فقد كانت بحق تعبيرا صادقا عن عمق الإحساس الوطني وما تحمله من آمال وتطلعات لبعث جزائر حرة، وبداية حتمية لتحول مسار الكفاح السياسي، إن هذه الأحداث كانت مفاجأة في إندلاعها محدودة في مجالها الجغرافي وبعدها الزمني، لكنها خطيرة في نتائجها بعيدة الأثر في التطورات التي تترتب عنها[1]، فهل كانت ثورة فاشلة قادها الوطنيون الجزائريون ضد الوجود الفرنسي في بلادهم، فاستحقوا بذلك القمع الشديد الذي عانوه والدرس القاسي الذي أخذوه؟ أم كانت مجزرة دبرها الفرنسيون ضد الجزائريين الأبرار[2].

سنتناول هذه الأحداث من خلال رؤية فرحات عباس، باعتباره أحد صانعيها وشاهد عيان من الداخل عليها، وبحكم دوره ومكانته في حركة أحباب البيان والحرية التي اتهمت بأنها وراء هذه الأحداث أو على الأقل باسمها، وتأثيرها على المسار السياسي لفرحات عباس.

ينطلق فرحات عباس في تحليله لأحداث الثامن ماي 45 في كتابه "ليل الاستعمار" من نظرية المؤامرة وفرضية الاستفزاز المبيت[3]، استنادا إلى عدة حقائق،لقد وصل تجمع أحباب البيان والحرية في ربيع 1945 إلى قمته بالتفاف الجماهير حوله، مما جعل سلطات الاحتلال تحسب له ألف حساب، وتراقب أنشطته ،وخاصة الكولون، الذين أصبحوا يتآمرون عليها في الخفاء ،وكان أول

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص.119.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية (1930-1945)، مرجع سابق، ص. 223.

[3] عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص.185.

مؤشر ذلك مناورة تأجيل الإنتخابات البلدية لتفويت فرصة الفوز على هذا التجمع الوطني الواسع[1].

ومن الحقائق التي يذكرها فرحات عباس أن والي قسنطينة " ليستراد كاربونال Lestrade carbonnel" أسر للدكتور سعدان في أفريل " أن اضطرابات ستحدث وشيكا وسيترتب عليها حل حزب كبير"[2] وهذا الحزب الكبير كان بالطبع أحباب البيان والحرية.

ويتنبأ الإقطاعي الكبير غابريل أبو Abbo رئيس فدرالية رؤساء البلديات من جهته بحدوث اضطرابات تجبر الجنرال ديغول على إلغاء أمر 7 مارس 1944 والتراجع عن الإصلاحات التي جاء بها، كلام فرحات عباس يعني أن الإدارة الاستعمارية هي التي تدفع الفئات الشعبية للقيام بأعمال شغب تتخللها أحداث عنف لتبرير تراجعها عن سياسة ديغول، وحل حركة أحباب البيان والحرية، وحسب نفس الفرضية يتساءل فرحات عباس ،لماذا كانت البداية بسطيف[3]؟ ليجيب: لأنا مكان نشأة أحباب البيان والحرية، وحسب نفس الفرضية أن هدف إدارة الاحتلال من الإستفزاز هو أن يؤدي إلى اضطرابات عابرة بسطيف لتبرير حل الحركة.

لقد وقعت في الأشهر التي سبقت الثامن ماي، أحداث أخرى معبرة عن حالة التوتر والاحتقان، ففي شهر أفريل قامت الجماهير في قصر الشلالة بمنع السلطات الفرنسية من اعتقال أربعة مناضلين مسؤولين في صفوف حزب الشعب، وتصدت لعامل ولاية الجزائر ومرافقيه بالرجم والشتم هاتفة باستقلال الجزائر وحياة زعيمها مصالي[4].

في يوم 14 أفريل 1945 قام شبه مندوبين بتوجيه بيان إلى عامل ولاية قسنطينة دعوه فيه إلى اتخاذ إجراءات صارمة تمنع ما قد يقع من أحداث نتيجة ما لاحظوه من سلوكات حاقدة على فرنسا والفرنسيين، وأن ذهنية الأهالي قد تغيرت ،وصار الموظفون والتجار المسلمون متجبرين

1عباس، المرجع السابق،ص.185

[2] المرجع نفسه.

[3] عن أهمية مدينة سطيف في الحركة الوطنية والأحداث التي سبقت 8 ماي 45 يمكن الرجوع إلى:

Jean- Charles, Jauffret, **la guerre d'Algérie par les documents**, T1, service historique de l'armée de terre, Vincennes, France, 1990, p. 293

وأيضا : ملتقى فرحات عباس المنظم من طرف جامعة سطيف في الاسبوع الاول من شهر ماي 1999،شريط سمعي بصري.

[4] الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر،المرجع السابق.

ويعلنون أنم عازمون على البقاء وحدهم في أرض أجدادهم، أما العمال فإنم أصبحوا يرفضون الاشتغال في الحظائر الخاصة وفي ملكيات الفرنسيين[1].

إن الأمين العام للولاية العامة السيد "قزان- Gazagne " قد وجه إلى باريس تقريرا يحمل تاريخ أفريل جاء فيه يجب علينا اتخاذ الإجراءات الملائمة لإيقاف الحركة، ولكي تعلم الجماهير أننا غير مستعدين لغض الطرف، وقد علمنا من جهات مختلفة أن عملية ما يجري تنظيمها بمناسبة انتهاء الحرب، وسوف تكون عامة، أما مناطقها الحساسة فكثيرة منها: سطيف، تبسة، بسكرة الأوراس، الجزائر، تلمسان، وهران ومعسكر[2]. وهذا يعني أن السلطات الاستعمارية كانت على علم بما يجري، وهو ما يفسره حجم القوة المستخدمة في هذه الأحداث[3].

أصبح الجو مشحونا بالتوتر بين الجزائريين والكولون ،وهو ما اتفقت عليه جميع التقارير الفرنسية[4]، وتجلى في سلوكات الجزائريين، والمنشورات والصحف السرية[5] والكتابات المعادية لفرنسا والمحرضة على مقاومة الاستعمار، يذكر اجرون أنه من بين العبارات التي كتبت بسطيف مثلا:" أيها الجزائريون قاوموا من أجل الحرية وضد الاضطهاد. هدف واحد، انتصار حزب الشعب ،ووسيلة وحيدة هي الثورة، الجزائر عربية، لا فيدرالية فرنسية"[6]، وغيرها من العبارات المناهضة لفرنسا.

ولما أصبحت نشاطات أحباب البيان والحرية في جميع أنحاء الوطن ،تثير الرعب والخوف بين السكان الأوربيين في الجزائر، وأصبحت الأوضاع تنذر بقرب وقوع حوادث دامية، وخوفا من تحرشات السلطات الاستعمارية ضد أحباب البيان والحرية، اجتمع المكتب المركزي للحركة يومي 1 و2 أفريل 1945 وقدم إلى الحكومة الفرنسية اللائحة التالية:

---

[1] المرجع نفسه، يمكن كذلك الإطلاع على حالة التشنج والاستفزازات من خلال تقرير الجنرال أندري André رقم 29 في 10 مارس 1944 إلى هيئة الأركان قسم قسنطينة في: jean- charles jauffret, op, cit, pp . 170-176

[2] نفس المرجع .

[3] عن الاستعدادات العسكرية التي سبقت الأحداث أنظر: Jauffret, op, cit, pp . 170-176

[4] أنظر الرسالة التي وجهها ستة مستشارين من عمالة قسنطينة إلي عامل العمالة Lestrad-Carbonnel بتاريخ24 أفريل1945 Paul-émile,Sarrasin,**la crise Algérienne**,les éditions du cerf,Paris,1949,p.203

[5] Ageron, Historie de l’Algérie Contemporaine, op, Cit, p. 569.

[6] نقصد هنا جريدة العمل الجزائرية وهي نشريه سرية أصدرها حزب الشعب أثناء الحرب للدعاية.

1. بمقتضى توصيات المؤتمر فإن المكتب يبين بدقة الإطار الذي يلتزم به أحباب البيان والحرية فيما يخÖ نشاطاتم وتحركاتم.

2. إن أحباب البيان والحرية غير مسؤولين عن أية حوادث قد يقوم با أشخاص مشبوهون بسبب المشاكل الحالية كنقÖ التموين أو الجفاف ....ƀl.

3. إن أحباب البيان والحرية يرغبون في أن تكون السلطات الفرنسية مستعدة للتصدي لأية حوادث متوقعة.

4. إن أحباب البيان والحرية يدعون مناضليهم في كامل التراب الجزائري إلى التحلي بالهدوء والالتزام بكل التعليمات التي تضمنتها توصيات المؤتمر[1].

والحقيقة أن هذه التوصيات لم تكن موجهة إلى مناضلي حزب الشعب فقط، وإنما أيضا إلى بعض العناصر التي تسربت داخل حركة أحباب البيان والحرية بأمر من الإدارة الفرنسية والملاحȘ أنه نتيجة العدد الهائل المنظم إلى الحركة، كان من الصعب مراقبة الإŸراطات فتسللت عناصر مشكوك في أمرها بدف الاستفزاز[2]، يذكر محمد قنانش أنه في شهر أفريل استقبل الحاج مصالي كل من الدكتور محمد الأمين دباغين وحسين عسلة فأطلعاه على مشروع إشعال فتيل الثورة مباشرة بعد ناية الحرب، وتريـبه إلى ناحية سطيف حيث يعلن عن تأسيس حكومة جزائرية مؤقتة ينظم إليها فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي، لكن الإدارة الاستعمارية كانت أسرع فبادرت إلى نقل مصالي الحاج إلى المنيعة يوم 1945/04/23 قبل أن تنفيه في ناية الشهر إلى برازفيل بالكونغو[3].

اعتبرت الإدارة الاستعمارية مؤتمر الحركة بمثابة اجتماع كرس انتصار حزب الشعب ودعوته الاستقلالية، وأعلمت فرحات عباس بأن المنتمين لحزب الشعب داخل الحركة يعملون بانفصالية لصالح مصالي، وعثر فعلا على المناشير السرية الداعية للتمرد[4].

---

[1]. Kaddache, op ,cit, p 693

[2] هذه الوضعية جعلت فرحات عباس يكثر من اللقاءات التحسيسية والمقالات و المناشير،أنظر مناشير الحركة لعام 1944 و1945 في: Documents inédits du mouvement national:textes fondamentaux,direction des archives de la wilaya de Constantine,n°12,1983,pp.58-61-79-81-88

[3]. محمد،قنانش، **ĮKuťاة الوطنية وأĝدلQ 8 ماBl 1945**، منشورات دحلب، الجزائر، 1990،ص. 63

[4]. أنظر المحادثة التي جرت بين فرحات عباس، وأغسطين بيرك مدير الشؤون الإسلامية في ولاية الجزائر في فيفري 1945 في: عباس، المرجع السابق، ص.250.

هذا وقد انتشرت دعاية بين الجزائريين تقول بأن فرحات عباس على اتفاق مع القوات الأنجلو أمريكية على استقلال الجزائر، وأنه التقى مع الرئيس الأمريكي روزفلت، وأكد فرحات عباس في تجمع شعبي بسطيف يوم 29 أفريل 1945 أن ندوة سان فرانسيسكو تضمن الحرية لجميع الشعوب وأن الشعب الجزائري سيستفيد من ذلك[1]، وكان فرحات عباس في لقاءاته المتعددة مع "روبرت مرفي- Robert Marphy" قد حصل على وعد صريح من هذا الأخير مفاده أن أمريكا ستعمل في الوقت المناسب على جعل فرنسا تنهي حالة الاستعمار في الجزائر،[2] بينما قال لمسؤولي حزب الشعب أن حركتكم لا تمثل أغلبية الشعب الجزائري وأن هذا الأخير لن يتبعكم ولن يعطيكم ثقته، فأصبح على قادة الحركة الوطنية أمام هذه اللغة المزدوجة أن يقوموا بنشاط علني يثبتون من خلاله سوء تقدير الحلفاء[3].

وهناك عدة عوامل ساعدت على اتخاذ هذه المواقف المتطرفة، فالأزمة الاقتصادية الحادة التي كانت تعانيها البلاد كانت حطبا يزيد في اشتعال الحماس للحركة الوطنية وكره الفرنسيين[4] يضاف إلى ذلك الآفاق الواسعة التي فتحتها الحرب العالمية وانتشار المد التحرري بعد انكسار فرنسا أمام الألمان، وإعلان ميثاق الأطلسي ثم نزول الحلفاء وإعلان سان فرانسيسكو الممهد لإنشاء منظمة الأمم المتحدة، وبداية تحرك الحكومات العربية لإنشاء الجامعة العربية، كل هذه الظروف أثرت في بعث الحماس وتعميق الوعي الوطني وتعزيز الأمل في نفوس عامة الجزائريين.

كل هذه المظاهر تدل على الحركة الوطنية قد أخذت منعطفا جديدا منذ ميلاد أحباب البيان والحرية، وأن الوعي قد ازداد انتشارا رغم قيود الحرب، "وبدل أن يتفهم الفرنسيون الظروف الجديدة التي ساعدت على هذه المظاهر راحوا يتحرشون بالحركة الوطنية ورجالها واعتبروا أن

---

1. Ageron, in , R. H. M, op, Cit, p .143

2 يذكر عن العقون نقلا عن الشيخ خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء أن السفير الأمريكي مورفي اتصل بمكتب حركة البيان وحذره من أن الفرنسيون عازمون على مواجهة الموقف بكل شدة وعنف وأن الولايات المتحدة لا يمكن لها التدخل وأننا تطلعكم على الوضعية حتى نتخلى من أية مسؤولية، أنظر: بن العقون، الكفاح القومي والسياسي،ص ص.335-336.

3 الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق.

4 سعد الله، مرجع سابق، ص. 226.

أغلبية الجزائريين على حافة المجاعة، انخفض المنتوج من 17 مليون قنطار إلى 3 ملايين قنطار، وانخفض الدخل إلى 500 فرنك أنظر: سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص. 124.

الجزائريين أصبحوا يشكلون خطرا، وأن الوضع أصبح صعبا على الفرنسيين"[1] ورغم تعيين" ايف شاتينو-[2] yves chataibneau" ذو الخبرة فيما يتعلق بشؤون الجزائر خلفا لكاترو منذ 9 سبتمبر 1944، إلا أنه بقي أسير هذه النظرة وهيمنة الكولون وسيتورط في مجازر 08 ماي 1945.

يلخŌ سعد الله الوضع في الجزائر عند وقوع حوادث الثامن ماي " وعي وطني وانتظار لساعة الخلاص من جانب الجزائريين، وتربŌ واستعلاء من جانب الفرنسيين"[3] أما قنانش فإنه يلخŌ الوضع في " كان بين الجزائريين والاستعمار مسابقة ضد الساعة ،فإما أن يأخذ الاستعماريون دفة الحكم بيد من حديد ،ويعيدون الحالة في الجزائر إلى ما كانت عليه قبل الحرب أو قبل 1936، وإما أن يتقدم الجزائريون إلى كسر شوكة الاستعمار ،وفرض وجودهم كأمة تسعى لتحرير نفسها من ربقة العبودية"[4].

إن التمعن فيما وقع في شهر ماي يدفع إلى التساؤل، هل كان بالفعل مظاهرات استفزازية وعفوية ؟ أم هي أحداث دامية تسبب فيها المتطرفون (الجزائريون) والفرنسيون، على حد سواء ؟ أم هي تمردات عشوائية سببها الجوع والحرمان كما روجت لذلك الإدارة الاستعمارية؟ أم هي انتفاضة شعبية فشلت لأسباب مختلفة ؟

وإذا كان فرحات عباس يتبا طرح المؤامرة بناء على المعطيات التي سبق تناولها فإن بعض المؤرخين كمحفوû قداش ،لا يتبا هذا الطرح فهو يعتقد أن حزب الشعب هو المدبر الحقيقي لأحداث الثامن ماي، فبعد الاستنكار الذي أبداه الحزب بعد صدور قرار نقل مصالي إلى الجنوب

---

[1] سعد الله، مرجع سابق، ص. 228.

[2] عرف عنه تكوينه الديبلوماسي ومعرفته بالاسلام وبشؤون المسلمين نتيجة اشتغاله في دول عربية إسلامية كسوريا ومصر ولبنان وفي الجزائر نج نفس السيرة فيوليت، واتم بأنه صديق الجزائريين، وهو ما جعل الكولون يطلقون عليه، شاتينيو بن محمد، قال فيه وزير الداخلية إدوارد برو كان لهذا الرجل الفذ والمثقف، ولهذا الجمهوري المتحمس عيب واحد: هو أن المسلمين يعبدونه لأنم يانسون فيه صديقا مخلصا"، أنظر: جوليان، إفريقيا تسير، ص. 333.

[3] سعد الله، المرجع نفسه، ص. 229.

[4] قنانش، مرجع سابق، ص. 152

ثم إلى برازافيل، قرر الحزب إجابة الأمريكيين الذين كانوا يعتقدون بأن الشعب لن يسير وراءهم بخصوص مطالبهم الثورية[1].

بدأت هذه الأحداث بمظاهرات شعبية بمناسبة الاحتفالات بعيد العمال، ويذكر فرحات عباس أن حزب الشعب هو الذي نظم مظاهرات الفاتح من ماي احتجاجا إبقاء مصالي الحاج في الإقامة الجبرية،[2] نادوا فيها بإطلاق سراحه وباستقلال الجزائر رافعين العلم الوطني، وقد شملت عدة مدن كبجاية وبسكرة وسطيف،[3] لكنها كانت أكثر عنفا في العاصمة لقد كانت تلك المظاهرات بمثابة إنذار خطير، فلماذا لم تحرك السلطات الاستعمارية ساكنا وهي المسؤولة عن الأمن يتساءل فرحات عباس* وفي يوم أول ماي وأمام 2000 شخÒ بمدينة سطيف يصرح فرحات عباس: "إن أمام فرنسا حلين: إما المحافظة على النظام الاستعماري وبذلك تحتاج إلى الرشاشات والسينيغاليين،أو تقبل بالاستقلال الذاتي وستجد بذلك صديقة لها"[4].

هذه الدعوات نشرتا أسبوعية المساواة الناطقة باسم حركة البيان التي حررت منشورا بعد أحداث أول ماى تندد فيه استعمال الشرطة للعنف، ونفي مصالي الحاج والاعتقالات الموجهة إلى الوطنيين الجزائريين ،والتنديد بالاتامات القائلة أن منظمي مظاهرات أول ماى كانوا هتلريين يهدفون إلى إفساد الاحتفالات بعيد الشغل العالمي[5].

أثبتت مظاهرات أول ماي على مستوى النضج السياسي الذي وصل إليه الشعب الجزائري وعلى القطيعة مع الاستعمار، لكنها في المقابل جعلت الكولون والإدارة الاستعمارية يقتنعون بضرورة اقتلاع جذور الحركة الاستقلالية الصاعدة في أول فرصة تتاح لهم.

---

[1] يؤكد قداش أنه كان هناك أمر بالانتقال إلى العمل المسلح، وأن الأوامر لم تصل إلى كل المناطق فكان هناك نقÒ في التنسيق أحدث الارتباك فيما بعد، بينما يرى حربي أن الأوامر كانت استخدام القوة في حالة التعرض إلى تدخل الشرطة، أنظر:
Mohamed, Taguia, **l'Algérie en guerre**,O.P.U ,Alger,1971, pp.102-103

[2] عباس، ليل الاستعمار، ص.187

[3] يذكر فرحات عباس أنه قد شارك فيها 4000 فلاح من مدينة سطيف.

[4] Stora, Daoud , op, cit, p. 143

[5] وقع هذا البيان عدة شخصيات أهمها، فرحات عباس، الدكتور سعدان ،العربي التبسي

أنظر : Kaddache, Histoire du nationalisme Algérienne , T2 op, Cit, p.701

بعد نجاح مظاهرات أول ماي فكر حزب الشعب في تنظيم مظاهرات كبيرة أراد بها أن يدعو الجزائريين لRحتفال بانتصار الحلفاء والقوى الديمقراطية، وتلك كانت رغبة فرحات عباس الذي انتظر موافقة الإدارة الاستعمارية، وكان الهدف من هذه المظاهرات هو الضغط على الفرنسيين بإظهار قوة الحركة الوطنية ووعى الشعب بمطالبه[1].

بدأت الإحتفالات الرسمية في السابع ماي عندما أعلن الحلفاء عن نا ية الحرب من طرف المعمرون والفرنسيون مقابل تنظيم الجزائريين مسيرات مستقلة عن المظاهرات الرسمية وتذكر بعض المصادر أن العلم الفرنسي قد أحرق[2]، وأن حزب الشعب أعد منشورا وزعه يوم 6 ماي تضمن دعوة جميع المناضلين إلى رفع الأعلام الوطنية ،وكذلك عدد من اللافتات التي تعبر عن المطالبة بتحرير الشعب الجزائري وإطلاق سراح مصالي الحاج وجميع المعتقلين السياسيين، وعن التنديد بالاستعمار والإمبريالية بجميع أشكالها وهي الشعارات نفسها التي وظفتها حركة أحباب البيان والحرية.

جرت المظاهرات في العديد من المدن الجزائرية كانت في بعضها مرخصة باسم أحباب البيان والحرية لكن مناضلي حزب الشعب كانوا في كل الحالات هم المحرك الرئيسي لها، وإذا كانت في بعض المدن قد تميزت بحدتا وهياجها إلا أ نا في مدينة سطيف أخذت شكل التصدي والمواجهة والعنف.

يصف فرحات عباس المظاهرة بقوله:" كان هذا اليوم، يوم الثلاثاء يعقد فيه السوق الأسبوعي الذي يقصده ما بين Rسة آلاف وRسة عشر ألف (15000)[3] من جميع نواحي المنطقة، تشكل الموكب هي المحطة بالقرب من الجامع الكبير،وكان محفوفا بالشرطة وكانت الكشافة تتقدم المظاهرات، ولما اقترب من وسط المدينة لوضع باقة من الزهور على قبر الجندي

---

[1] سعد الله، مرجع سابق، ص. 229

[2] أنظر: سعد الله، المرجع نفسه، ص.230. وأيضا : سعيدوني، مرجع سابق، ص. 131

و Ageron, Historie de l'Algérie Contemporaine, p.572

[3] يقدرها سعد الله ما بين 7 و8 آلاف شخÒ، سعد الله، المرجع سابق، ص231، بينما يقدر أجرون ما بين 8000 و10000

أنظر: Ageron, C, R, op,Cit, p. 572

الهول، برز كوميسار الشرطة وحاول نزعه الراية [1] من يد متظاهر فصمد له المناضل الجزائري فأطلقت الشرطة الرصاص ،وأودت بحياته ،وجرحت عددا من المتظاهرين فاضطرمت نار الفتنة واندلع لهيبها"[2]، وكانت بذلك بداية المجازر بمدينة سطيف وباقي المدن الجزائرية ،والسؤال الذي يطرحه المؤرخون من أطلق الرصاصة أولا؟

بالنسبة لفرحات عباس فإن هذه الأحداث كانت نتيجة مؤامرة بقوله:" الاضطراب الصغير أدى إلى وضع سيناريو، لإيجاد مبرر لتصفية أحباب البيان والحرية والرجوع إلى الوراء هذه المظاهرات تحولت إلى أحداث كبرى، وهكذا نفسر أحداث 8 ماي 1945"[3] ومن الشواهد على ذلك حسب فرحات عباس أن رئيس دائرة سطيف أعطى بدون علم رئيس البلدية رخصة شفهية لجهة غير معروفة، إدعى أنها من أحباب البيان والحرية استجابة لطلب شفهي بتنظيم مسيرة لهدف محدد وهو وضع إكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول، وأن عامل قسنطينة كان على علم بهذه الرخصة ،وأمر بإطلاق النار على المتظاهرين إذا ما استعرضوا العلم الجزائري[4]، فالفخ إذا حسب هذه النظرية يكمن في هذا الترخيص الغامض الذي يعني باختصار إبادة الآلاف من الجزائريين الأبرياء.

ويؤيد هذا الطرح الكثير من الذين عايشوا الأحداث والمؤرخين، ويؤكد تقرير الجنرال "توبار- Tubert" حول هذه المجازر الفرضية نفسها ويدين بوضوح جرائم المستوطنين وتواطؤ إدارة الاحتلال معهم، وتجمع الوثائق الفرنسية والجزائرية والأجنبية على أن القمع كان لا مبرر له وأنه كان مبالغا فيه، فبالإضافة إلى الحرس الخاص (المليشيا) والصاعقة (الكوماندوس) تحرك الجيش الفرنسي بأصنافه الثلاثة وهو ما يعني حسب سعد الله الفرصة الكبيرة لتوقيف العاصفة كما وعد كاترو بعد استعدادات تامة سياسية ومادية.

فبالإضافة إلى محاولتها زرع الشقاق في صفوف الحركة الوطنية بجميع ما لديها من وسائل الترغيب والترهيب، اتخذت جميع الإجراءات العسكرية لقمع الحركة الوطنية منها حصر المناطق

---

[1] يذكر فرحات عباس أنها كانت راية الأمير عبد القادر باللونين الأخضر والأبيض.

[2] عباس، مرجع سابق، ص.188.

[3] عباس، المرجع السابق، ص. 186

[4] المرجع نفسه، ص ص. 186-187.

التي تجمع التقارير المخابراتية على أنا أكثر خطورة وهي: الجزائر العاصمةوالشمال القسنطيني،والقبائل الكبرى والصغرى، وهران وتلمسان والأوراس، تدرب قوات الجيش بالمناطق المذكورة على التصدي لحرب العصابات، وإن تلك القوات كان يزيد تعدادها عن ستين ألف جندي وضابط،[1] إضافة إلى تكوين فصائل المليشيا بالنواحي المقصودة ،ومنها برج بوعريريج وبإشراف "لاستراد كاربونال- Lastrade Carbonnel" عامل عمالة قسنطينة، وهو ما يفسر السرعة التي جابت با الأحداث حتى في القرى والمداشر النائية.

ومما لا شك فيه أن الإدارة الاستعمارية كانت تعلم أن قيادة أحباب البيان والحرية وقيادة حزب الشعب، قد أصدرت تعليمات صارمة لجميع المناضلين كي لا يحملوا معهم أي نوع من السلاح حتى يظل التظاهر سلميا، لكن الأهداف الاستعمارية كانت مسطرة من قبل وكانت المسيرة هي المصيدة على حد تعبير فرحات عباس[2] .

وبالرغم من أن المظاهرات في اليوم الأول كانت سلمية، حيث لم يستعمل المتظاهرون السلاح، والتزموا بعدم الرد على استفزازات المحتلين ،والشرطة،وتنفيذا للتعليمات الصادرة عن والي عمالة قسنطينة، ومساعديه في كل من سطيف وقالمة، أقدم ضباط الشرطة في هاتين المدينتين على استفزاز المتظاهرين من اجل إيجاد الظروف التي تسمح بإطلاق النار، وڂ المدينتين كانت تلك الظروف هي محاولة انتزاع العلم الجزائري ثم اللجوء إلى أسلحتهم وكانت النتيجة سقوط 29 متظاهرا وجرح عدد كبير منهم[3] فتحولت المسيرة السلمية إلى ثورة شعبية.

لم تتوقف السلطات الاستعمارية عند الجرائم المرتكبة[4] في الثامن ماي، بل إن القوات المسلحة وبمساعدة الكولون قد استمرت خلال الأيام الموالية وبكفية تصاعدية في ممارسة القمع

---

[1] الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر،المرجع السابق

[2] عباس، المرجع السابق، ص. 188.

[3] Mahsas, op, cit, p . 199

[4]ينفي الجنرال هنري مارتينHenry Martin قائد القوات 19في الجزائر ذلك ويؤكد أن الجيش عمل للسيطرة علي الأحداث بشكل نظامي،وأن التجاوزات التي حدثت كانت معزولة،وأن الأحداث أشعلها الأهالي واعتبروها حرب مقدسة من خلال شعارات الجهاد،أنظر:

Général Henry,Martin,**"Le mythe des 45000 Musulmans victimes de la répression"**, Historia magazine,n°196,octobre1971,site: www.piednoir.net/bone/titre_rubrique/guerre/martin_8mai45.html

وبوحشية ،وقسوة تجاه المداشر، والقرى ،وفي سائر الشرق الجزائري بتزكية من حكومة ديغول وأوضح ذلك في رسالة موجهة إلى الوالي العام" شاتينيو" بعد وقوع الأحداث يلح فيها على ضرورة فرض إرادة فرنسا المنتصرة ،وعدم السماح بأي مساس بالسيادة الفرنسية على الجزائر "كما حثه على اتخاذ كل الوسائل الضرورية لقمع تحركات المشاغبين المعادية لفرنسا حسب تعبيره"[1].

كانت عمليات القمع رهيبة ورغم ما نشر عنها فإنها لا زالت لحد الآن تثير الكثير من الجدل وهي بدون شك تأتي في مقدمة جرائم الحرب المرتكبة ضد الإنسانية،حيث طبقت فرنسا مخططا إرهابيا وصفه الجنرال" دوفال -Duval "المشرف على هذه العمليات بقوله "الضرب بقوة وسرعة للحيلولة دون انتشار حالة التمرد"،[2] ويضيف جوليان كذلك " كان القمع ضاريا لا يرحم وفي الحقيقة خاليا من الإنسانية لأنه فاقد للتميز فكل عربي لا يحمل الرخصة القانونية كان مقتولا بسطيف حيث أعلن القانون العرفي، وفي الريف كان الجنود السنغاليون وجنود اللفيف، ينهبون ويحرقون ،ويغتصبون النساء ويقتلون بكل حرية"[3]، وبالفعل أسفرت هذه الإجراءات القمعية والأعمال الوحشية[4] التي استمرت طيلة شهر ماي عن إبادة عشرات الآلاف من الجزائريين.

---

[1] سعيدوني، المرجع السابق، ص. 335.

[2] نفس المرجع ،ص.355.

[3] جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص335.

[4] جاء في الجريدة الرسمية الفرنسية العدد السادس والسابع يومي 11 و12 جويلية 1945 على إثر فاجعة الجزائر أنشئت المليشيا وألغيت كل الحريات وأعلنت الطوارئ والأحكام العرفية، وسلح كل الأوروبيون ... إن الانتقام كان فظيعا فقتل بعض الأوروبيون أدى إلى إعدام جماعات من المسلمين لمجرد الشك فيهم، كما يعترف الحاكم العام، بأن إحدى وأربعين قرية دكت بالطائرات، وبالوحدة البحرية فلم يبق منها ديار، أنظر: عبد الرحمن بن العقون، مرجع سابق، ص ص 337-338 .وكتبت جريدة بريد الجزائر le courrier Algérien بتاريخ 26 ماي 1945 منذ سنة 1842 والماريشال سانت أرنو حتى في أحلك أيام تاريخها فإن الجزائر لم تعرف أبدا قمعا أكثر وحشية ضد شعب أعزل، فعلى الطرقات وعبر الدروب وفي الحقول والوديان والكهوف، لا ترى سوى جثث مبتورة تلتهمها الكلاب الجائعة، جثث نتنة تحوم عليها الكواسر، وفي أماكن متعددة اطلال لقرى مدكوكة، أنظر : الزبيري محمد العربي / تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، وعلاوة على المجازر أوقفت السلطات الفرنسية 4500 شخص صدر في شأنهم 1307 حكم منها 99 بالإعدام و64 أشغال شاقة، أنظر حربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص13.

وقد اختلف المؤرخون وشهود العيان حول تقدير الخسائر البشرية، فالتقارير العسكرية الفرنسية تجعل عدد القتلى يتراوح ما بين ستة وثمانية آلاف حسب آجرون[1]، وحسب تقرير وزير الداخلية الفرنسي "تكسيه- taxier" فإن الذين شاركوا في المظاهرات حوالي 50.000 شخص أي 5% من السكان ونتج عن ذلك مقتل 88 أوربيا و150 جريحا[2]،أما من الجانب الجزائري فمن 1200 إلى 1500 قتيل و2400 معتقل، ولم يذكر الجرحى، بينما يعطي الجنرال دوفال Duval رقم 500 إلى 600 قتيل[3]، هذه التصريحات الرسمية تحاول إخفاء العدد الحقيقي للقتلى عن الرأي العام الفرنسي والدولي[4]، فيما ذهب الجانب الجزائري في تقديراته إلى القول بأن عدد الضحايا لا يقل عن 40.000 وقد يصل إلى 70.000 ولعل العدد القريب من الواقع لا يقل عن 40.000 وقد يصل إلى 45.000 مع العلم أن الرقم الأول أثبتته بعض المصادر المحايدة مثل الصحافة الأمريكية[5] والرقم الثاني تجمع عليه أغلبية الجزائريين الذين عايشوا الأحداث.

اختلفت الآراء حول تحديد وتفسير أسباب حوادث 8 ماي 1945 ودوافعها، " فبعضهم ينسبها إلى أسباب اقتصادية، وآخرون إلى أسباب سياسية، وهناك من يعللها بالدين أو بوقع الحرب وتأثيرها"،[6] فمعظم المواقف الفرنسية سواء من سياسيين أم عسكريين أو حتى مؤرخين ترجع هذه الأحداث إلى الأزمة الاقتصادية والمجاعة التي انتشرت بين الجزائريين وهذا ما نجده في

---

[1]Ageron, op, cit, p : 574

[2] سعد الله، مرجع سابق، ص. 234. تتفق هذه الأرقام مع ما ذكرته جريدة بريد الجزائر لكن آجرون وحسب تقرير وزير الداخلية ذكر 98 قتيل و154 جريح.

[3] يذكر التقرير:ناحية سطيف حوالي250 قتيل و50جريح،ناحية قالمة 150قتيل و200جريح،عدد ضحايا الطيران 200قتيل،لكن رسالة الجنرال Duval إلى الحكومة الفرنسية:"إن التدخل السريع منع قيام ثورة،وإنني منحتكم السلام لمدة عشرة سنوات"يبين هذا التصريح أن هذا السلام كان ثمنه باهظا عكس التقارير الفرنسية،أنظر:

Colonel,Adolphe,Gouta,"**Le Fanatisme**",Historia Magazine,n°196,octobre1971,site: www.piednoir.net/bone/titre_rubrique/guerre/goutard_8mai45.html:

[4] يذكر تقرير الجيش الأمريكي في جوان 1945 أن حوالي 18 طائرة حربية كانت تقوم بحوالي 300 طلعة يوميا وقصفت 44 مشتة مأهولة بمتوسط 300 ساكن لمدة 9 أيام بغض النظر عن الخسائر التي خلفها القصف المركز على السواحل خاصة في بجاية جيجل القل وسكيكدة، أوقاس وسوق الإثنين من طرف الطراد دوغاي تروان le croiseur Duguay

أنظر: Ageron, op, cit, p . 574

[5] نقصد هنا النيويورك تايمز في 1 جويلية 1945 حسب ما أورده سعد الله في هامش كتابه الحركة الوطنية ج3، ص234.

[6] سعد الله، المرجع نفسه، ص. 236

رسالة ديغول إلى الحاكم العام شاتينيو يوم 11 ماي 1945[1]، أو في تقرير الجنرال" تيبار- Tubert "ويسير مع هذا الطرح الكثير من المؤرخين الفرنسيين، وحتى تقرير الجيش الأمريكي يصنف الأحداث بأنها ثورة طعام[2].

إن تفسير الأحداث بالضائقة الاقتصادية، والجوع بعيدا عن الحقيقة التي تعرفها الحكومة الفرنسية جيدا، بحيث انه لم يقع في يوم من الأيام أن الشعب الجزائري أقام مظاهرة من أجل الخبز، بل كل مظاهراته واحتجاجاته كانت من أجل القضاء على الظلم والاضطهاد والمطالبة بالحرية[3]،وهي نفس الحقائق التي أقرها تقرير قنصل سويسرا في الجزائر[4].

وقد أطلع الكثير من الملاحظين على هذه الحقيقة فكذبوا هذا الادعاء ،وأكدوا أن المنطقة المتأثرة بالحوادث كانت من أغنى المناطق، كما لاحظوا أن المتظاهرين إذا اعتبرناهم جياعا لم يهاجموا أبدا مخازن التغذية، كما أنهم عندما قتلوا المعمرين لم يأخذوا غذاءهم، ولاحظ آخرون أن الوطنيين لم يستعملوا في شعاراتهم ولافتاتهم في المظاهرات عبارات تشير إلى المجاعة، والحالة الاقتصادية، بل كانت كلها سياسية[5]، صحيح أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي كان صعبا لكنه ليس مبررا قويا ،وأساسيا لذلك، وهو ما ذهب إليه" ألبير كامو camus Albert" في مقالاته الستة في جريدة "فرانس سوار France Soir "من 13 إلى 23 ماي 1945، فحسب رأيه أن ما وقع ليس حادثة بل أزمة شعب عربي موجود وأساس المشكلة هو اللاعدالة التي ناضل من أجلها الفرنسيون أنفسهم[6] .

وحتى في معالجتهم السياسية للأحداث فإن الفرنسيين بمختلف انتماءاتهم السياسية يتهمون حزب الشعب بأنه وراء الأحداث بالتواطؤ مع النازيين والفاشيين، بل يذهب البعض إلى اتهام

---

[1] Yves, Benot," **mai 1945**, **les événements de setif analysés par Albert camus**", site **:**www.ldh-toulon.net

[2] عبد الرحمن، بن العقون، المرجع السابق، ص. 354.

[3] وهي الخلاصة التي وصل إليها آجيرون، أن حوادث 8 ماي هي محاولة فاشلة بثورة وطنية من أجل الاستقلال أنظر: Ageron, Historie de l'Algérie Contemporaine, p. 578.

[4] **"Deux rapports du consul de suisse sur les événement de mai1945 a Sétif"**, site: **www.ldh-toulon.net/article.php3?id_article=164&var**

[5] ابن العقون، المرجع السابق، ص. 355

[6] Yves, Benot, op, cit

الأمريكان أحيانا وفكرة العروبة التي تمثلت في قيام الجامعة العربية أحيانا أخرى وركب الحزب الشيوعي الجزائري هذه الموجة متهما ومحملا أعضاء حزب الشعب مسؤولية إراقة الدماء ومدعيا أنم يعملون في ركاب النازية ويطبقون تعليمات هتلر، فقد وصف "أوزقان" في جريدة" ليبرتي Liberté "قادة حزب الشعب بالمرمين عملاء الفاشية والمغامرين الذين أسقطوا قناع المسلمين والوطنيين والمزيفين"[1].

أشاعت الأوساط الاستعمارية من أن فرحات عباس هو الذي أثر وتأثر بالحوادث من خلال اتصالاته بالأمريكيين، في تحليله لما وقع في شهر ماي يقول فرحات عباس في نداء وجهه إلى الشبيبة الجزائرية والفرنسية: " لقد كانت مغامرة سطيف وقالمة الفضيعة موجهة ضدنا وضد أحباب البيان والحرية ،ضد طموحات شعبنا الشرعية، ضد الديمقراطية الفتية في الجزائر شرع في تنفيذها بينما كان الوئام يسود العلاقات القائمة بين حركتنا وسائر التنظيمات الديمقراطية وكان الغرض هو عزلنا، وإثارة أوروبي الجزائر والشعب ذاته ضد إصلاحاتنا، وكان المقصود أيضا هو القضاء علينا وتنظيم انتخابات بدوننا، وتحضير الرجوع إلى الوراء إلى عهد الاستعمار المطلق، انا جريمة شنعاء ارتكبتها الإدارة، وبشر با كثير من المغرضين،إن من زرعوا رعبا هتليريا بشعا عليهم اليوم أن يدفعوا مقابل الجرائم التي ارتكبوها،... إن ملف الثامن من ماي لم يغلق بعد"[2].

يرجع سعد الله في تحليله حوادث ماي إلى تجمد السياسة الفرنسية وتصلبها في الإصلاح وافتقارها إلى قابلية التغير واعتمادها على مبدإ القوة، وهو المبدأ الذي استعملوه منذ الاحتلال ونجحوا فيه إلى حد بعيد لكن الجزائر القرن التاسع عشر ليست هي جزائر القرن العشرين فالذين كانوا يطالبون بالمساواة أصبحوا يطالبون بالاستقلال، ساعدهم في ذلك يأسهم من فرنسا والوعي الذي زادته الحرب تبلورا، إضافة إلى ضعف فرنسا السياسي والعسكري،و انتشار الأفكار التحررية ومبادئ الأطلسي، وبدل أن تعي فرنسا هذا الوضع الجديد، راح حكامها يلوحون بالتهديد، والقوة ومعمرورها يهزؤون بالعرب الجزائريين كما لو كانوا في بداية 1830 بدل مواجهة الحقيقة، وهو أن الحركة الوطنية قد أصبحت قوة متحدية، وكان على فرنسا في هذه

---

[1] Ageron, op, Cit, p. 575

[2] بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية، ص ص. 108-109

الحالة إما أن تتنازل لها، وإما أن تواجهها بالعنف والإرهاب، وكان أن اختارت فرنسا الحل الثاني[1].

والمهم أن أحداث ماي 1945 لم تأت عفوا، ولم تكن حادثة تسبب فيها بعض الأشخاص أو المنظمات ،بل هي تسلسل تاريخي فرضته الأحداث المتتالية[2] ،وحتمته الظروف القاسية المعيشة "لقد كان بين الجزائريين وبين الاستعمار مسابقة ضد الساعة فعما أن يأخذ الاستعماريون دفة الحكم بيد من حديد ويعيدون الحالة في الجزائر إلى ما كانت عليه قبل الحرب وإما أن يتقدم الجزائريون إلى كسر شوكة الاستعمار ،وفرض وجودهم كأمة تسعى لتحرير نفسها"[3]، وحتى ولو لم يشارك الجزائريون في هذه المظاهرات لدبرت فرنسا مجازر أخرى ربما تكون أكثر وحشية وتاريخها الاستعماري مليء بذلك.

تلقى فرحات عباس خيبة شخصية، فقد أعتقل صبيحة الثلاثاء 8 ماي بمقر الولاية العامة رفقة الدكتور سعدان، بينما كانا يتأهبان لتقدĆ التهاني بانتصار الحلفاء للحاكم العام[4]، ولم يعلم فرحات عباس بما حدث إلا بعد أسبوعين بعد نقله إلى قسنطينة، حيث أبلغه قاضي التحقيق العسكري التهم الثلاث وهي: المساس بالسيادة الفرنسية، وبالسيادة الداخلية للدولة فضلا عن المساس بالسيادة الخارجية للدولة[5] ،وتعالت أصوات الأوربيين مطالبة بإعدامه بلا محاكمة بصفته المسؤول الأول عن الأحداث باستثناء" ألبير كاميو Albert Camus" الذي كتب مقالا جاء فيه : "إن الرجل الذي كتب لن يموت إفريقي واحد من أجل هتلر، يملك وعيا سياسيا حذرا ،ولا يمكن أن يوافق على مثل هذه التجاوزات"[6] .

---

[1] سعد الله، المرجع السايق، ص. 239

[2] لمعرفة بعض جوانب هذه الأحداث من خلال التقارير الفرنسيةÛ ﻷنر: ĘǵŶţl :Ţ رقم:5،6،7،8

[3] قنانش، مرجع سابق، ص.190

[4] عباس، المرجع السابق، ص.190

[5] المرجع نفسه، ص.191. مع العلم أنه وجد قبل اعتقاله مشروع رسالة من إلى الحاكم العام باسم أحباب البيان والحرية وجميع المناضلين مثقفون، علماء، مصاليون ... إن الحركة شاركت في انتصار الحلفاء وتعبر عن رغبتها في تحقيق الحريات الإنسانية،... لذلك نتما أن يتم الوفاق مع الشعب الفرنسي وفرنسا الجديدة والأمم الديمقراطية من أجل القضاء على العنصرية، تحيا الجزائر، تحيا فرنسا، تحيا الأمم المتحدة أنظر : Claude, Collot- jean Henry, op, cit, p. 207

[6] Yves, Benot, op,cit

بقي فرحات عباس بالسجن حتى أطلق سراحه بعد صدور قانون العفو العام في 16 مارس 1946، وتفكيره مختلف تماما حيث جعلته تجربة الحرب يراجع الكثير من قناعاته ويعيد النظر في مبادئه، وأفكاره السياسية، واستخلاص الكثير من العبر.

نتناول في هذا الفصل التطور السياسي لفرحات عباس من خلال حزبه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ،والتصور الجديد لعلاقته مع الإدارة الاستعمارية من خلال دستور 1947 والمشاركات الانتخابية المختلفة ،وتجربة الوحدة مع مختلف تيارات الحركة الوطنية ،ثم موقفه من الثورة والتحاقه بها فيما بعد.

كانت تجربة الثامن ماي قاسية علي فرحات عباس[1] ،وصدمته في فرنسا ،ولذلك يعتبرها صفحة سوداء في تاريخ الجزائر فيها الكثير من الآلام وكثير من الدم ،لكن رغم خيبة الأمل هذه إلا أنه بقي يأمل بحل سلمي للمشكلة الجزائرية ،وتجسد ذلك في نداؤه للشباب الجزائري في ماي1946،والذي يعني العودة إلى الاعتدال والعمل في ظل الشرعية الاستعمارية ،تحت شعار "لاتجنس،ولاسيد جديد،ولاإنفصالية".

ولذلك أنشأ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي حافظ علي المطالب الكلاسيكية،التي لا تتعدي المطالبة بجمهورية مستقلة متحدة مع فرنسا،وهو ما نلمسه في مشروع دستور الجمهورية الجزائرية الذي قدمه الحزب سنة 1946،وبذلك فضل فرحات عباس عدم القطيعة مع الاستعمار وإنما الثورة عن طريق القانون التي تبقي العلاقات المميزة مع فرنسا ،لكن إلي أي مدي سيحافظ فرحات عباس عن قناعاته بعد تكريس دستور 1947 لعلاقات الهيمنة،والإبقاء علي النظام الاستعماري من خلال عمليات التزييف الانتخابي للإدارة الفرنسية؟ وبعد الإخفاقات السياسية وفشل محاولات الوحدة بين مختلف التيارات الوطنية.

كما نتعرض إلى اندلاع الثورة التحريرية ،وموقف فرحات عباس،وتطور هذا الموقف وصولا إلى انضمامه إلى الثورة ،فهل كان التحاقه بالثورة انتهازية سياسية؟أم أنه اليأس من تسوية المسألة الاستعمارية بالطرق السلمية ،وفي إمكانية التعايش مع الاستعمار؟وهذا يدفعنا إلى تساؤل آخر هل أن اشتعال الثورة كان يعني حتما الاستقلال ؟

---

[1] أنظر: **الملحق رقم 10**

المبحث الأول: تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946.

كان لأحداث ماي تأثير كبير على فرحات عباس بعد اعتقاله، واتام حركته بأنا المديرة للأحداث، وهذا ما دعاه وهو بالسجن لكتابة وصيته السياسية[1] كتعبير عن استقالته من العمل السياسي بعد قرابة ربع قرن من النضال، والهدف منها تبرئة ذمته ،وحركة أحباب البيان والحرية من تمة ما جرى في ماي 1945، والوصية عبارة عن تأملات في السياسة والأخلاق.

ومن النقاط التي تضمنتها وصيته:" ضرورة نبذ العنف لأنه حسب رأيه جريمة ضد الشعب، وقد أثبت فشله، وهو طريق للانتحار أكثر منه شيئا آخر، ويوصي الفلاحين بأن يرفضوا من يدعوهم إلى السير في هذا الطريق وإلى نبذ التعصب الديني ،والروح القبلية الضيقة، وضرورة التعايش بين كل الأديان ،والأعراف في ظل الجمهورية القائمة على الحرية والديمقراطية"[2]، توقف فرحات عباس كثيرا عند مأساة الفلاحين ويرى في وضعيتهم المتردية المشكل الرئيسي الذي تعاني منه البلاد، ويعتبر أن مقياس النجاح ،أو الفشل بالنسبة لأي نظام حاكم هو في مدى العناية بالفلاحين والاهتمام بشؤونم [3].

ظهر فرحات عباس في هذه الوصية كرجل سياسي محنك، وفيا لمبادئه ومرجعياته الثقافية والفكرية التي تنبذ العنف وتؤمن بتحكيم العقل ،والقدرات الفكرية، ولم يحد إطلاقا عن سياسته المطالبة بالحكم الذاتي في إطار الحضور الفرنسي ،أو سياسته لا انفصال ،ولا اندماج وإنما حضور لفرنسا ووعي بالشخصية الجزائرية.

---

[1] عبارة عن مخطوط بعنوان " mon testament politique "، عثر عليه سنة 1994 من قبل المؤرخ شارل روبير اجيرون في أرشيف الجيش البري لفرنسي ونشرها في المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار، t81-shat 2590/9، ونشر منها الجنرال ماسـو-Massu أجزاء في كتابه الصادر سنة 1972 بعنوان " معركة الجزائر الحقيقية " حصل عليها من مدير السجن العسكري بالعاصمة وعـثر عليها مؤخرا الأستاذ عبد الحميد زوزو ضمن الأرشيف الخاص بالثورة الجزائرية ونشرها في مجلة الثقافة، العدد 107-108، مارس –أفريل 1995، أنظر: **الملحق رقم 9** ،ومقال:

عبد الحميد،زوزو، **الجديد في معركة الأرشيف ماي 1945**، **مجلة الثقافة**، عدد 107-108، 1995، ص.16.

[2] المرجع نفسه سابق، ص.18.

[3]- عبد القادر،حميد،، مرجع سابق، ص. 102

في إطار العفو الشامل الذي قررته الإدارة الاستعمارية Ź الإفراج عن فرحات عباس يوم 16 مارس 1946، وقد كانت الفترة التي قضاها بالسجن كافية ليعد النظر في تجربة أحباب البيان والحرية، فإلى أي مدى أثرت هذه التجربة على أفكاره ومواقفه السياسية ؟

خرج فرحات عباس بقناعات جديدة، وهناك من يرى أنه عاد إلى الوراء في طروحاته بعد أن قفز بعيدا من خلال مطالب البيان، وحسب محفوû قداش فإن الأحداث والسجن دفعت بفرحات عباس إلى التوقف عند سياسة الممكن، فدعا إلى المصالحة والتعايش حين تأكد من استحالة الاتحاد ،والعمل المشترك مع حزب الشعب[1]، كما رسّخ قناعته بضرورة بعث الجمهورية الجزائرية المستقلة داخليا في إطار الاتحاد الفرنسي.

وعلى عكس ما جاء في الوصية السياسية ،لم يعتزل فرحات عباس السياسة، وبرر ذلك في ليل الاستعمار قائلا:" رأينا أنه من واجبنا نظرا لنوايا أعدائنا، أن نبقى في الكفاح وأن نستأنف العمل حيث تركناه "[2]û عاد فرحات عباس يحمل مشروعا جديدا يتمحور حول تعايش الأغلبية مع الأقليتين الأوروبية واليهودية، في ظل جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا وتتمتع في هذا الإطار باستقلال ذاتي واسع، هذا المشروع طرحه في نداء إلى الشبيبة في أول ماي 1946، في شكل منشور دعائي حمل عنوان :" التصدي للجريمة الاستعمارية ولتعسّف الإدارة "[3].

تحدث فرحات عباس في هذا النداء عن براءته مما وقع في شهر ماي 1945، وقدم لمحة عن حياته السياسية التي يقول حولها إنه خصّصها لتجسيد روح التعاون الفرنسي الإسلامي ثم يؤكد عدم تمييزه بين المسلمين واليهود والمسيحيين، لأن عقيدته السياسية كانت تأمره بذلك وأنه استطاع بصدقه في العمل وإخلاصه للمبادئ والمثل العليا، أن يحقق الكثير في مجال تقريب وجهات النظر وتوحيد معظم ذوي الإرادة الخيرة في البلاد، لكنه استنكر سياسة الإدارة الاستعمارية بتآمرها مع الرجعية والإمبريالية التي حالت دون تواصل هذا المسعى متخذة من حوادث ماي 1945 وسيلة لتوسيع الهوة بين الـموعتين الإسلامية والفرنسية وذريعة للقضاء على أحباب البيان، فإن روح البيان يقول عباس لم تمت، وبفضلها اتضحت الرؤيا وأصبحنا قادرين على التمييز بين ما كنا عليه

---

[1] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص. 106

[2] عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص.194.

[3] أنظر نÖ هذا النداء في بوعزيز، الاتجاه اليميني، ص ص. 104-111 وأيضا: collot, op ,cit , pp. 219-223

وما يجب أن نرقى إليه وصولا إلى الوطن الجزائري الذي تتوفر فيه شروط المساواة والحرية للجميع.[1]

كما ذكر فرحات عباس بالمسؤوليات الجديدة الملقاة على كاهل الجزائريين لا سيما منهم الشباب فقال: " كانت غايتنا إبراز شعب فتي حتى يتكون تكوينا سياسيا ديموقراطيا واجتماعيا، يتجهز في الميدان الصناعي، والعلمي ودائب في تجديد ثقافته وأخلاقه، مشتركا مع دولة قوية وحرة، غايتنا هي إنشاء دولة فتية تقود خطاها الديموقراطية الفرنسية".[2]

والوصول إلى الوطن الجزائري يستلزم سياسة ترتكز على برنامج جعل في مقدمته: لا للاندماج، لا لسادة جدد، لا للانفصال، وعلى الرغم من أن هذه اللاءات لا تتضمن الروح الثورية اللازمة لاسترجاع الاستقلال الوطني إلا أن تبني فرحات عباس لها في ذلك الوقت كان تحولا كبيرا، كما أن تبنيه لهذا الشعار كان المقصود منه مراعاة الرأي العام الفرنسي من جهة،ومناهضة فكرة الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتقويض الاستعمار من جهة أخرى، لأيمانه" بالتغير عن طريق العمل السلمي في نطاق الانضباط والشرعية الجمهورية أو الثورة بالقانون"[3].

يعتقد فرحات عباس أن الحلول الصحيحة، لا ترتكز على القوة، ولا على الخضوع الديني والتملق لذلك فإن الهدف هو تحرير الجزائر من نظام السيطرة الاستعمارية، مع احترام مبدأ القوميات ،وأن الواجب يملي بناء البلاد على أسس صحيحة ،وتاريخية حتى ندمجها في الديموقراطية العالمية الحرة[4].

تضمن المشروع الذي جاء به فرحات عباس مجموعة من المحاور يرى أنا ضرورية لتشييد الجزائر على أسس واقعية وتاريخية أهمها:

- المساواة المطلقة ويكون ذلك بواسطة القضاء على الاختلافات العرقية ،وعلى الأحقاد وعلى واقع التحقير الذي كان مسلطا على الجزائريين.

---

[1] Collot,op,cit,p .221

[2] عباس، المرجع السابق، ص. 195

[3] جولبان، مرجع سابق، ص. 341

[4] عباس، مرجع سابق، ص.196.

- التربية التي تستهدف الإنسان من أجل تكوين مواطن حر يكون متشبعا بالواجب الاجتماعي ومدركا لمهمته الحضارية، وفي هذا المجال يكون التركيز على تعميم الفكرة القائلة: " أن أبناء الوطن الواحد لا يكونون بالضرورة على دين واحد"[1].

- العلم والتكنولوجيا اللذان لا يمكن بدونهما أن ترقى الجزائر إلى مصاف الأمم المتقدمة لذلك فإن أبوابهما يجب أن تفتح واسعة لجميع أبناء الجزائريين بدون أي تميز عرقي أوديني كما ينبغي أن يعاد الاعتبار للغة العربية كلغة وطنية ورسمية.

نستخلص من هذا المشروع فكرة رئيسية هي أن الوطنية الدينية تجاوزها الزمن بقوله: " إن مبدأ نظم الحكم العتيقة قد زال عهدها وفات أوانها، لم يبق اليوم المسلمون في حاجة إلى مريدي الطرق وأرباب الزوايا "[2]، وبناء على ذلك ينبغي أن يكون الجزائري المسيحي ،واليهودي أخا للجزائري المسلم، الذي يتعين عليه بدوره ألا يحاول إقصاء الآخر من الأمة، هذا الآخر الذي لا ينبغي أن يعتقد أنه مضطر لإدماج أخيه المسلم أو استعباده"[3].

كان فرحات عباس قبل نشره النداء وتوزيعه قد تمكن من أن يجمع حوله مجموعة من الإطارات المؤمنة بأفكاره، واتفق معهم على بعث حزب جديد سماه " الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري UDMA"[4]، وقدّم قانونه الأساسي في النصف الثاني من شهر أفريل قصد الاعتماد وهو امتداد لأحباب البيان، والحرية فيما يتعلق بالبرنامج والعمل ويختلف عنه في التنظيم، وبدت أهداف الحزب الجديد في تسميته، فقد نادى بالإتحاد مع فرنسا في إطار فيدرالي تسوده الديموقراطية، ويقوم على أساس أفكار البيان الجزائري.

استثمر فرحات عباس رصيد حركة أحباب البيان والحرية، كما استفاد من تجربته النضالية الخاصة ،وتجربته مع العلماء والمصاليين، واقتنع بأن فكرة دمج الشعب الجزائري في الشعب الفرنسي أصبحت وهما يستحيل تحقيقه لأنه لم يأخذ في الاعتبار واقع المتمعين ولأن الكولون

---

[1] Collot , op, cit , p .222

[2] عباس، نفس المرجع السابق،ص.196

[3] نفس المرجع والصفحة

[4] Union démocratique du manifeste algérien: وأهم مؤسسيه هم محرري البيان منهم د. سعدان، فرانسيس، بن خليل بومنجل، ساطور، المعلم قادة زادي والصحفي كسوس، أنظر :

Achour, cheurifi : **la classe politique algérienne de 1900 a nos jours** : dictionnaire biographique , alger .ed, casbah, 2001,pp.242-243 .

يرفضونا دفاعا عن مصالحهم، كما يرفضها ويحاربا الجزائريون لأنا تتناخ مع مقوماتم، من كل هذا خرج ببرنامج لحزبه الجديد يقوم على المحاور الأساسية التالية[1] :

- تحرير الجزائر من النظام القدC للسيطرة الاستعمارية، مع احترام مبدإ الجنسيات.

- إقامة جمهورية جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا ومتوحدة مع الجمهورية الفرنسية والمناهضة للاستعمار والإمبريالية.

- الدولة الجزائرية يجب أن تكون متعددة ا لموعات ففرحات عباس لا يرى لزاما على جميع أبناء الوطن الواحد أن يكونوا على دين واحد.

- التعليم الإجباري وا لاني لجميع أطفال الجزائر، والنضال من أجل ترقية اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية، ولأنا بالنسبة لRسلام مثل الكنيسة بالنسبة للمسحية، فالمسجد يقول فرحات عباس لا يعني كل شيء عندنا ولكن تلاوة القرآن هي كل شيء وOليÒ الإسلام من الواقع الذي آل إليه بفعل اعتداءات الإدارة الاستعمارية عليه.

- إلغاء الملكية الإقطاعية، والتركيز على إصلاح زراعي واسع لفائدة الخماسين المعدمين من سكان الريف وهي فكرة مقتبسة من البرنامج نجم شمال إفريقيا.

- الجمهورية الجزائرية علمانية، ففرحات عباس يرفض أي طرح ديني لمسألة المواطنة ويعارض قيام دولة ذات طابع اسلامى ويدعو إلى دولةجزائرية بحقوق مدنية متساوية للجميع دون أي تميز في الدين والعرق.

- نبذ العنف كوسيلة لتقويض الاستعمار، والاكتفاء فقط بالنضال السياسي في إطار ما يسمح به القانون الفرنسي[2]

مباشرة بعد الاعتماد قرر الحزب المشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية التي تحدد إجراؤها يوم : 1946/06/02 لتعيين ا لس التأسيسي الثاني الذي خصÒ فيه للجزائريين ثلاثة عشر

[1] فرحات، عباس، ليل الاستعمار، ص.197

[2] أنظر ايديولوجية الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري في التقرير الذي قدمه فرحات عباس إلى المؤتمر الوطني الأول للحزب الذي انعقد في سطيف أيام 25-26-27 ديسمبر 1948 يتكون من 32 صفحة بعنوان :

Regards sur le présent et l'avenir de le l'Algérie , édition libération , Alger.1948

مقعدا وقد لقي هذا القرار معارضة شديدة من أعضاء حزب الشعب، الذين اعتبروا مطالب الإتحاد الديموقراطي تراجعا وتخاذلا عن القضية الوطنية، وعن برنامج أحباب البيان ورفعوا شعار " من انتخب كفر، الانتخابات تعني الخيانة الوطنية "[1]، رغم أن حركة الانتصار للحريات الديموقراطية (حزب الشعب سابقا) قد انتهجت أيضا في هذه الفترة سياسة إصلاحية لا تمت بصلة لمبادئ نجم شمال إفريقيا في العشرينيات وحزب الشعب في الثلاثينيات، وكان تأثير حزب الشعب واضحا حيث امتنع عن التصويت حوالي نصف عدد الناخبين، وفاز الإتحاد الديموقراطي بأغلبية الأصوات المعبر عنها، إذ نال أحد عشر مقعدا من جملة ثلاثة عشر[2] بما فيها أصوات مناضلين من حزب الشعب، وكان انتصار حزب فرحات عباس هزيمة لأنصار الإدماج الذين تجاوزهم الزمن، ولولا عملية التزوير الواسعة التي أقدمت عليها الإدارة الاستعمارية لكان انتصار الإتحاد الديمقراطي أكبر[3]

تجسيدا للواقع الجديد تقدم منتخبو الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري في9 أوت 1946 إلى مكتب المجلس التأسيسي بمشروع دستور " الجمهورية الجزائرية " أي قبل إقرار دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة في أكتوبر من السنة نفسها، ويعلق فرحات عباس هذه المبادرة بقوله " كنا نريد أن نسبق بالتأسيس إلى نوع من الكومنولث الفرنسي"[4].

وتضمن المشروع الجديد[5] :

- المادة الأولى: تنص على أن فرنسا تعترف بالجمهورية الجزائرية وسيادتنا وحكومتها وألوانا الوطنية.
- المادة الثانية: تصبح الجمهورية الجزائرية عضوا في الإتحاد الفرنسي كدولة شريكة، وتكون العلاقات الخارجية ،والدفاع الوطني مشتركة تشرف عليها سلطات الإتحاد، وتشارك الجزائر في ممارسة تلك السلطات.

---

[1] عبد القادر، حميد، المرجع السابق ،ص.108

[2] وذلك بعدد 946.458 صوت من بين 349.633 مصرح بها، أي ما يقارب 71% وتحصل الاشتراكيون على مقعدين والخاسر الأكبر كان الحزب الشيوعي، إذ نزل عدد الأصوات لفائدته من 357.135 صوت في الإنتخابات السابقة إلى 53.396 أنظر: جوليان، المرجع السابق،ص .342

[3] Kaddache , op ,cit , p.750

[4] عباس، المرجع السابق، ص .200

[5] المرجع نفسه، ص ص.200-201

- المادة الثالثة: تتمتع الجمهورية الجزائرية بالسيادة المطلقة عبر كامل التراب الوطني، وتشرف على جميع المرافق الداخلية ،وحتى على الشرطة، وأن هذه السيادة يمارسها النواب الذين تنتخبهم الأمة الجزائرية بواسطة الاقتراع العام ،والذين يشكلون البرلمان الجزائري.
- المادة الرابعة: يتمتع كل فرنسيو الجزائر بالجنسية الجزائرية فانهم يتمتعون بجميع الحقوق المخولة للمواطن الجزائرى، وحتى حق التصويت ،وتقلد الوظائف العمومية
- المادة الخامسة:يتمتع الجزائري في فرنسا بالجنسية الفرنسية،وعليه يتمتع في التراب الفرنسي بجميع الحقوق المخولة للمواطنين الفرنسيين ،وحتى حق التصويت وتقلد الوظائف العمومية
- المادة السادسة: يمكن لهذين المقتضيين أن تمتد إلى جميع أعضاء الإتحاد الفرنسي بعد المصادقة عليهما.
- المادة السابعة: اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية والعربية، ويكون التعليم باللغتين وإجباريا للجنسين

اعتبر فرحات عباس أن مشروع الجمهورية يهدف في النهاية إلى إقامة شراكة مع فرنسا كمرحلة أولى، يتبعها فيما بعد الاستقلال التام للجمهورية الجزائرية[1]، لقد كان مجرد تقديم مثل هذه الوثيقة إلى مكتب المجلس التأسيسي الفرنسي يعتبر انتصارا للحزب الذي استمات ممثلوه في الدفاع عن مشروعهم، ولكن نواب الإتحاد الديموقراطي وجدوا رغم الضمانات التي قدمها فرحات عباس للرأي العام الفرنسي جوابا معاديا في المجلس، وأدلوا بتصريحات شجاعة ترفض اعتبارهم فرنسيين وأنكروا الوجود الفرنسي[2]، وفي النهاية لم يأخذ المجلس الدستوري مقترحات نواب الإتحاد الديموقراطي مأخذ الجد، ولم يجهد نفسه لمناقشة القانون الأساسي للجزائر .

أصيب فرحات عباس بخيبة أمل بعد المصادقة على دستور الجمهورية الرابعة في أكتوبر 1946، الذي نص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، مع المساواة بين المسلمين والأوروبيين، وأن الأحوال الشخصية ،لن تكون أبدا السبب في حرمان أي مواطن من الحقوق والحريات التي تتعلق بالجنسية الفرنسية، وزيادة على هذا فإن الدستور الجديد أبقى على مبدإ القسمين في الانتخابات الدرجة الأولى والدرجة الثانية، والتساوي في النيابة وقدوصفه فرحات عباس بالعتيق

---

1 Mahsas, op ,cit , p.222

2 صاري ،قداش، المقاومة السياسية، ص.86

لأنه يمثل ثمانية ملايين مسلم مثله 800 ألف لأوروبي ويساويهما في التمثيل النيابي، كما أنه لا يتضمن ولو إشارة للشخصية الجزائرية ولحقوق المسلمين ،وهو شبيه بمشاريع ما قبل الحرب[1].

وإذا كان هذا الدستور يزعم أنه وضع حدا للسيطرة الاستعمارية بمنح الجنسية الفرنسية لجميع سكان مستعمراتها السابقة، لكنه في الوقت نفسه يعطي صبغة شرعية للاستعمار، وفي الحقيقة بقى الدستور متمسكا بمبادئ الاستعمار الأصلية أخذ بيد ما أعطاه باليد الأخرى ،وذلك بفضل مراوغات قانونية ماكرة، كيف لا والبند 82 من الدستور يوضح وضعية الجزائر في: " أن المواطنين الذين لا يجري عليهم القانون الفرنسي في الأحوال الشخصية يحافظون على أحوالهم الشخصية ما داموا لم يعدلوا عنها، لذلك فإن قانون الأحوال الشخصية لن يكون أبدا سببا في حرمان أي مواطن من الحقوق ،والحريات المتعلقة بالجنسية الفرنسية ولاتمس بها قط "[2] لكنه خرق هذه الحقوق في الإبقاء على قسمي المجالس الانتخابية، والمساواة،لتمثيلية ما بين المسلمين والأوروبيين .

حاول فرحات عباس إقناع الرأي العام الفرنسي بسلامة توجهه معتمدا على مهارته السياسية والثقافية والإيمان الراسخ بالقضية العادلة، لكن الصراع داخل المجلس التأسيسي كان صعبا بسبب نفوذ الكولون الذين تمكنوا بفضل إمكانياتهم المادية من تعبئة جميع الأوساط السياسية كي تغلق جميع الأبواب في وجه نواب الإتحاد الديموقراطي.

والمطلع على فحوى المداولات يدرك حجم المعاناة التي يلقاها نواب الإتحاد الديموقراطي للتعبير عن آرائهم، ففي جلسة 22 أوت 1946 عندما حاول " الدكتور سعدان " الحديث عن الوطنية في الجزائر، وعن القوانين والحقوق، منع من ذلك بواسطة المقاطعات ووسائل الإزعاج المختلفة عندما صرح قائلا:" إذا لم تعطينا فرنسا الحقوق الواجب إعطاؤها لنا فإننا سنذهب، لأننا لا نريد أن نكون سوى رجال أحرار"، وتدخل فرحات عباس قائلا: "لقد انتظرنا هذه الفرصة 116 سنة لكن نكون هنا لإسماع صوتنا، وطوال هذه المدة الجزائر فرنسية، فالرجاء كونوا كرماء فمن المحتمل أننا لا نملك الكيفية، لكن لوحدث هذا منذ 116 سنة خلت، كنا تحصلنا عليها"[3].

---

[1] عباس، مرجع سابق، ص.209.

[2] المرجع نفسه، ص.209.

[3] عبد القادر، حميد، مرجع سابق، ص.111.

ودعا إلى رفع مستوى النقاش ،وإلى التعايش ،والاحترام المتبادل، ورغم ذلك فشل في إقناع النواب الفرنسيين بمناقشة موضوع القانون الجديد للجزائر، حيث اعتبروا كل ما جاء في مداخلات النواب المسلمين مجرد هراء، وفي الأخير وجد نواب الإتحاد الديموقراطي أنفسهم أمام ضرورة التصويت على جدول الأعمال الذي يضع الثقة في الحكومة التي ستقدم في أقرب الآجال مشروع قانون ينظم النظام الأساسي الخاص بالجزائر .

لم يفقد الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ثقته بل بقي وفيا في مؤتمره المنعقد بشهر أكتوبر 1946 لبرنامج البيان، واغتنم فرحات عباس الفرصة ليجعل المؤتمرين يصادقون على نشرة يدعون فيها إلى الإتحاد مع حزب الشعب الجزائري ،وأخرى يرحبون فيها بعودة الزعيم إلى أرض الوطن[1] ويطالبون بتمكين حزبه من العودة إلى الحياة العلنية في إطار النضال الشرعي .

كان من الممكن في مثل هذه الظروف أن تتقارب وجهات النظر، ويفتح باب التعاون من جديد بين الجناحين الرئيسيين للحركة الوطنية فلماذا لم يحدث ذلك ؟ .

إذا كان الاختلاف الإيديولوجي سببا مقبولا في المراحل السابقة فإنه في هذه الفترة بالذات لم يكن مطروحا إلى درجة الخلاف، على أساس أن كلا الطرفين قد قبلا المشاركة في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي، ومعلوم أن مجرد المشاركة في تلك الانتخابات يعتبر اعترافا بالسيادة الفرنسية، والأرجح أن الاستقبالات الشعبية التي لاقاها مصالي الحاج بعد خروجه من السجن ،وفي زياراته للكثير من المدن الجزائرية جعلته يعتقد أن حزبه هو الأقوى وأنه ليس في حاجة إلى الإتحاد مع أيه قوة سياسية لأخرى[2].

كما اعتقد فرحات عباس بعد تجربة ماي 1945، أن الابتعاد عن حزب الشعب ومصالي الحاج سيساعده على الفوز بثقة الإدارة الاستعمارية، وتفهم الحكومة الفرنسية ومن ثم تحقيق أهدافه في منح الجزائر استقلال ذاتيا في إطار الإتحاد الفرنسي، وكان ذلك الاعتقاد غير صحيح.

وذهب فرحات عباس بعيدا في مواقفه عندما اعتبر إطلاق سراح مصالي الحاج والاعتراف بحركة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بفرنسا، مؤامرة لإضعاف حزبه بعد النجاح والانتشار

[1] غادر مصالي الحاج السجن يوم 11 أوت 1946 فسافر إلى باريس كخطوة أولى ثم جاء إلى الجزائر في 13 أكتوبر واستقر ببوزريعة وأصبحت له شعبية كبيرة بين الجزائريين كزعيم وطني.

[2] Abbas , autopsie d'une guerre , op,cit ,pp.137-138

الذي حققه ويروي ذلك في كتابه " تشريح حرب " بقوله: " عندما طلب رئيس المجلس الفرنسي " جورج بيدو- georges bidault" من الحاكم العام "شاتينوchatigneau- " أن يقطع الطريق أمامي، وعدم العودة إلى المجلس الوطني أجابه هذا الأخير : هناك شخص واحد بإمكانه هزمه إنه مصالي الحاج "[1].

قرر الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري الامتناع عن المشاركة في انتخابات المجلس الوطني الفرنسي ليس لسبب إيديولوجي ،ولكن كما ذكر فرحات عباس إلى عاملين:

1. أن مصالي الحاج زعيم حزب الشعب طلب منه الانسحاب من المنافسة تجنبا لتقسيم القوى الوطنية، والصراع بين قوتين سياستين هدفهما الأساسي هو تحرير الشعب الجزائري بعد أن أبدى مصالي الحاج رغبته في خوض هذه التجربة دون الاشتراك مع أي حزب سياسي آخر، وكان قد تلقى غداة عودته من منفاه ضمانات من وزارة الداخلية والولاية العامة باعتماد القوائم الانتخابية لحزبه .

2. أنه تلقى من الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة رسالة طلب إليه فيها مساندة حزب الشعب لأن فرنسا بناء على تجربته الشخصية لا يمكن أن تستجيب لأي من مطالبه[2]، وبناء على ذلك قرر فرحات عباس ورفقائه أن يتركوا حزب الشعب يخوض بدوره تجربته البرلمانية وهذا الموقف يحسب لصالح فرحات عباس الذي أفشل من جهة مناورات الإدارة الفرنسية ومن جهة أخرى أثبت ترفعه عن الزعامة على حساب المصالح الوطنية .

في 10نوفمبر 1946 أسس مصالي الحاج حزبا جديدا ليحل محل حزب الشعب المحظور وأخذ تسمية "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD "، [3] ودخل الانتخابات البرلمانية متيقنا أنه يمثل معظم الشعب ،وأن الجماهير الشعبية تجمع على انتخاب مرشحيه لكن إدارة الاحتلال استخدمت كل الأساليب لإفشاله، فقد رفضت ترشيح مصالي الحاج بأمر من الوالي العام، ورفضت قبول

[1] بينما يرى أحمد مهساس أن المطالب المعتدلة التي قدمها الإصلاحيين من الاتحاد الديموقراطي والحزب الشيوعي هي سبب فشل أي تكتل وطني. أنظر: Mahsas , op,cit, p.230

[2] عباس،المرجع السابق،ص.210

[3] mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques

لائحتين من مجموع Rس لوائح، وهي لائحة عمالة وهران ولائحة دائرة سطيف بعد انقضاء آجال التسجيلات[1]، وأعطت النتائج Rسة نواب لحركة الانتصار[2]، وبقية المقاعد لمرشحي الإدارة ومرشحين عند الشيوعيين.

وفي البرلمان الفرنسي جدد نواب حركة الانتصار تصريحات نواب الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري بأقل منهم مهارة وأكثر عنفا ووضوحا، فقد أنكروا حق النواب الفرنسيين في أن يقرروا مصير الجزائر معتبرين أنه من حق الشعب الجزائري وحده أن يناقش ويحدد مستقبله.[3]

وبعد انتخابات الـلس الوطني ،وما ơللها من عمليات التزييف، وخلافا للقوانين ابتكرت الإدارة الاستعمارية أسلوبا جديدا في التعامل مع الحركة الوطنية، حيث ألغى وزير الداخلية انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية بواسطة الاقتراع العام، وإنما من طرف المستشارين البلديين في البلديات كاملة الصلاحيات، ورؤساء الجماعات في البلديات المختلطة الذين كانوا قد انتخبوا في شهري جويلية وأوت 1946، حيث كانت الأحزاب الوطنية محظورة، رغم ذلك تحصل الإتحاد الديمقراطي على 4 مقاعد[4] من مجموع سبعة وخرج من المعركة كأنشط حزب وأحسنه تنظيما وأكثره شعبية في الجزائر[5].

---

[1] صاري، قداش، مرجع سابق، ص .210

[2] ثلاثة في عمالة قسنطينة وهم الامين دباغين، دردور جمال، وبوقادوم مسعود، وفي عمالة الجزائر أحمد مزغنة، محمد خيضر أنظر: عباس، المرجع السابق، ص90.

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.90

[4] فاز بتلك المقاعد كل من السادة : الأستاذ مصطفاوي ، والدكتور ابن خليل، الدكتور سعدان، الأستاذ محداد، وأحرز الحزب على 385 صوتا من مجموع 750 صوتا، أنظر : عباس، المرجع السابق، ص.212

[5] جوليان، المرجع السابق، ص.346

المبحث الثاني : النشاط السياسي لفرحات عباس (1947 - 1954) :

1. موقف فرحات عباس من دستور 1947 :

حدد فرحات عباس بعد الحرب العالمية الثانية مشروع الدولة الجزائرية التي يسعى إلى الوصول إليها في مشروع الدستور الذي قدمه سنة 1946 في:" ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديموقراطية اجتماعية قائمة على إتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسياتم ودياناتم أو على أساس إعطاء كل ذي حق حقه من السيادة، جمهورية جزائرية ذات استقلال ذاتي إتحادي ضمن جمهورية فرنسية متجددة، مضادة للاستعمار، على أن يكون الوجود الفرنسي الغاية منه تذيب الشعوب المختلطة ،وإعدادها لأخذ مقاليد الحكم إلى أن يجيء اليوم الذي تستطيع فيه هذه الشعوب حكم نفسها بنفسها، وتصريف شؤونا على أساس الحرية والديمقراطية، ولا يمكن أن يظل اليوم بعيدا بصفة غير متناهية"[1]، ويظهر تأثير النموذج الفرنسي بجلاء، فهو تقريبا صورة طبق الأصل للدستور الفرنسي لعام 1946 .

كما حدد فرحات عباس وسائل تحقيق ذلك متبنيا النهج السلمي في النضال ومراعيا المراحل والتطور التدرجي ومستبعدا القطيعة العنيفة بأكثر ما يمكن، أو كما سماها تحقيق الثورة عن طريق القانون، وكلمة الثورة هنا تعني التطور[2] والوسيلة الأساسية هي العمل الانتخابي، بمعا مراعاة القواعد الشرعية لشكل النضال السياسي، فإلى أي مدى كان الأسلوب ناجعا في إقناع الفرنسيين والجزائريين على حد سواء ؟ وما هو مصيره ؟ ..

يشكل التمثيل النيابي في نظر فرحات عباس نهاية للعزلة السياسية، باعتبار أنه سيساهم في نقل انشغالات ومطالب الجزائريين المسلمين للسلطة الفرنسية في جو ديمقراطي فاستغل لذلك كل مواهبه الخطابية وحنكته السياسية للقبول بمطلب الجمهورية الجزائرية المرتبطة فيدراليا مع فرنسا وأوضح اعتداله في قوله " نحن فيدراليون ولسنا انفصاليين"[3].

لقد كان لتحركات ممثلي الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في المجالس المختلفة تأثير بالغ الأهمية لدى المعتدلين من الجزائريين ،والليبراليين الأوروبيين، في أن يتخلوا عن فكرة الاندماج

[1] Ferhat , Abbas , regards sur le présent et l'avenir de l'algerie , op,cit ,pp.9-10

[2] سليمان، الشيخ، مرجع سابق، ص.45

[3] Stora, , Daoud, op,cit ,p .166

والمساواة والمطالبة بالحقوق الاجتماعية، وأثمر هذا النشاط بمناقشة قانون الجزائر في الدورة الربيعية للمجلس العام لولاية قسنطينة، في أفريل 1947، الذي صادق على Ö مذكرة استمدت أفكارها من طروحات فرحات عباس الفيدرالية، بحيث طالب أعضاء الملس بالأغلبية من فرنسا وضع قانون تقدمي يحترم الشخصية الجزائرية ،ويضمن الحق في استقلال وتسيير الجزائر ضمن الإتحاد الفرنسي[1].

لكن نشاط ممثلي الإتحاد الديمقراطي أزعج أوساط الكولون الذين تكتلوا لتهديد الحكومة الفرنسية بالتمرد على قراراتا، التي قد لا تكون لصالح الجزائر الفرنسية بمبادرة من قويتيان فور[2] الذي اتم فرحات عباس بتدبير الدسائس، وهدد باللجوء إلى حرب أهلية في حالة ما إذا تمت المصادقة على نظام أساسي للجزائر، وفي هذا السياق نفسه نشر رئيس مجلس العموم لعمالة الجزائر رسالة موجهة إلى باريس وعليها توقيع ثلاثة وعشرين من رفاقه جاء فيها " لو أن الملس الوطني يزود الجزائر بقانون لا يخدم مصالح الاستعمار فإن ممثلي الأقلية الأوروبية لن يترددوا في التوجه إلى غير الميتربول"[3].

و باللهجة وجه "بوير بانس Boyer Bonce المدير السابق للولاية العامة المسيطر على أغلبية أراضي ناحية بابا علي بالعاصمة رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي، جاء فيها : " إذا قامت فرنسا بالتخلي عنا سوف تكسى بالعار، فإننا فيما يخصنا سنكون مضطرين لمطالبة الأمم المتحدة بحقنا كشعب تخلت عنه فرنسا، ويومها سيكون عليكم أنتم وزير الخارجية واجب تقدم الأسباب التي قد تكون دفعت فرنسا بخيانتنا".[4]

من جهته صرّح النائب " جاك شوفالييه jacques- chevalier" منتقدا الدستور الذي قدمه الاتحاد الديمقراطي " إن جعل تعلم اللغة العربية إجباري يعني دفع المسلمين أكثر فأكثر إلى الإسلام ويعني ذلك تمتين العلاقة مع الجامعة العربية وكل الذين يريدون استقلال الجزائر، وأخيرا فإن ذلك إدخال البربر تحت سلطة الإسلام عن طريق اللغة"[5].

---

[1] عبد القادر ،حميد، المرجع السابق، ص.115

[2] نائب في البرلمان باسم الحركة الجمهورية الشعبية واستناد للحقوق بجامعة الجزائر ومدير لجريدة journal d'Alger

[3] محمد العربي، الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق.

[4] المرجع نفسه

[5] المرجع نفسه

ومثل القوانين السابقة المتعلقة بالجزائريين كقانون 1919 أو مشروع بلوم فيوليت نجد تحالف الكولون بمختلف انتماءاتم مستخدمين كل وسائل الضغط والتهديد، فقد هدد النواب الأوروبيون الرجعيين في الجزائر بالاستقالة، ولم يسمحوا حتى بمناقشة موضوعية مشروع النواب الجزائيين ولا باقي المشاريع الأخرى[1].

مما لا شك فيه أن تديدات الكولون قد أثمرت لأن الحكومة الفرنسية جندت كل طاقاتا لاستبعاد مشروع قانون الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وجعل الـلس الوطني يهتم فقط بالمشروع المقدم من قبلها، وجاء تصريح ديغول في 18 أوت 1947، خلال مناقشات البرلمان ليزيد في الطين بلة حيث أعلن مساندته لنظام تمارس فيه فرنسا حقوق سيادتا وواجباتا ممارسة كاملة[2] وعاد بذلك إلى نظام المندوبيات المالية القدC، وبقدر ما شكل هذا الموقف خيانه للجزائريين بالعكس نال من خلاله ثقة المعمرين .

مع اقتراب مناقشة مشروع الدستور كثف فرحات عباس نشاطاته لإقناع النواب الأوروبيين من القسم الأول ،والمسؤوليين الفرنسيين، وحذر من مغبة إقرار أي مشروع لا يعترف بالجمهورية الجزائرية المستقلة ذاتيا، وضرورة إيجاد حل إيجابي يرضي رغبات الشعب الجزائري بعيدا عن كل سياسة إدماجية تتجاهل مطالبه ولا تعترف بشخصيته، وأن الدستور الذي يقترحه الحزب هو الأصلح[3].

وللسبب نفسه التقى فرحات عباس برئيس الحكومة الفرنسية " بول راماديه Paul Ramadier ويذكر عمار نارون أن المقابلة بينهما لم تطل كثيرا نظرا لتمسك كل منهما بموقفه، وبسبب الكراهية التي كان رئيس الحكومة يضمرها لمؤسس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وقد احتفظ التاريخ من ذلك اللقاء القصير بحوار ممتع يدل على ما كان للرجلين من ثقافة واسعة وقدرة فائقة على التعبير قال فرحات عباس " إن جسم الجزائر محصور في اللباس المفروض عليه، إنه في

---

[1] كان أمام الـلس الوطني أربعة مشاريع الأول من طرف الحكومة، الثاني من طرف الحزب الشيوعي، الثالث من طرف الحزب الإشتراكي، الرابع: نواب الكتلة الإسلامية للدفاع عن النظام الفيدرالي وأعضاء مجلس الجمهورية على أساس برنامج الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أنظر تفاصيل هذه المشاريع في: جوليان، المرجع السابق، ص ص. 347 – 348

2 نفس المرجع ، ص.350

[3] عباس، المرجع السابق، ص.216

حاجة إلى التنفس، حاولوا إذا أن يعطوا له لباسا عصريا " وبدون تردد أجاب راماديه :" أجل سيد عباس إننا سنخيط لكم لباسا جديدا لكن تفصيله سيكون دقيقا على الطريقة الفرنسية"[1].

رغم ذلك فإن جهود فرحات عباس وممثليه فشلت أمام غالبية النواب الفرنسيين أو الموالين للإدارة لأن الجزائر بالنسبة لهؤلاء كانت ويجب أن تبقى جزءا لا يتجزأ من فرنسا وتمت الموافقة على القانون العضوي للجزائر في المجلس الوطني الفرنسي يوم 20 سبتمبر 1947 بـ : 322 صوتا ضد 92 صوتا وامتناع 163 صوتا[2].

اشتمل هذا القانون على ثمانية أبواب وستين مادة، ويهدف بالدرجة الأولى إلى فصل من يسمون بالنخبة التي تتمتع بحق المواطنة عن بقية الشعب، يجمع هذا القانون بين النظام الفيدرالي والإدماج فهو يجعل من الجزائر مجموعة من المقاطعات لما وراء البحار لها ميزانيتها وقانونها المالي الخاص يتساوي سكانها في الحقوق والواجبات، ويتم إنشاء جمعية جزائرية تتكون من مستويين يكون التمثيل فيها متساويا بين المسلمين والأوروبيين، وبمقتضى القانون الجديد تكون فرنسا ممثلة في الجزائر بواسطة وزير منتدب، كما تم الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية مثلها مثل اللغة الفرنسية[3].

كان هذا القانون صدمة لفرحات عباس ومناضليه، بالنظر إلى الآمال الكبيرة التي ترجموها في مشروع دستور الجمهورية الجزائرية، وفضلا عن إقراره في غياب ممثلي الشعب فإن القانون جاء جامعا لمحتويات المراسيم والقوانين الإستعمارية التي فرضت على الجزائر منذ السنوات الأولى من الغزو، فضلا عن تعارضه مع جوهر وروح دستور الجمهورية الرابعة، فالقانون يسوى بين 10 ملايين جزائري مسلم و800 ألف أوروبي، ويكرس ذلك بـ : الحفاظ على هيئتين ناخبتين درجة أولى ودرجة ثانية، إقرار نظام الغرفتين تتكون كل منها من60 مقعدا، وأكثر من ذلك أن مواد رئيسية في القانون ظلت حبرا على ورق مثل :

المادة 4 : التي تمنح النساء الجزائريات حق التصويت .

المادة 53 : التي تلغي نظام البلديات المختلطة .

---

[1] Naroun , Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté , op ,cit , p.117

[2] Ageron, histoire de l'Algerie contemporaine, op, cit, p.608

[3] أنظر تفاصيل الدستور في جوليان، المرجع السابق، ص ص. 352-353، و kaddache ,op, cit , pp.771-772:

المادة 56 : التي تضمن فصل الدين عن الدولة طبقا لقانون 1905 .

المادة 57 : التي تنص على اعتماد العربية لغة رسمية .

وبإستثناء حق التصويت الذي أعطى للنساء يقول فرحات عباس أن جميع هذه الإصلاحات طالب بها الأمير خالد في سنة 1920، فلم تكن هذه المواد بالأمر الجديد[1].

أحدث قرار المصادقة على هذا القانون رد فعل عنيف لدى الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي أمر مستشارية بالاستقالة من مجلس الجمهورية، وقد تم ذلك في شكل رسالة تحمل تاريخ 31 أوت 1947 تضمنت تحفظات الحزب وموقفه من الدستور الجديد ومن أهم ما جاء فيها : أننا نحتج ضد قانون الجزائر التنظيمي الذي فرضه البرلمان الفرنسي على أغلبية السكان الجزائيين وعلى هذا الأساس نوجه لكم استقالتنا من عضوية مجلس الجمهورية، وبدون الإلحاح كثيرا على المساومات التي قامت بها الأحزاب في غيابنا حول هذا القانون فإننا نلاحظ عليه العيوب الثلاثة التالية[2] :

1. لقد صوت عليه في غياب المنتخبين المسلمين ،ودون أن تأخذ في الاعتبار طموحات شعب الجزائر الشرعية، فتآمر غلاة المعمرين من جهة، وتأثير رئيس حكومة سابق[3] خارج البرلمان من جهة أخرى، قد حالا دون حرية سير المؤسسات الجمهورية ،لقد وقع تحالف ضد الجزائريين المسلمين وواجبنا التنديد بذلك .
2. هناك خرق للدستور الذي تنص مادته 82 في فقرتا الثانية، على أن الأحوال الشخصية لا يمكن بحال من الأحوال أن تشكل سببا لرفض الحقوق ،والحريات اللصيقة بصفة المواطنة الفرنسية أو الحد منها، وإنا لمفارقة أن يرى المرء في إطار الجمهورية الفرنسية الواحدة التي لا يتجزأ تقسيما للمنتخبين إلى مجموعتين وفقا لجنسهم وعقائدهم الدينية.
3. إن الحكومة وبعض البرلمانيين قد استندوا إلى وجود ممثلين عن الجزائريين المسلمين في البرلمان الفرنسي لتجريد الجمعية الجزائرية من كل سلطة تشريعية، إن منتخبي البيان يؤكدون على الطابع المؤقت لذلك التمثيل ،إن مشاركتنا في البرلمان الفرنسي ليس للمساهمة في ممارسة

---

[1] عباس، المرجع السابق، ص. 218، أنظر مواد الدستور، ابن العقون، مرجع سابق، ج3 ص ص. 40 – 45

[2] Naroun , op,cit ,pp.174-176

[3] المقصود هو الجنرال ديغول

السيادة الفرنسية ،ولكن المشاركة في إنشاء وإقامة الهيئات الاتحادية إن دورنا ليس هو أن نشرع للميتروبول، فالجزائري يجب أن يمارس سيادته في الجزائر وفي مجلس الإتحاد.

وكان الدكتور سعدان ،وهو يتحدث عن هذا القانون في مجلس الجمهورية قد وصفه باللعب الصبياني، الذي لا يمكن أن يكون إطار حل معضلتي الحرية والديمقراطية التي يعاني منهما الشعب الجزائري، وأن هذا القانون مؤسس على الكذب والغموض، وهو من وضع رجال لم يتخلصوا من التعصب الكولونيالي والتقاليد الإمبريالية يقول : " هناك رجال عبيد وهم أحرار وهناك رجال أحرار ولكنهم عبيد، وفي الحقيقة إن الرجال الذين وافقوا على قانون الجزائر ليسوا أحرارا إنم عبيد، هؤلاء نمت في نفوسهم غريزة السيطرة على الآخر وجعلتهم لا يترددون في استعمال القوة والعنف للاحتفاظ بمتاع الغير"[1]،ويختم قوله " إن المأساة في هذه القضية تتمثل في كوننا وفرنسا لا نتكلم لغة واحدة، فالحكومة الفرنسية والمجلس الوطني يشرعان لبلدنا الذي يعتبر أنه مزرعة، متجاهلين أنه وطن وأننا لم نعد خدما ولا أقنانا".[2]

وصرح مصطفاوي عضو كتلة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري منتقدا الدستور بالقول: " إن هذا القانون الأساسي لا يسير على سياسة إدماجية على الرغم من تظاهره بذلك، وهو ليس بالقانون الاتحادي الفيدرالي على النحو المطلوب، وليست فيه أية روح ديمقراطية على الرغم من ولادته في جو التحرر العالمي، وهو ليس بالتقدمي لأنه يأخذ باليد اليمنى ما يعطيه باليد اليسرى إنه يفتقر إلى الشخصية وإلى الأصالة وإلى النفس والروح وإذا كانت فيه أصالة ففي حفاظه بشكل جديد على الامتيازات القديمة التي يتمتع بها سادة الأرض ،وهو يستبدل الأصفاد الحديدية التي نقيدها بأصفاد من الذهب".[3]

وعلى الرغم من أن الدستور الجديد لم يغير شيئا من وضع الجزائريين فإن الكولون قد حاربوه بكل ما أوتوا من قوة، فأنشأوا جمعية الدفاع عن الجزائر الفرنسية وبها شنوا حربا إعلامية ضد قانون 1947 لنسفه وعرقلة العمل به[4]، وفشل ممثلو الجزائريين في كل ما قاموا به من مساعي لمنع البرلمان الفرنسي من فرض استبداده، وتعرضت فلسفة الثورة بالقانون إلى اختبار حقيقي فلطالما

---

[1] Naroun ,op.cit,p.170
[2] ibid , p.171
[3] غليسبي، الجزائر الثائرة، ص ص. 89- 90
[4] Stora , Daoud ,op,cit , p.181

آمن فرحات عباس بجدوى العمل السلمي وعمل جاهدا من خلال جريدة المساواة ،والمحاضرات السياسية على تعبئة الشعب قصد الدفاع عن حقوقه المشروعة في نطاق القانون ،والعمل الشرعي وتجنب العنف ليجد نفسه في آخر المطاف أمام استعمار لا يؤمن بالحرية والديمقراطية ولا بالقانون.

2. ǧlǵz عباâ وθربة الإنتÅاباǧ :

كان صدور دستور 1947 خيبة أخرى لفرحات عباس، لكن هذه الخيبة لم تمنعه وحزبه من مواصلة النشاط تحت شعار " الثورة بواسطة القانون " والتمسك بالجمهورية الجزائرية التي أصبحت عنوان الصحيفة الناطقة باسم الحزب[1]، والعمل على الاستعداد لخوض المعارك الانتخابية وتوحيد أجنحة الحركة الوطنية وفق تصوره للمجتمع الجزائري .

ومباشرة بعد المصادقة على الدستور شرعت الإدارة الفرنسية في تطبيقه بإجراء الإنتخابات البلدية في أكتوبر 1947، ودخل الإتحاد الديمقراطي الإنتخابات تحت شعار "الترقية الاجتماعية للشعب "، مركزا في دعايته على النضال ضد الجهل، والأمية ،وتحقيق تنمية أفضل لاالات الحياة اليومية مع التركيز على التعليم والتكوين، وعلى النقيض كانت رؤية حركة الانتصار جعل الحملة الانتخابية تظاهرة سياسية لتوعيه الجزائريين ،ونشر أفكار الحزب وعلى رأسها استعادة السيادة الوطنية[2].

وبينت نتائج الإنتخابات تجاوب الجماهير مع الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بحيث تحصلت على 33% من الأصوات مقابل 18% لRتحاد الديمقراطي و04% للحزب الشيوعي[3] أثبتت هذه النتائج تجذر المطالب الاستقلالية عند الجزائريين ،وفقدان الhاعة الإصلاحية الليبرالية لبريقها، رغم أنا قبل سنة فقط حققت نتائج كبيرة وهو دليل على عمق التغيير الذي طرأ إيجابيا على فكرة الوعي الوطني عند الجماهير وتفاعلها مع مطالب الحرية.

شجعت هذه النتائج حزب حركة الانتصار للعمل على توحيد القوى الوطنية من خلال الدعوة التي وجهها مصالي الحاج إلى حزب الإتحاد الديمقراطي يدعوه فيها إلى الحوار قصد إيجاد

---

[1] تحول اسم الصحيفة من المساواة سابقا إلى " الجمهورية الجزائرية La repuplique algérienne تماشيا والمطالب الجديدة للحزب.

[2] الزبيري،تاريخ الجزائر المعاصر،المرجع السابق .

[3] Stora , Daoud , op ,cit ,p.181

سبل لإخراج البلاد من دائرة السيطرة الاستعمارية، وكانت استجابة حزب الإتحاد الديمقراطي في البداية إيجابية من خلال النشرة التي صادق عليها المكتب السياسي للحزب، وبداية الحوار بين التشكيلتين والاتفاق على برنامج عمل مشترك يقوم على دستور دولة جزائرية ذات سيادة مطلقة وإلغاء كل أنواع الاستعمار.

لكن هذا التقارب ما فتئ أن انحل بتراجع الإتحاد الديمقراطي، ووضعه عدة شروط لاستمرار العمل المشترك منها: عدم رفض التمثيل البرلماني وعدم إدانة الإتحاد الفرنسي والتخلي عن دستور الدولة الجزائرية ذات السيادة المطلقة، وهو ما رفضته حركة الانتصار وعلّق مصالي الحاج على الجمهورية الفيدرالية التي رفع شعارها فرحات عباس بالمولود الإمبريالي، لأنا تترك الدفاع الوطني والخارجية بين أيدي الإمبريالية الفرنسية، وسوى مليون أوروبي بعشرة ملايين من الجزائريين[1]، وبذلك تشتت الحركة الوطنية من جديد.

وللسهر على تطبيق القانون الخاص بالجزائر وبضغط من الكولون عينت الإدارة الفرنسية الوالي العام" نايجيلان-Naejelen "[2]û وقد سارع منتخبوا الأقلية الأوروبية بالالتفاف عليه والحصول منه على تعهد هام وهو منع الـلس الجزائري على الوطنيين ،وقد تميزت الفترة قبيل انتخابات الجمعية الجزائريةفي 04 و11 أفريل 1948 بفشل مساعي الوحدة الحزبية بين الإتحاد الديمقراطي وحركة الانتصار، التي بادر إليها فرحات عباس بغرض تكوين جبهة ديمقراطية مفتوحة حتى على أعضاء الحزب الشيوعي، للوقوف في وجه الجبهة الاستعمارية المتكتلة رغم اختلافاتا، لكن سرعان ما تراجع عن هذه الفكرة بعد اقتراح مصالي الذي نÒ على المشاركة في الإنتخابات حول موضوع الأمة الجزائرية السيدة لتقاسم المقاعد بالتساوي[3]، وظهور خلافات داخل حركة الانتصار حول سياسة المشاركة في الانتخابات خاصة من طرف الشباب الثوريين الذين أنشأوا منظمة شبه عسكرية تتولى تحضير الكفاح المسلح هي " المنظمة الخاصة " .

---

[1] محمد العربي، الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر،مرجع سابق.

[2] مارسيل، ادموند Marcel édmond. سياسي اشتراكي منحدر من مقاطعة الالزاس، عرف بصلابته ووطنيته، والعمل بإرادة لإقرار السيادة الفرنسية، وبالنسبة لرجل سياسي تربى منذ الصغر في مقاومة الـاعة الاستقلالية في الألزاس اعتبر الوطنيين بمثابة الانفصاليين الذين ينبغي أن يحول دون تقدمهم، انظر : جوليان، المرجع السابق، ص.355.

[3] عبد القادر ،حميد، المرجع السابق، ص.119.

والحقيقة أن مجرد المشاركة في الإنتخابات كان يعتبر هزيمة للحركة الوطنية، لأن دستور 1947 يعود بالجزائر إلى ما قبل حركة أحباب البيان والحرية، كما أن هذه المشاركة هي تنكر لموقفها من الدستور الذي رفضته جملة وتفصيلا، في هذا الجو من التناقضات وعدم الاستقرار على موقف موحد دخلت الأحزاب الوطنية انتخابات الجمعية الوطنية في 04 و11 أفريل 1948، بينما استخدمت الإدارة كل وسائل التعسف لمنع الوطنيين من الوصول إلى المجلس .

لقد كان نايجلان اشتراكيا في مذهبه السياسي لكنه بالنسبة للجزائر كان يمينيا متطرفا يرى في استقلالها نهاية الإنجازات الفرنسية، وحتى لا تحدث الكارثة فإنه شرع بمجرد تنصيبه في وضع أسس مدرسة تزييف الإنتخابات، التي سوف تعرف باسمه " الانتخابات على طريقة نايجلان التزوير، الخوف، الدم "[1]، للحيلولة دون تحقيق التوازن الممكن الذي يؤدي إلى إضفاء الطابع الديمقراطي على المؤسسات السياسية الجزائرية، مستخدما جميع الإجراءات التعسفية منها توجيه التهم للمترشحين الوطنيين، كالمس بالسيادة الفرنسية استعمال العنف والإخلال بالأمن أو قذف السلطات، اعتقال المترشحين أنفسهم[2].

كما صدرت أوامر إلى المصالح الإدارية بالبلديات كي لا توزع بطاقات الناخبين في المراكز التي يشك في ميولات سكانها الوطنية، وزيادة عدد المترشحين المستقلين أو الأحرار من أتباع الإدارة، مما أضفى طابع الشرعية على الغش الانتخابي، وعندما بدأت عملية الاقتراع تضاعفت إجراءات التزييف كإسناد مكاتب التصويت إلى الأوروبيين فقط، ومنع ممثلي المترشحين من مراقبة سر العملية لإدراج صناديق مملوءة سلفا.[3]

كتب صحافي موالي للولاية العامة معلقا على الانتخابات:"لم يكن الخيار في مقاطعاتنا الجزائرية الثلاثة بين إنتخابات حرة وانتخابات مهيئة، بل كان بين انتخابات يهيئها المسيرون المصاليون وانتخابات تهيئها الولاية العامة وقد اخترنا الثانية".[4]

---

[1] Bernard, Droz , Evelyne ,Lever , **histoire de la guerre d'Algérie** , seuil –histoire , 1982, pp.33-36

[2] اعتقلت السلطات الفرنسية 660 مناضل في صفوف حركة الانتصار في الانتخابات 1948 انظر :
stora, Daoud ,op,cit,p.183

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص ص . 104-105

[4] جوليان، المرجع السابق، ص.357، نقلا عن جريدة لوموند، 3 أفريل 1952

ورغم أن المنتخبين منحوا أصواتهم لمرشحي الحركة الوطنية، فإن الإدارة الاستعمارية تحت إشراف ناجلان قد ألغت الإرادة الشعبية، وقررت بمفردها إعطاء 9 مقاعد لحركة الانتصار أي 30.6 % من الأصوات المعبر عنها، وحصل الإتحاد الديمقراطي على 8 مقاعد أي 17.5 % من الأصوات المعبر عنها، وتحصل الأحرار مرشحو الإدارة على 41 مقعدا أي 45 % من الأصوات المعبر عنها.[1]

والحقيقة أن وجود نواب الحركة الوطنية شبه صوري، مقتصرا على بعض الاحتجاجات على اعتبار أن المجلس قد قيّد بمجموعة من المواد التي تجعله في خدمة الكولون والإدارة الاستعمارية حتى لو توفرت الأغلبية للحركة الوطنية.

كانت تجربة انتخابات الجمعية الوطنية درسا مهما بالنسبة للحركة الوطنية والإتحاد الديمقراطي، الذي أيقنت قيادته أن الإدارة الاستعمارية مصممة على حرمان الشعب الجزائري حقه في تقرير مصيره بنفسه وتأكدت أن التنازلات التي قدمتها لم تجد نفعا وأن الحلول الوسطى غير معبرة[2] ، كل هذه الحقائق عرضت على أعضاء المؤتمر الذي انعقد بمدينة سطيف أيام: 1948/09/28/27/26/25[3] والذي أكد على:

1. أن الإتحاد الديمقراطي يندد بالإتحاد الفرنسي، ويدين التعسف،والاستبداد المفروض على الشعب الجزائري ،ويعلن عن استعداده للنضال حتى تحقق الشعب الجزائري طموحاته التي تجسدها الجمهورية الجزائرية.

2. أن الإتحاد الديمقراطي يؤكد على الوحدة المغاربية في إطار إتحاد شمال إفريقيا.

3. أن الاتحاد الديمقراطي يحتج على جو الرعب والقمع الذي سبق الإنتخابات وما يزال مفروضا، كما أنه يطالب بإلغاء الإنتخابات المذكورة وبضمان حرية التصويت وتحرير جميع المعتقلين السياسيين.

---

[1] رغم أنه لم يحدث أي شيء يستدعي التغيير من أكتوبر 1947 وأفريل 1948 سوى طريقة إدارة الإنتخابات التي طبقها ناجلان أنظر :

Le tourneau, op,cit , pp.360-365

[2] Ferhat,Abbas,**"la leçon d'un scrutin"**,la république Algérienne,n°280,16/11/1951.

[3] Abbas , **regard sur le présent et l'avenir de l'Algérie** , op,cit , pp.1-32

كما وجه المؤتمرون رسالة شكر إلى منظمة الأمم المتحدة مطالبين منها مساعدة الشعوب على منحها حق تقرير المصير ،وإلغاء نظام الإحتلال.

في مارس 1949 فشلت حركة فرحات عباس الإتحاد الديمقراطي في الانتخابات التي جرت لتجديد المجالس العامة ،بسبب استمرار التزوير العلني الذي كسبت من خلاله الإدارة الاستعمارية ثقة الكولون، لكنها فقدت نهائيا ثقة الجزائريين بما فيهم فرحات عباس الذي صرح :" لم يعد هناك أي حل للجزائريين إلا حمل السلاح"[1]، وبعث برسالة للحاكم العام نايجلان في 9مارس مفادها : ضرورة تحضير جو أفضل للانتخابات[2] لكن بدون جدوى مما دفع فرحات عباس ومصالي الحاج إلى إمضاء اتفاق مشترك في أفريل، ينص على المطالبة بحق الشعب الجزائري في دولة مستقلة[3]، متراجعا عن موقفه من مصالي الحاج ،ومقتنعا بصحة النهج المتبع من طرف الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية، وامتنع البيانيون بعدها عن تقديم مرشحين في الانتخابات القادمة .

استمر أسلوب التزوير المحترف في سائر الانتخابات اللاحقة مثل الجزئية لعام 1950 والانتخابات العامة 1951، حيث لم يفز منتخب واحد لا من الإتحاد الديمقراطي ،ولا من حركة الإنتصار، فلم يبق للمنتخبين لمواجهة هذه الفضائح سوى الإمتناع عن التصويت أو الاحتجاج والتنديد، " وبقدر ما كانت طريقة نايجلان قد مكنت الكولون لمجالس طيعة يصنعون بها ما يشاءون، فإنها عن غير قصد قد فتحت الطريق ،واسعا أمام دعاة العنف الثوري من أبناء الحركة الوطنية، وأعطتهم الحجة على أن المشاركة في الإنتخابات ،ولعبة الديمقراطية لا يمكن أن يقودا لغير التفكك، أما السبيل الأوحد للخلاص من السيطرة الأجنبية فيمثل فقط في الكفاح المسلح".[4]

وهكذا تعكرت الأجواء داخل المجالس المحلية والعليا، واتسعت الهوة بين ممثلي المجموعتين: المسلمة والأوروبية، واستحال الوفاق بين الجماعتين لأنه لم يكن ممكنا لأن ممثلي

---

[1] bernard droz , evelyne lever , op,cit,pp..33-36

[2] أنظر نص الرسالة في الملحق رقم : 01 في :

Ferhat , Abbas, **Le Régime Coloniale est la négation de la justice et la civilisation,** 2eme congrès national du U.D.M.A., télemcen , les 16,17et 18 septembre 1949 .

[3] عبدالقادر،حميد، المرجع السابق، ص.120.

[4] الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص.34.

الأوروبيين المتعلقين بالجزائر الفرنسية وبالسيادة الفرنسية لم يقبلوا الحوار مع الذين اختاروا السيادة الجزائرية[1] وأدى عجز الإتحاد الديمقراطي عن الإسهام بفعالية في الحياة السياسية وإرضاء مطالب ممثليه إلى خلق أزمة في صفوفه، ولما كان هؤلاء يريدون الثورة بالتطور التدريجي فلم يكن من السهل عليهم البحث عن سبل أخرى غير المنظمات البرلمانية التي وقفوا أنفسهم عليها[2].

3. ǳرǵاǧ عباâ وجبهة الدǳţ عـdb الحرية واǵترامها :

كان لابد من تفاعل عوامل كثيرة كي تعرف الساحة السياسية في الجزائر انقلابا جذريا فقد فشلت التجربة البرلمانية ،والإنتخابية التي خاضتها الحركة الوطنية منذ سنة 1946 ولم يعد لها أي معنا ، والتحالف أو التقارب بين الأحزاب الوطنية لم يتحقق، على العكس كانت الاتهامات المتبادلة ،والحرب الكلامية هي ميزة العلاقة فيما بينها، فأتباع مصالي الحاج يتهمون فرحات عباس بالتخلي عن مبادئ البيان، وكان فرحات عباس يرد بقسوة متهما إياهم بالوطنيين المزيفين الذين أوجدهم الحاكم العام نايجلان من أجل عرقلة المطالب الوطنية[3].

وفشلت كل محاولات التقارب بين فرحات عباس ،ومصالى الحاج، في المقابل استمر التعنت الكولونيالي ورفضه لأي إصلاح أو تغيير، واستمر التعسف الإداري والتزوير وقمع الحركة الوطنية، هذا التعسف والاستبداد الذي سلطته الإدارة الاستعمارية إضافة إلى تجارب الحركة الوطنية ،والأزمات التي مرت بها غير من قناعاتها سواء في علاقاتها بالاستعمار أو فيما بينها .

لقد جرب فرحات عباس سياسة المرونة بجميع أنواعها في التعامل مع الإدارة الاستعمارية لعله يستميلها لإنهاء النظام الاستعماري، لكنه اقتنع بأن الكولون ومعهم الإدارة الاستعمارية غير مستعدين للتنازل عن الجزائر، مستخدمين جميع ما لديهم من إمكانيات العنف والقمع واللجوء إلى كل أساليب التزييف لمنع الجزائريين من المشاركة في تسيير شؤون بلادهم، كما انتهى فرحات عباس إلى قناعة مفادها أنه يرتاب في رشد الفكر الفرنسي نفسه لأنه عاجز عن ترقية المستعمر[4].

---

[1] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.105.

[2] غليسبي، المرجع السابق، ص.95.

[3] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.121.

[4] عباس، المرجع السابق، ص.225.

وكانت هذه القناعة كافية ليشدد موقفه ،ويعيد النّظر في برنامجه السياسي ،وفي علاقاته مع حركة الإنتصار ،وحتى مع الحزب الشيوعي.

كما أن حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية التي كانت تعتقد أنا تستطيع وحدها تقويض الاستعمار، والتي كان قادتا يظنون أنم يحتكرون الوطنية، ويتهمون غيرهم بالعمالة لRدارة الاستعمارية، قد اقتنعت بأن تحرير الجزائر يتطلب تظافر جميع الجزائريين، وهذا التحول كان نتيجة عدة أزمات مرت با الحركة منها: الخلافات بين أعضاء المنظمة الخاصة وسياسي حركة الانتصار وتنامي الرغبة الملحة في العمل المسلح، وخاصة اكتشاف أمر المنظمة الخاصة من قبل الشرطة الفرنسية في مارس 1950[1] وما ترتب عنه من اعتقالات واسعة في صفوف مناضلي الحزب وأجواء الرعب والقمع .

وأدى إخفاق التجربة الانتخابية التي تبناها الحزب منذ 1947 إلى بروز تناقض أساسي بين المشروع الوطني الراديكالي الذي يطالب بالاستقلال الوطني، وبين السياسة الإصلاحية التي تقبل العمل بالطرق القانونية التي اعتبرت انحرافا عن مبادئ الحزب[2].

من جهتها لم تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تكتفي بالدعوة الدينية ،والعمل التربوي والنشاط التعليمي، فالأحداث السياسية قد فرضت على قيادتا تجاوز إطار قانونا الأساسي والدخول إلى معركة النضال ضد الوجود الاستعماري[3].

وقد أدركت كل الأحزاب السياسية منذ انتخابات 1948 أن الكولون هم الموجهون الحقيقيون لسياسة فرنسا في الجزائر، وأن هذه السياسة لا تخدم سوى مصالحهم كما جاء في وصية الرئيس" Queuille" للحاكم العام "روجي ليونار - Roger Leonard" خلفا لنايجلان " "عليك أن تعرف أن قسنطينة هي روني ميار، والجزائر العاصمة هي بوزحو، أما وهران فيحتمل أن تبقى في يد عامل العمالة ما لم يقترح غلاة الكولون واحدا من بينهم، ولكي يوضح تعليماته أكثر، أضاف بلهجة متشددة " أما لعباس ومصالي فقل لهما : القوة هي الفصل بيننا وبينكم [4]".

[1] لRطلاع على تفاصيل أكثر عن اكتشاف المنظمة الخاصة أنظر : Kaddache , op,cit ,pp .854-859
وأيضا: Mahsas , op.cit,p.p.276-280

[2] سليمان، الشيخ، المرجع السابق، ص.65

[3] ابن عقون، الكفاح القومي والسياسي، ص. 38

[4] Naron op.cit, p.124

من هذا المنطلق أصبحت المواقف المعتدلة للحركة الوطنية غير مجدية، خاصة بعد ارتفاع العديد من الأصوات المنتقدة لتشتت الحركة الوطنية، والداعية إلى ضرورة الإتحاد باعتباره مطلبا جماهيريا، وحتى الصحافة الحزبية امتلأت صفحاتها بدعوات الوحدة فقد كتبت جريدة البصائر في افتتاحيتها بعنوان " الإنتخابات الجزائرية وأثرها ... " تندد بفضيحة الأساليب الاستعمارية في انتخابات الجزائر، وتدعو الشعب إلى إدارة ظهره عن هذه الإنتخابات المفرقة ليعول على نفسه وعلى وحدته"[1].

وكتبت جريدة الجزائر الجديدة للشيوعين " لابد من الإتحاد والنضال، إن الجزائريين وعلى اختلاف آرائهم كلهم ينادون لتحقيق الإتحاد العاجل بين القوى الوطنية، إن الكفاح التحريري لا يقدر أن يقوم به بنجاح حزب واحد ولا كل الأحزاب متفرقة"[2]، وفي حوار أجرته جريدة الشعلة مع فرحات عباس أكد هذا الأخير " أنا مع الإتحاد وأرحب به على شرط ألا يفرض على اعتناق آراء ومبادئ غيري، الإتحاد في نظري جمع قوات مختلفة لتحطيم شيء قوي يجب تحطيمه وهو الاستعمار، فأنا مستعد أن أتحد مع من يقدمني أو يتقدم معي ،ولو خطوة واحدة إلى الأمام"[3].

كل هذه العوامل متظافرة هي التي قادت إلى تغيير الأوضاع الساسية في الجزائر ودفعت الحركة الوطنية إلى تجاوز خلافاتها مؤقتا لمواجهة السياسة الإستعمارية، وتحقيق وحدة وطنية على غرار تجربة أحباب البيان والحرية، فهل ستكون التجربة الجديدة في مستوى وعي الشعب الجزائري أم لا ؟ وفي مستوى التحديات التي تواجهها الحركة الوطنية ثانيا ؟.

وجه الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري نداء إلى كافة التشكيلات الوطنية يدعوها من خلاله إلى إقامة وحدة وطنية، وانعقد اجتماع في قاعة السينما " دنيا زاد" يوم 05 أوت 1951 بمشاركة ممثلين عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية[4]، والعلماء، والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري

---

[1] بن العقون، المرجع السابق، ص.157، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 171، 1951/09/24

[2] المرجع نفسه، 160، نقلا عن الجزائر الجديدة، عدد 49، أوت – سبتمبر 1950

[3] المرجع نفسه، ص.162، نقلا عن جريدة الشعلة، عدد 8، يوم 2 فيفري 1950

[4] أنظر رسالة مصالي الحاج إلى الجبهة الجزائرية و مداخلات ممثلي مختلف الأحزاب في: المنار،العدد7،بتاريخ 15 أوت 1951،ص ص.2-4

والحزب الشيوعي وبعض الشخصيات، وأنشئت " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها FADRL "[1]لتحقيق Rسة أهداف[2] هي :

- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 أوت 1951، والتي كانت نتيجتها في الواقع تعيين الإدارة أشخاصا لم يكلفهم الشعب الجزائري بتمثيله، وينكر عليهم الحق في التحدث باسمه .
- احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني.
- احترام الحريات الأساسية، حرية الضمير والفكر، وحرية الرأي في الصحافة والاجتماع.
- محاربة القمع بجميع أنواعه لتحرير المعتقلين السياسيين،و لإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على مصالي الحاج .
- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية

أما تنظيميا يشرف على الجمعية مجلس إداري مشكل من ثلاثين عضوا، ويسيرها مكتب دائم من عشرة أعضاء[3]

إن الدارس للنقاط الخمس التي شكلت أرضية التقاء التشكيلات الوطنية يجد أنها مستوحاة في معظمها من مقترحات الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأن ما تضمنته هو حد أدb مما كانت تنتظره الجماهير، ما يدل على صعوبة جمع التشكيلات السياسية على برنامج موحد وقوي في طروحاته، وهو ما جعل الكثير يرى أن الجبهة ولدت ميتة فإلى أي مدى هذا الطرح صحيح ؟.

---

[1] Front Algérien pour la défense et le respect de la liberté

المشاركون : عن العلماء : العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين

عن الإتحاد الديمقراطي: أحمد فرنسيس، قدور ساطور

عن حركة الإنتصار: أحمد مزغنة، مصطفى فروخي

عن الحزب الشيوعي: بول كباليرو، أحمد حمودي

[2] أنظر النÒ الكامل لتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها في: جريدة المنار،العدد6،بتاريخ 30جويلية،1951ص ص.1-2

[3] Rطلاع على أعضاء الـلس والمكتب، أنظر: المنار، العدد7، بتاريخ 15 أوت ،1951ص.3

إن صعوبة توحيد الأحزاب الوطنية إيديولوجيا لا ينفي محاولة تقريب وجهات النظر السياسية للتعامل مع أوضاع ظرفية كما حدث في تجربة أحباب البيان والحرية، هذه الصعوبة هي التي جعلت المطالب المطروحة متواضعة، ولا تعبر فعلا عن طموحات الشعب الجزائري ،ولا حتى مناضلي هذه الأحزاب، فهي منذ البداية كانت محدودة من حيث برنامجها والأهداف المختلفة لكل حزب: الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقي وفاء منه لبرنامجه الفيدرالي ولتجربته في أحباب البيان والحرية حذرا، وكان العلماء مرتبطين بصفة وثيقة بالإتحاد الديمقراطي، وكان الحزب الشيوعي يريد مهما كان الثمن أن يكون عضوا في الإتحاد الوطني مع تبنيه مواقف واستراتيجية الحزب الشيوعي الفرنسي، أما حزب حركة الانتصار فكان يريد الخروج من عزلته لكنه لم يتخل عن هدفه الاستقلال التام.[1]

هذه التنازلات التي قدمها كل حزب حتى وإن اختلفت دوافعها، فإنها تثبت بأن ما يجمع بين الأحزاب الوطنية أكثر مما يفرقها، وبأنها قادرة على الالتقاء ،والتفاهم ولو على حد أدنى من الأهداف.

كانت نوايا الإتحاد الديمقراطي وحركة الإنتصار تعميق هذه التجربة، إلا أن الظروف المحيطة بها ،ومشاكلها الداخلية ستؤدي إلى فشل هذه التجربة،ويعترف فرحات عباس أنها لم تكن في المستوى اللازم لدفع عجلة التقدم في طريق القضاء على النظام الاستعماري بالقول: " إن أهداف هذه الجبهة كانت بسيطة متواضعة ما غايتها إلا النعي بالإجراءات التعسفية التي يتخذها الإستعمار من غير وازع ولا رادع "[2].

كان تصور فرحات عباس أنه ينبغي في البداية وكمرحلة أولى إيجاد الأرضية التي يمكن أن تقف عليها جميع التشكيلات السياسية ،والهيئات الاجتماعية ،والثقافية، وذلك من أجل الانتقال إلى المرحلة الثانية التي يكون فيها العمل على إقامة الجمهورية.

وسار مصالي الحاج في الطرح نفسه عندما صرح في هذا الشأن: " إن الهدف المشترك الذي اتفقت حوله الأحزاب المختلفة لا يشكل إلا أدنى برنامج عمل، إن الإتحاد المحقق ضمن الجبهة محدود ويجب أن تمتد إلى أهداف أوسع، ليكون مثمرا وينال الموافقة لتامة للجماهير يجب على

---

[1]Omar,Hachi,op,cit,p.71

[2] عباس، ليل الإستعمار، ص.277

الجبهة الجزائرية للدفاع عن حرية واحترامها أن توسع برنامجها إلى الاستقلال والسيادة الوطنية لبلادنا"[1].

هذه القناعة لدى الرجلين جعلتهم يعملان على توسيع نطاق المواجهة مع الإستعمار بتوحيد الطاقات المغاربية في جبهة قوية تعمل بجميع الوسائل على إناء النظام الاستعماري بالمساهمة في تأسيس جبهة الوحدة والعمل المغاربية[2] في 2 فيفري 1952.

كانت تجربة الوحدة قصيرة، ضمت منذ البداية أطرافا متناقضة ببرنامج عمل محدود جدا لم يرق إلى واقع الشعب الجزائري، فقد وجدت الجبهة نفسها مقصورة على الاهتمام ببعض المشاكل المحدودة كمكافحة القمع، ومساعدة المساجين، والدفاع عن حرية الصحافة.

وبمناسبة انتخابات المقاطعات في أكتوبر 1951 وقع أول انشقاق عندما قدم الحزب الشيوعي مرشحين، بينما نادى حزب حركة الإنتصار، والإتحاد الديمقراطي والعلماء بالامتناع عن التصويت[3]، وظهر أن الجبهة الجزائرية سيكون مصيرها الفشل ،وذلك ما حدث فعلا سنة 1952 لأسباب إيديولوجية وشخصية واختلاف في المنطلقات والأهداف[4].

أثبت فشل هذه التجربة الوحدوية مدى الإفلاس السياسي للحركة الوطنية التي أصبحت غير قادرة على تقدٌ حلول ملائمة لمواجهة النظام الإستعماري، الأمر الذي سيمكن جبهة التحرير من الوصول بسهولة إلى أغلبية أنصار ومناضلي الأحزاب الوطنية بما فيها الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

سبب هذا الإخفاق أزمة لفرحات عباس، واليأس حتى من فكرة الحل الفيدرالي مع فرنسا وكتب :" منذ 1948 ونحن نطرح المشكل الجزائري أمام مجلس الدولة وأمام الحكومة وأمام رئيس الجمهورية والبرلمان الفرنسي، فوجدنا أنفسنا أمام مؤامرة الدولة الفرنسية برمتها ضد شعب ضحى

[1] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.107

[2] ضمت: الحزب الدستوري الجديد، الدستوري القدٌ (تونس)، حركة الإنتصار والإتحاد الديمقراطي (الجزئر)، حزب الاستقلال، الحزب الديمقراطي الاستقلال، الحزب الإصلاحي للاستقلال (المغرب)، وللاطلاع على ميثاق الجبهة المغاربية أنظر: المنار ،العدد 19 ،بتاريخ 28 مارس ،1952،ص.3

[3] صاري، قداش، المرجع السابق، ص.107

[4] Omar,Hachi, op,cit,p.30

كثيرا في سبيل تحرير فرنسا"[1]،لكنه لم يتخلي عن التمسك بالحلول السلمية والطرق الشرعية،وقد جدد ذلك في احتفالات الذكري العاشرة للبيان الجزائري بقوله:" يجب محاربة العنف من أي طرف كان،والاقتناع بأنه ليس حلا للخلافات،وعلي الساسة الفرنسيين إعادة النظر في المشكل الجزائري قبل فوات الأوان،الحلول موجودة ويجب أن تكون من الكل ولأجل الكل"[2].

وأخيرا وجد فرحات عباس نفسه بعد عدم جدوى كل المحاولات ،والأساليب مجبرا على التعامل مع الوضع الجديد ألا وهو الثورة التحريرية فكيف سيكون ذلك ؟.

[1] عباس، المرجع السابق، ص.227.

[2] جريدة الجمهورية الجزائرية،ماي1953،أنظر: Omar,Hachi,op,cit, p.65

المبحث الثالث : فرحات عباس والثورة التحريرية (1954-1956)

1. اندلاع الثورة وموقف فرحات عباس :

في أوت 1954 كان فرحات عباس في باريس على رأس وفد من حزبه ينتظر استقبال وزير الداخلية فرانسوا ميتران، وأثناء المقابلة حرص فرحات عباس على لفت انتباه الوزير إلى خطورة الوضع في الجزائر التي تقف على حافة بركان، حيث إن مظاهر الغضب والمرارة بادية على كل الوجوه عكس ما تزعمه الأوساط الرسمية الفرنسية بأن الجزائر هادئة وآمنة[1] **و**تقدم الوفد بالمناسبة ببعض المطالب العاجلة كإلغاء الإنتخابات التشريعية وحل المجلس الجزائري، والشروع في بناء دولة جزائرية مرتبطة بالجزائر بمحض إرادتا .

ورغم خطورة الوضع لم تكن فرنسا يومئذ تولي اهتماما كبيرا بالشأن الجزائري فالوزير الأول منديس فرانس اعترف لوفد البيان أثناء استقباله بصريح العبارة أنه لا يعرف بعد حقيقة المشكلة الجزائرية، مثل هذا التجاهل جعل فرحات عباس يصرح: " أن الجزائريين قد سئموا من السيادة الفرنسية، وأنه إذا استمرت باريس في رفضها القيام بدور الحكم واستمرت في تأييدها لأعمال خرق القانون، أولا يكون من حق الجزائريين اللجوء إلى آخر سبيل وهو القوة"[2].

فهم فرحات عباس بنظرته العميقة نفسية الشعب الجزائري، لكنه إلي آخر لحظة بقي متمسكا بحلمه في تشييد الجمهورية الجزائرية وبصحته نظريته " الثورة بالقانون" .

في صيف 1954 كانت موجة التحرر تضرب قلاع الاستعمار،بحيث قامت الثورة في تونس والمغرب،و نجحت الثورة في مصر التي أصبحت دعما لحركات التحرر العربي، فرنسا تفقد مستعمراتا ومكانتها، وتدنس سمعتها في" ديان بيان فو-Dien.Bien.phy" إنه عقاب من الله يعلق بعض الجزائريين[3]، في هذا الجو العام كيف كانت الجزائر[4] ؟.

في 19أكتوبر 1954 جاء وزير الداخلية فرانسوا ميتران في زيارة إلي الجزائر ألقي خطابا في المجلس الجزائري من بين ما جاء فيه: " إن الجمهورية الفرنسية –حسب نصوص الدستور الفرنسي

---

[1] Benjamin , Stora , **Algerie 1954** ,edtion barzah , 2004 , 2004 ,p.62

[2] غليسي، المرجع السابق، ص.96.

[3] Ageron, histoire de l'Algérie contemporaine ,op,cit,p.618

[4] عن أوضاع الاحزاب السياسية ونشاطاتا في هذه الفترة أنظر: **الملحق رقم: 11**

نفسه – هي أرض فرنسا الأم، ثم العمالات الجزائرية، ثم عمالات ما وراء البحار وإن الجزائر لهي في وسط مجموعنا الفرنسي الواسع، وهي قطب الرحى، ومركز قوانا، أما الذين يرفضون ذلك فإن قوة القانون وعظمة الجمهورية ستعرفان كيف تبرهنان لهم أن فرنسا سيدة نفسها"[1]، في الوقت الذي تتمسك فيه فرنسا بأن الجزائر ستبقى فرنسية، بماذا كانت تطالب الطبقة لسياسية الجزائرية ؟

أثناء زيارة ميتران ذهب إليه وفد مشترك من سائر الأحزاب والهيئات[2]، ماعدا المصاليين فلما رفض استقبالهم ترك له الوفد رسالة تضمنت مجموعة مطالب " .. إننا وإن كنا لا يستمع إلينا في الدوائر الحكومية، فنحن الأصوات الوحيدة الممثلة لأصالة الشعب الجزائري "، أما المطالب فهي : إطلاق سراح المسجونين السياسيين، حرية الانتخابات ومنع تزوريها، احترام الحريات، وتطبيق النقاط التقدمية من دستور الجزائر[3].

بذه المطالب هل يمكن اعتبار الطبقة الساسية المعبر الحقيقي عن طموحات الشعب الجزائري ؟ فلماذا إذا وجدت نفسها معزولة بمجرد اندلاع الثورة ؟

هناك إذن رجال آخرون كانوا في مستوى وعي الشعب وأحسوا برغباته ،وهم الذين سيفجرون الثورة ،" إن الثورة ولدت نتيجة إرادة بعض الرجال الذين أحسوا وفهموا رغبة الجزائريين في التخلص من الاستعمار ،وتقرير مصيرهم بأنفسهم"[4].

في عام 1954 برز جناح ثالث داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عرف باسم اللجنة الثورية للوحدة والعمل، بعد الأزمة التي عرفها الحزب بين المصاليين والمركزيين، وفي تطرقه لهذه الأزمة يعتبرها فرحات عباس أزمة شخصية لزعيم الحركة مصالي الحاج من بعض نواحيها، ويفسر ذلك بقوله: " إن النظرية والعمل قلما يتعايشان في شخص واحد[5]، وبعبارة أوضح إن بوضياف ورفاقه كانوا مكملين لمصالي الحاج الذي لم يستطع أن يتحرر في الوقت

---

[1] مولود قاسم، نايت بلقاسم، **ردود الفعل الأولية داخلياً وخارجياً على ثورة نوفمبر**، الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، 1983، ص.4.

[2] ضم الوفد، المركزيون، البيانيون، العلماء، الشيوعيون، النقابة الشيوعية، وشخصيات أروبية مستقلة أنظر:المرجع السابق

[3] المرجع نفسه، ص.20.

[4] Ageron , op,cit , p.618

[5] عباس،المرجع السابق،ص260

المناسب من أسرالنظرية الثورية، بمعا آخر" إصطدام جيلين جيل صهر وصنع في بوتقة الكفاح آلة ثورية في ظل مذهب منبثق من الوطنية، وجيل يريد خوض معمعة العمل المباشر بلا تأخير ولا تأجيل"[1]، أي أن الجيل الجديد قد تجاوز القيادات التقليدية التي استغرقت مهمتها وأدت دورها في تيئة الرأي العام وإعداده لفكرة الاستقلال.

بعد استعدادات مكثفة قام با الشبان الثوريون، أعلن عن إنشاء تنظيم جديد سمي "بجبهة التحرير الوطني" التي فجرت الثورة في أول نوفمبر 1954، وتبنت برنامجا سياسيا ثوريا كان أول وثيقة سياسية أكد على أن تحل الأحزاب السياسية نفسها، وينظم أتباعها إلى الجبهة بصفة شخصية توحيدا لصفوف الشعب، فكيف سيكون موقف فرحات عباس ؟ وهل يستمر في سياسته السلمية في إطار الشرعية الاستعمارية ؟

يذكر فرحات عباس في كتابه تشريح حرب:" أنه التقى بالقاهرة في شهر جويلية 1954 بالسيد محمد خيضر، وقال له أن استراتيجية الجميع- ويعني الأحزاب- يجب أن تتجاوز في وقت قريب جدا ،لأن هناك وضعا جديدا يفرض علينا نفسه، ويجعلنا مجبرين للعمل في حزب واحد وسأله فرحات عباس هل الوضع الجديد يشبه زمن أحباب البيان والحرية ؟ فأجاب خيضر نعم ولكن بكيفية أفضل"[2]، وهذا يعني أنه وإن لم يكن مطلعا على يوم الثورة فهناك إشارات تدل على أن شيئا ما يحضر .

عند اندلاع الثورة في أول نوفمبر كانت اللجنة المركزية للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مجتمعة للنظر في مسألة المعونة المادية التي يمكن تقديمها لمنكوبي زلزال الأصنام، وفي النتائج السياسية المترتبة عن انقسام حركة الإنتصار يقول فرحات عباس: " سمعنا بأحداث أول نوفمبر فكانت كبرق أضاء سماء الجزائر"[3]، واعتبر أن العمليات المسلحة التي عرفتها البلاد في تلك الليلة إنما هي تجسيد للإنذارات المتكررة التي كان يوجهها للسلطة الاستعمارية وهي من جهة أخرى انتصارا على مزيفي الإنتخابات وأنصار الاضطهاد المسلط على الأهالي[4].

---

[1] عباس، المرجع السابق،ص.260.

[2] Abbas, Autopsie d'une guerre, op,cit, pp.45-46

[3] Ibid, p.44

[4] Ibid

والحقيقة أن الدارس لموقف فرحات عباس من الثورة يجد نفسه أمام الكثير من الغموض والإشكالية بين التصريحات السياسية والممارسة الفعلية لنشاطه في هذه الفترة، وبين كتاباته بعد الاستقلال فهل هذا يعني تبرير المواقف السياسية بأثر رجعي للتاريخ ؟ ففي كتابيه " تشريح حرب " و" ليل الإستعمار " يقول فرحات عباس إننا كنا مع الثورة منذ البداية " أما فيما يخص حزبنا فإن فاتح نوفمبر 1954 لم يحدث له أي مشكلة، بل كان ذلك اليوم حلا للمشاكل التي كنا نجابها من عشرات السنين"[1]، ثم استطرد ليقول" أصبحنا بين أمرين لا ثالث لهما : الالتحام بالشعب ،أو الانفصال عنه، فاختار حزبنا بالإجماع طريق التضامن الوطني"،[2] بينما بالعودة إلى تصريحاته في الأيام الأولى من اندلاع الثورة، نجد حزب UDMA قد علق على العمليات الأولى "إنا اليأس والفوضى والمغامرة"[3].

وفي الاتجاه نفسه جاءت تعليقات فرحات عباس حول الثورة في جريدته " الجمهورية الجزائرية " الصادرة يوم 12 نوفمبر :" إن الهياكل الإستعمارية جعلت خزان الحرارة ينفجر وبذلك وضعتها أمام الفوضى"[4] وفي المقال نفسه يوجه نداء للهدوء: "إن الاحتلال هو الذي غذى الاضطراب والعنف، الجزائر الآن كما هي سنة 1945 على عتبة مأساة كبيرة، مهددة في كل لحظة بالانقسام إلى فئتين متعاديتين، بكل ثمن يجب تجنب ذلك، الفرنسيون والمسلمون، يجب عليهم أن يقتنعوا بأن شقاقهم يستفيد منه البعض ،ولكنه قاتلا لجموع البلد... ونؤكد بكل اقتناع أن العنف لا يحل المشاكل"[5].

إن موقف فرحات عباس من خلال هذا التصريح واضح، فهولا يتفق في شيء مع نداء جبهة التحرير الوطني ،ورافض لأسلوب الكفاح المسلح، وبعد أن يحمل السلطات الاستعمارية مسؤولية الأوضاع المأساوية للجزائريين ،فإنه يعتقد بأن الحوار مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري هو الكفيل بحل المعضلة الجزائرية[6].

---

[1] عباس، المرجع السابق، ص.278.

[2] المرجع نفسه، ص.279.

[3] حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص.34.

[4] مولود قاسم، نايت قاسم، المرجع السابق، ص.64.

[5] عز الدين، معزة، المرجع السابق، ص.224، نقلا عن جريدة الجمهورية الجزائرية رقم 464 في 12 نوفمبر 1954 .

[6] Kaddache , et l’Algérie se libéra , op,cit , p.16

والحقيقة أن اندلاع الثورة كان مفاجئا لجميع الأطراف السياسية، ولذلك كانت ردود الفعل في الأشهر الأولى متحفظة وحذرة ومعادية عند البعض، فبالنسبة للعلماء ومن خلال البيان الصادر في جريدة البصائر يوم:05 نوفمبر تحدث عن ضرورة التريث ،أما الحزب الشيوعي فقد أدان الثورة ووصفها بالاعتداءات، بينما وصفها المركزيون بأنها أعمال إرهابية قام بها إرهابيون[1].

ولم يتخذ مصالي موقفا علنيا إلاّ يوم 8 نوفمبر بعد أن ترك الأحداث تتطور حتى يتمكن من تقييم الوضع الجديد، وفي تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية قال: " بمجرد الإعلان عن الأحداث التي جرت ليلة 31 أكتوبر إلى 1نوفمبر تعززت الرقابة المفروضة على شخصي بشكل خطير : لقد قلنا ذلك في وقت سابق ونكرره اليوم : لا يمكن وضع حد لهذه الإنفجارات التي ليست في الحقيقة سوى أعمال يائسة، إلا بإلغاء هذا النظام والاستجابة لطموحات شعبنا"[2].

لكن هذه المواقف ستتغير بداية من 1956 بحيث ستنظم معظم التيارات السياسية إلى الثورة ما عدا الحزب الشيوعي الذي بقي محافظا على تنظيمه السياسي، والمصاليين الذين أنشئوا في ديسمبر 1954 منظمة جديدة هي الحركة الوطنية الجزائرية MNA، التي دخلت في صراعات دموية مع الثورة بعد أن رفض مصالي الحاج عرض جبهة التحرير أن يكون الرئيس الشرفي للحكومة الثورية.[3]

هذا هو الموقف العام للحركة الوطنية فكيف سيتطور موقف فرحات عباس ؟ ولماذا لم يلتحق بالثورة في بدايتها ؟ ولماذا لم تتصل الثورة به ؟ .

لم يكن فرحات عباس يؤمن بأن جبهة التحرير الوطني التي ظهرت فجأة لتنقل الصراع السياسي إلى ميدان المعركة المسلحة قادرة على الاستمرار في الكفاح لمدة طويلة ويشترك في ذلك مع مختلف التشكيلات السياسية، وربما كان يعتقد أنها كبقية التجارب الماضية سيكون مآلها الفشل، يقول: " ليست المرة الأولى التي يحمل فيها العرب والبربر السلاح ضد الاحتلال الفرنسي"[4]، ومع ذلك كان يعتقد أن الصدمة التي أحدثتها الثورة سواء بالنسبة للإدارة الاستعمارية

---

[1] مولود قاسم، نايت بلقاسم . المرجع السابق، ص.64.

[2] عبد القادر،حميد، المرجع السابق، ص.127 نقلا عن:

Stora, Messali Hadj : pionnier du nationalisme algérien, paris, l'harmatan, 1991, p.201

[3] Kaddache , op,cit,p.14

[4] Abbas, autopsie d'une guerre, op,cit, p.46

أو المعمرين سوف تفتح طريق المفاوضات وسيكون هو أول المستفيدين منها لأنه يمثل الطرف المعتدل في الأزمة الجزائرية[1].

لم يتخذ فرحات عباس موقفا ثوريا لأنه كان يتحرك من كونه رجل سياسة لا يؤمن بالعنف الثوري، ومتمسكا بالشرعية الاستعمارية يملك مشروعا ،وبرنامجا سياسيا ناضل من أجل تحقيقه منذ الأربعينيات، وكان من الصعب التحول إلى مشروع آخر مختلف عنه تماما إلا بدراسة تطور مختلف الأحداث[2]، وربما ونظرا لتكوينه الإيديولوجي كان يعتقد بأن هناك أملا بأن تعود فرنسا إلى رشدها وتقدم على إصلاحات حقيقية لصالح الجزائريين.

وهناك مسألة أخرى ذات أهمية وهي أن فرحات عباس كان لا يزال متأثرا بأحداث الثامن ماي 1945، وكان يهاب أن تتكرر تلك الأحداث الدموية ثانية خاصة وأن مفجري الثورة هم من جيل أحداث ماي، وهذا كذلك ما يفسر عدم اتصال الجبهة بفرحات عباس في بداية الثورة فهؤلاء ظلوا يعتبرون فرحات عباس سياسيا عجوزا يعيش على الطريقة الفرنسية ويقولون عنه: إنه معتدل ومثقف لا يمكن الثقة فيه وأنه معروف بمواقفه التوفيقية ونبذه للعنف وابتعاده عن الراديكالية الثورية[3].

ظل فرحات عباس مترددا في موقفه، بينما إنضم بعض مناضلي حزبه إلى الثورة وهو ما جعل البعض يتهمه بازدواجية التعامل[4]، فقد استمر حزب فرحات عباس الإتحاد الديمقراطي في نشاطه الرسمي والقانوني بحيث كان يشارك في الانتخابات رغم أوامر جبهة التحرير بمقاطعة الانتخابات الجهوية، فعلى الرغم من وجود تلك الأوامر، وتأكيد قيادات المناطق على ضرورة الامتثال لها فإن ندوة إطارات الإتحاد الديمقراطي لمنعقدة بتاريخ 20 مارس سنة 1955 قد قررت المساهمة في العملية الإنتخابية، ولم يتحصل فيها الحزب إلا على8 مقاعد من 75 مقعدا.[5]

---

[1] Malika, rahal, **"Les Partisans de Ferhat Abbas face au 1er novembre"** , elwatan ,numéro spécial , 3novembre ,2004

[2] عبد القادر، حميد، المرجع السابق، ص.129

[3] المرجع نفسه، ص.128

[4] رابح، بلعيد، **"[illegible] عباس [illegible] طروادة الثورة الجزائرية"، تاريخ الجزائر الحديث، رسالة [illegible]**، العدد 160، من 20 إلى 26 أكتوبر،1997.

[5] Abdelhamed, Gazzaerek, **comment Abbas est passé au FLN** ? archives d'Algérie, édition marsa,Alger, n°08, mai 2005, p.28

فكانت هزيمة أخرى لسياسة الحزب فرغم التصريحات والالتزام العلني بالشرعية ورغم وعود الحاكم العام بالسهر على حسن سير الانتخابات، خسر الحزب الانتخابات بسبب التزييف الذي قامت السلطات الاستعمارية به من جهة، و لإحجام الأهالي امتثالا لتعليمات جبهة التحرير من جهة ثانية.

ورغم ذلك ظل فرحات عباس متمسكا بالحلول السلمية ويتخذ مواقف علنية متدرجة قليلا، ولكنها كانت تدور في الإطار العام المعروف به سابقا أي في تلك الوحدة الفرنسية،وهذا ما أكده تصريح الدكتور فرانسيس عضو مكتب هيئة الإتحاد الديمقراطي في الندوة الصحفية التي عقدها وفد النواب الجزائريين في باريس بتاريخ 4فيفيري 1955 بمناسبة مناقشة القضية الجزائرية في البرلمان الفرنسي ،حيث قال " إنه توجد في الجزائر حركة قومية طاغية،وأن هذه تطالب بتحقيق الجمهورية الجزائرية التي تكون متحدة مع الجمهورية الفرنسية"[1].

استمر حزب فرحات عباس في النشاط السياسي ،ولم يشمله قرار حل الأحزاب " وإذا كان لا يزال يتمتع من حيث الظاهر بالشرعية، فهذه الشرعية قد زالت نائيا في هذا البلد المتعرض لنكبات الحرب"[2]، وكانت فرنسا تدف من وراء سماحها لهذا الحزب المعتدل بممارسة نشاطاته إلى تحقيق أغراض معينة، فبالنسبة لها تعتبر السياسة المعتدلة مفيدة، ولكن الفائدة التي تسعى إليها ليست في الحوار أوفي إصلاح الأوضاع الفاسدة ،أوفي البحث عن حل يشرفها، بل فائدتا في إقناع الرأي العام الفرنسي والدولي بأنه توجد إلى جانب المتطرفين المناهضين لكل حل سلمي مجموعة أخرى راقية قريبة من الفرنسيين وذات أفكار غربية شبيهة بفكرهم السياسي، ومتجردة من التعصب[3].

أرادت إذن فرنسا أن تستفيد معنويا من فرحات عبّاس بطريقة غير مباشرة،ولذلك عندما كانت تتحدث عنه أو عن أتباعه،تقول عنهم إنم يساندون ولو بالسكوت نظام الحكم، كما أن فرنسا كانت تدرك جيدا أن فرحات عباس وأنصاره على اتصال مستمر بالثورة سرا،ومع ذلك لم

---

[1] أحسن، بومالي ـ **استراتيجية الثورة الجزائرية في مراحلها الأولى 1954-1956** ، المتحف الوطني للمجاهد، بدون تاريخ ص.193.

[2] الأشرف، المرجع السابق، ص.193.

[3] المرجع نفس،ص.193.

تلق القبض عليه[1]، وذلك لكي توهم الرأي العام بأنا رغم إعلانا للأحكام العرفية متسامحة،ولا تمانع في وجود معارضة سياسية[2].

كان فرحات عباس ينتظر الكثير من حكومة "منديس فرانس"الذي صرح عقب اندلاع الثورة أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية، وأنه غير مستعد للتنازل عن كون الجزائر فرنسية،مضيفا أن الذي حدث في تونس لن يحدث في الجزائر،وأعتبر فرحات عبّاس ذلك تسليم الجزائر لغلاة الكولون مما يعني غلق كل أفق أمام الجزائريين، فكتب في جريدة الجمهورية في 28جانفي 1955" إذا تنازلت باريس أمام الأوليغارشيات المالية،وأظهرت ضعفها ووهنها بخصوص وعد فرنسا واحترام القانون الفرنسي وتطبيقه،فإنه لن يبقى أمام الجزائريين سوى الاختيار بين السجن أو الجبال"[3].

بعد سقوط حكومة" منديس فرانس "في فيفري 1955 ومجيء حكومة "ادغار فور" عين "جاك سوستيل" كحاكم عام جديد، وجاء معه بسياسة إدماجية لخّصها في تحسين وضعية الأهالي وتطبيق مقرارات المؤتمر الإسلامي سنة 1936وقانون 1947، وستؤدي حسبه إلى الإسراع في ربط الجزائر بفرنسا بكيفية كاملة، وانطلق سوستيل من فكرة أنه لا يوجد في الجزائر مشكل سياسي وأن ما حدث لا يتعدى كونه مشاكل اجتماعية واقتصادية إن وجدت الحلول يتوقف العنف.

كانت خطة سوستيل تقوم على تكوين قوة ثالثة لعزل الثورة، معتمدا على الزعماء السياسيين المعتدلين، فألتقي بالشيخ "خير لدين" نائب رئيس جمعية العلماء،" وأحمد فرنسيس" عن UDMA و"حاج شرشالي" عن المركزيين في 28مارس1955[4]،والذي صاحبته دعاية كبيرة كما التقى فرحات عباس "بجاك سوستيل "في 2آفريل 1955 وكانت نظرتما مختلفة تماما، ويذكر أنه قال لجاك سوستيل "كلنا فلاقـة سيدي الحاكم، الشجعان منا حملوا السلاح، والأقل شجاعة إنم في

---

[1] كانت الشرطة قد عثرت على وثائق تثبت وجود اتصالات بين فرحات عباس وجبهة التحرير في 21جوان 55وألقت القبض على العديد من المناضلين ما عدا فرحات عباس والشيخ العربي التبسي ويشرح سوستال دوافع ذلك في الرسالة التي وجهها إلى وزير الداخلية أنظر :

les rapports secrets de Soustelle, Archives d'Algérie, N°08, Mais, 2005, op, cit, p.47

[2] الأشرف، المرجع السابق،ص .196.

[3] عبد القادر،حميد، المرجع السابق، ص.129.

[4] Stora, Daoud, op,p.212

مكتبكم هذا ،وفي مواجهتكم،إن إنهاء المشكل الجزائري لا يكون بالإدماج بل بإقامة جمهورية جزائرية ديمقراطية،حيث القانون يحمي المواطنين الفرنسية والمسلمة،إن الحل السريع هو التحاور مع الثوار،أخرجوا "رابح بيطاط وبن بولعيد"وضعوا بدلهما غلاة الكولون بذلك سينتصرالجميع"[1].

هذه الاتصالات أقلقت جبهة التحرير التي وجهت تحذيرا صارما جاء فيه"تدور شائعات تتأكد كل يوم بخصوص محادثات سرية تجري بين سوستيل وفرحات،و الرائد مونتاي"رئيس المجلس العسكري الحاكم" وكيوان،ومندوب وزارة الداخلية ومصالي،وتأمل الإدارة العسكرية، بواسطة عباس وكيوان ومصالي إيقاف حركة جيش التحرير الوطني في مقابل بضعة إصلاحات سياسية وفي هذا خطأ جسيم:فجيش التحرير الوطني لا يعترف لأي إنسان بالحق في أن يتكلم باسمه، فقط في وسع قادة جبهة التحرير الوطني في داخل الجزائر وخارجها أن يتكلموا باسم جيش التحرير"[2].

وبالفعل توقف فرحات عباس عن لقاء سوستيل عندما أصدر أعضاء البعثة الدائمة لحزب UDMA في القاهرة بيانا أبرزوا فيه رفضهم عقد أية مفاوضات،أو مشاورات مع الحكومة الفرنسية.

ظل فرحات عباس مترددا في اتخاذ موقف واضح غير أن تزوير انتخابات أفريل 1955 جعلته يتأكد أن الإصلاحات السياسية في الجزائر مستحيلة، هذا التحول جسده في خطابه الشهير في جيجل يوم 15 آفريل 1955 والذي عارض خلاله فكرة الجزائر فرنسية فقال:"لقد عرفنا منذ أول نوفمبر أحداثا خطيرة، وحدث وأن أطلق الاحتلال تسمية "الخارجون عن القانون"على رجال صعدوا إلى الجبال، إن النظام الاستعماري تحدى القانون وأخترقه منذ1948، وهو الذي تعدى على القوانين التي منحتها الجمهورية الفرنسية للمسلمين الجزائريين، ويوجد اليوم من يقول: إنه يوجد خارجون عن القانون،والحق أنه لا يوجد سوى شخص واحد خارج عن القانون في الجزائر وهو النظام الاستعماري نفسه، إن الخارجين عن القانون هم الحكام الأوربيون، هم رؤساء البلديات وإداريو البلديات "،ويختم خطابه بالقول "إننا نخاطب الحكومة الفرنسية إنكم تعلنون بأن الجزائر فرنسية ،ونرد عليكم بأننا عربية، إن الجزائر جزائرية"[3].

---

[1] Abbas, Autopsie d'une guerre, op, Cit, PP.74-75

[2] رابح، بلعيد، المرجع السابق.

[3] **Mai 1955, Ferhat Abbas Bascule le discours de Jijel, Archives d'Algérie**, op,Cit, p. 5

أنظر أيضا نص الخطاب في: Stora, Daoud, op, Cit, pp. 216-220

أعتبر هذا الخطاب بداية القطيعة مع الإحتلال، وأقتنع فرحات عباس بأن الجزائر جزائرية بعد استماتة كبيرة في الدفاع عن مشروعه، طرق خلالها كل الطرق لإقناع الفرنسيين والجزائريين بصحة وسلامة نظريته التي ربما اكتشف أخيرا أن الزمن قد تجاوزها وهو يرى الشعب الجزائري يلتف حول ثورته، كما اكتشف الأمة الجزائرية بعد صراع طويل مع نظام احتلال أعطاه فرحات عباس كل شيء دون أن ينال منه أدنى شيء.

2. انضمامه إلى الثورة :

إن المتتبع لموقف فرحات عباس منذ اندلاع الثورة يلاحظ استراتيجيته القائمة على الاعتدال والتردد بين دعم العمل الثوري لجبهة التحرير الوطني، وفي الوقت نفسه الإصرار على وضع نهاية للاحتلال عن طريق المفاوضات والطرق السلمية، فحتى بعد الاتصالات الرسمية بقيادة جبهة التحرير الوطني في ماي 1955، ظل فرحات عباس متأرجحا بين وفائه للوطن الأم وضرورة التحاقه بصفوف جبهة التحرير الوطني، فكيف انضم فرحات عباس إلى الثورة ؟ وهل اقتنع أخيرا بفشل سياسته القديمة ؟ وهل التحاقه بالثورة مجرد انتهازية سياسية؟

يذكر فرحات عباس أن أول اتصال له بجبهة التحرير كان في شهر جانفي 1955 حيث يقول:"في جانفي 1955 اتصلت أول مرة بجبهة التحرير الوطني عن طريق عمار القامة[1] وطلبت منه هل بالإمكان الاتصال بكريم أو عمران لتزويدي بالمعلومات؟ أجابني: حاليا مستحيل وعندما تسمح الظروف سأصلك بهم"[2].

هذا الاستعداد للانضمام إلى الثورة،لم يمنع فرحات عباس من تكثيف نشاطه انطلاقا من قناعته أن إنهاء الإحتلال ممكن جدا من دون إراقة الدماء، من خلال إصلاحات حقيقية سياسية واجتماعية،ثم جاءت انتخابات أفريل المزورة لتضعف من حماسه، من جهته كان عبان رمضان يعتقد بأن ضم جميع التشكيلات المعتدلة سيقوي الثورة داخليا ،ويعزل فرنسا سياسيا ويغلق أمامها أية محاولة لخلق قوة ثالثة.

---

[1] - مسؤول فرع الإتحاد الديمقراطي فرع القصبة السفلى بالجزائر أنظر: Stora ,Daoud, op, Cit, p. 220
وينفي العربي الزبيري ذلك أنظر: الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق،ص.155.

[2] Abbas, Autopsie d'une guerre, op, Cit, P.73

كان أول اتصال مباشر لفرحات عبّاس مع الثورة في 15ماي1955، وعن طريق الوسيط نفسه "عمّار القامة" الذي أمره بنقل رسالة إلى كريم بلقاسم ومما جاء فيها"فرحات عبّاس رئيس UDMA يريد الاتصال بجبهة التحرير في أقرب الآجال"[1].

كان كريم بلقاسم قلقا من مشروع سوستيل والذي كان الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ركنا أساسيا فيه، فكلّف مستشاره السياسي عبّان رمضان لإجراء اتصالات مع فرحات عباس وكان ذلك في 26ماي1955 في بيته بقلب العاصمة، بحضور كل من عبان رمضان وعمر، ودار حوار بينهم لخصه فرحات عبّاس في كتابه"تشريح حرب"بقوله "عند رجوعي من سطيف حيث قضيت هناك عيد الفطر،وفي ليلة 26ماي1955 دق عمار القامة بابي وكنت أتب للنوم وأخبرني أن هناك مسؤلين يريدان رؤيتي وهما عبان وأوعمران ودار بينهما حوار طويل، استعرض فيه فرحات عبّاس نضاله فقال عبّان رمضان"إن الثورة اندلعت يا سيدي عبّاس،والذين يخوضونها ليسوا هم مصالي، ولا حركتكم، كل هذا فاته الزمن، ومن واجبكم أن تلتحقوا بجبهة التحرير الوطني نحن بحاجة لرجال مثلكم، من غير المعقول أن تظلوا على الهامش، يقول عبّان إن فرحات عباس اندهش لما علم أن مصالي الحاج لا يقف وراء تفجير الثورة"[2].

ومن أهم النقاط التي اتفق عليها الطرفان هي ضرورة حل حزب الإتحاد الديمقراطي والانضمام إلى الجبهة، وطلب فرحات عباس مهلة للتشاور مع أعضاء الحزب الآخرين كما وعد فرحات عباس تدعيم الجبهة بالمال والأدوية[3].

بعد هذا اللقاء بأيام قليلة تلقى عبان رمضان حقيبة محمّلة بالأدوية، وبحكم علاقة فرحات عباس بالطبقة البرجوازية والسمعة التي يتمتع بها حزبه داخل هذه الأوساط، استطاع أن يقدم للجبهة 2مليون فرنك[4]،كما أقنع المقربين من مناضليه القيام بتوزيع المناشير لصالح الجبهة ،وإن كانت المهمة صعبة على أشخاص لم يتعوّدوا مناهضة فرنسا إلا أنها منحتهم شرف المناضلين الثوريين.

---

[1] Stora ,Daoud, op, p. 221

[2]- أنظر نصّ الحوار كاملا في: Abbas, Autopsie d'une geurre, op, Cit, PP. 82-83

Hassen, Fassi, **Abane étoffe le FLN, Ferhat Abbas se rallie,** Archives d'Algérie, op,cit, p.10

[3] Abbas,op;cit, P. 83

[4] Ibid.

قدم فرحات عباس في هذا اللقاء تعهدا شخصيا بالإنضمام إلى الثورة، لكنه لم يحسم في انضمام الحزب إلا بعد استشارة إدارته وخاصة مستشاريه الرئيسين أحمد بومنجل وأحمد فرنسيس اللذين وافقا على اقتراح عبان.

ظل فرحات عباس متمسكا بإمكانية إيجاد حل سلمي ولذلك اقترح على عبان رمضان وساطة أخيرة فقال: " أعرف أناسا كثيرين في باريس، وهناك يستمعون إلي أكثر من هنا، امنحوا لي فرصة توقيف هذه الحرب المفجعة لكل الأطراف"[1].

وافق عبان على اقتراح فرحات عباس، ولكن على شرط أن يمر التفاوض عبر جبهة التحرير، وفي باريس التقى برئيس الحكومة " إدغارفور "و اقترح عليه وضع دستور بإمكانه أن يجعل من الجزائر دولة مشتركة مع فرنسا، وطلب منه أن يرسل إلى الجزائر نائب رئيس المجلس ليشكل مع جبهة التحرير الوطني والنواب الأوروبيين حكومة مؤقتة حتى يحقق ذلك المواطنة الجزائرية[2]، لكن هذه الاقتراحات قوبلت باللامبالاة والرفض من منطق أن المفاوضات الوحيدة هي الحرب، وأن فرنسا قادرة على إجهاض الثورة عسكريا .

كانت السلطات الفرنسية تعلم بالاتصالات الجارية بين فرحات عباس وجبهة التحرير الوطني، خاصة بعد احتجاز الشرطة لوثائق سرية في 21 جوان 1955 تتمثل إحداها في رسالة من محمد بوضياف منسق الوفد الخارجي، موجهة إلى مكتب جبهة التحرير بالقاهرة وتتضمن اتصالات الجبهة بفرحات عباس، لكن استراتيجية جاك سوستيل هي عدم الدخول في مواجهة مع من أسماهم بالمعتدلين ،والضغط عليهم للمحافظة على ولائهم .

في أوت 1955 كانت الثورة تمر بظروف صعبة ببروز بعض الصراعات الداخلية[3]، وفي إطار سياسته العصا والجزرة يقترح"جاك سوستيل" إصلاحات سياسية لإطفاء نار الثورة وذلك بتطبيق مبدإ المساواة في الحقوق تدريجيا، ولكي يثبت ما أبداه وبصورة خاصة لتهدئة الوطنيين، قام

---

[1] Abbas ,autopsie d'une guerre,op.cit,p.84

[2] Ibid

[3] نقصد هنا الخلاف في منطقة الأوراس بين عجول وعباس لغرور من جهة وشيهاني البشير من جهة أخرى بعد إلقاء القبض على مصطفى بن بولعيد، إضافة إلى صراع آخر بين عبان رمضان وكريم بلقاسم

بإطلاق سراح قيادة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، هذه السياسة كان يهدف من ورائها تجريد الثورة من شعبيتها والتشكيك في المبادئ التي أعلنتها في بيان أول نوفمبر[1].

في المقابل صادق المجلس الوطني الفرنسي في 31مارس 1955 على تطبيق حالة الطوارئ بالجزائر،بداية بمنطقة الأوراس التي تحملت العبء الأكبر منذ اندلاع الثورة، لأن السلطات الفرنسية اعتبرتها قلعة للثورة، فشنت بها عدة عمليات كبرى، وطبقت مبدأ المسؤولية الجماعية[2] في هذه الظروف قدر زيغود يوسف الذي حل محل ديدوش مراد الذي أستشهد في13جانفي1955"أنه من الضروري إنقاذ الثورة بزيادة الصراع وتجذير النضال بمشاركة الشعب فيه، وجعل كل مصالحة مع الخصم أمرا مستحيلا والوصول بالنزاع إلى نقطة اللاعودة"[3] فكانت هجمات 20أوت1955 النفس الثاني للثورة .

إن تأثير الهجمات كان كبيرا وحاسما ليس على الفرنسيين فقط الذين أصيبوا بالصدمة بل وعلى الجزائريين، فقد قضت نهائيا على الحلول المشلولة التي كانت تراود بعض السياسيين الجزائريين، لقد أصبحت الهوة عميقة بين الجزائريين والأوربيين، وأن العودة إلى الوراء أصبحت مستحيلة.

لقد قضت هذه الهجومات على آمال سوستيل في عزل جبهة التحرير عن طريق منح بعض الحقوق للجزائريين، بالاعتماد على بعض المعتدلين ،ومنهم فرحات عباس الذي يقول:"إلى غاية 20أوت1955لم تتدهور الأوضاع، وكان شعبنا في غالبيته يؤمن بوجود حل معجزة ستفرضه فرنسا على المستعمرة، وبن بولعيد نفسه لم يكن معاديا لتغيير تدريجي لنظام الجزائر، لكن بعد 20 أوت انتهى كل شيء"[4].

ولفرحات عباس تصور آخر لهذه الأحداث فهو يرجع أسبابها إلى أزمة الضمير التي كان زيغود يوسف يجتازها في ذلك الوقت وتتمثل الأزمة، حسب رأيه في شعور قائد المنطقة الثانية بأنه السبب في استشهاد ديدوش مراد إنما يرجع إلى الأخطاء التي أرتكبها هو، كدليل يعرف المنطقة

---

[1] محمد لحسن، زغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1950-1962**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص. 88

[2] المرجع نفسه، ص.91

[3] سليمـان، الشيخ، المرجع السابق،ص. 280

[4] Stora ,Daoud, op, Cit, p.234

وسمح للفرقة بأن تجتاز أرضا مكشوفة[1]،ويضيف بأن هذه الأحداث اتخذت كغطاء لتصفية حسابات قديمة مثل: انتقامه من علاوة عباس[2] الذي كان قبل الثورة قد انتصر في الانتخابات على مرشح حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية،ويذكر فرحات عباس أنه كان شخصيا ضمن المحكوم عليهم بالإعدام هذا ما صرح له به ابن طوبال فيما بعد ظنا منه أنه كان يجمع التبرعات لصالح حزبه ،ولم يكن يعلم باتصالاته بالجبهة[3].

ورغم هذا الموقف من هجمات 20 أوت، إلا أن فرحات عباس يعترف لزيغوت يوسف بوطنيته وبطولته، فلإنقاذ الثورة كان هذا الأخير مستعدا للتضحية بنصف الجماهير يجب أن نموت لكي تستمر الثورة وتعيش هكذا كان يقول زيغوت يوسف .

ونعتقد أن فرحات عباس قد أثار إشكاليتين أثرت على مسار الثورة وحتى بعد الاستقلال،الإشكالية الأولى هي انتقال الخصومات السياسية لمناضلي الحركة الوطنية إلى الثورة وما ترتب عنه من صراعات وتصفية حسابات شخصية وسياسية،وإن كانت في تلك الفترة لم تبرز إلى السطح على الأقل بالنسبة للقاعدة، الإشكالية الثانية هي علاقة المثقفين بالعسكريين والتي ستبرز خاصة منذ مؤتمر الصومام والتي أخذت أبعادا سياسية وإيديولوجية أثرت على مسار الثورة.

جعلت هجمات 1955، مختلف التيارات السياسية ،وإطاراتها تفكر جديا في نوعية العلاقات التي ينبغي أن تقيمها مع جبهة التحرير، بداية بحركة المنتخبين الجزائريين التي ستعرف أعمالها فيما بعد بلائحة الواحد والستين، والتي تمحورت حول وقف الأعمال العسكرية، وإطلاق سراح المساجين ثم التفاوض مع المحاربين[4]، وقد صيغت هذه اللائحة يوم 26سبتمبر 1955، وفيها اعتراف مباشر بأن جبهة التحرير هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، وقد لعب نواب الإتحاد الديمقراطي دورا كبيرا في صياغة اللائحة بالكيفية التي تضمن إضفاء الطابع الوطني على القضية الجزائرية.

---

[1] Abbas,autopsie d'une guerre, op, Cit, P. 104

[2] من أقارب فرحات عباس، صيدلي قتل في هذه الأحداث،بتهمة إدانته الثورة بالعنف، وتصريحاته بان UDMA هي الممثل الشرعي للشعب الجزائري، وينفي فرحات عباس هذه التهمة بدليل العثور على ثلاثة محاضر استلام بمبلغ 100.00فرنك بإمضاء مسوؤل عن الجبهة وأنه لما التحق بالجبهة اعترف له بعض قادتها أنه قد وقعت أخطاء أثناء هجمات عشرين أوت أنظر: Abbas, op, Cit, P. 106

[3] Ibid, P.107

[4] الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول،ص.161

مع بداية 1956 التحقت مختلف التيارات الوطنية بالثورة، منهم المركزيون والعلماء بشكل رسمي، حيث دعا الشيخ العربي التبسي[1] في 7 جانفي الجزائريين للالتحاق بالثورة وخاصة طلاب المدارس الحرة، التي التحق الكثير من طلبتها بالثورة منذ الأيام الأولى لأن المعركة الدائرة هي جهاد من أجل الإسلام والحرية والوطن.

أما فرحات عباس فقد صرح لجريدة l'action التونسية قائلا:"لا أملك أية صفة للتشاور مع فرنسا (....) فالرجال الذين يقودون الحركة هم الذين يملكون شرعية التشاور وأعتقد أن فكرة الجمهورية المستقلة التي اقترحتها لا تزال قائمة، لكنني لن أدافع عنها وعن أي حل آخر ولن ألتزم بأي حل سياسي إذا لم تفوضني جبهة التحرير الوطني"[2] .

وعلى إثر اجتماع UDMA بسويسرا يوم 30 جانفي 1956، توصل أحمد بومنجل والدكتور فرنسيس إلى إقناع فرحات عباس بضرورة الإعلان الرسمي عن التحاق حركتهم بالثورة استنادا إلى دراسة ميدانية قاما بها، أكدت لهما أن 90% من سكان الأرياف التحقوا بالثورة[3].

قبل مغادرته الجزائر يذكر فرحات عباس أنه التقى الشيخ العربي التبسي رفقة الشيخ خير الدين، وقال له كلاما مؤثرا مما جاء فيه" لا ندري هل سنلتقي ثانية لكنني أوصيك أن لا تنسى أن الجزائر بلد إسلامي، وباسم الإسلام يحارب الجزائريون ويموتون، وعندما تحين ساعة النصر إن شاء الله احرص أن يكون الإسلام أساس الصرح الجديد"[4]، كما التقى بعبان رمضان للمرة الرابعة وأبلغه حاجة الثورة إليه في الخارج وثقل المهمة التي كلف بها والتي لخصها فرحات عباس[5] في:

1. تدويل القضية الجزائرية وتحطيم أسطورة الجزائر فرنسية.
2. جلب الدعم المادي والعسكري لجيش التحرير الوطني حتى تبقى معنوياته مرتفعة.
3. المحافظة على روح التضامن والوحدة بين ممثلي الثورة في الخارج، وتجنب الانقسامات والانشقاقات بنبذ العقلية الحزبية.

[1] بعد هذا التصريح تعرض الشيخ العربي التبسي للاختطاف ثم القتل من طرف قوات الإحتلال

[2] Stora,Daoud, op, Cit, p. 241

[3] ibid

[4] Ibid, P.244

[5] Abbas,autopsie d'une guerre, op, Cit, P. 179

4. لا زعامة في الثورة، الشعب هو السيد وإلا سننتقل من سيطرة إلى سيطرة أخرى، ومن عبودية إلى عبودية أخرى.

كان هذا تصور فرحات عباس عن دوره في الثورة، فإلى أي مدى سينجح في ذلك؟

غادر فرحات عباس الجزائر في 7أفريل باتجاه باريس حيث التقى عدة شخصيات فرنسية، ثم توجه بعدها إلى سويسرا رفقة أحمد فرنسيس، وقد علق على هذه اللحظات فيما بعد"إن صفحة من حياتي قد طويت، كنا نؤمن بالحوار بين الفرنسيين والمسلمين، لكن النظام الاستعماري المتعنت الرافض لكل تجديد وتغيير، والذي لم يكن يؤمن إلا بالحلول القائمة على القوة، دفعنا لأن نصبح علنية رجالا يناضلون في جبهة التحرير الوطني لأجل شرف وطننا. لم يبق أي حل آخر باستثناء النضال إلى جانب إخواننا، وقد برهنت الأحداث على صواب موقفنا" .[1]

في 26 أفريل 1956 بالقاهرة يعقد فرحات عباس ندوة صحفية بمقر جمعية العلماء المسلمين أعلن فيها انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني رسميا، ويذكر فرحات عباس أنه لقي ترحيبا كبيرا من أعضاء وفد جبهة التحرير في القاهرة وخاصة أحمد بن بلة، الذي أخبره بقوله:"إنه أسعد يوم في حياتي، ولكي أبرهن على سعادتي سأظهر علنا ولأول مرة إلى جانبك". [2]

بانضمامه إلى الثورة وضع فرحات عباس حدا لثلاثين سنة من النضال السياسي المتعثر، وقد علقت صحيفة " observateur"الفرنسية على ذلك بالقول: "رغم شدة الحرب في الأسبوع الأخير إلا أن الحادث الرئيسي في الموقف اليوم، هو أن زعيم البيان قد أصبح منذ الآن من المتكلمين الرئيسيين باسم الوطنيين الجزائريين، فوجود فرحات عباس ،وتوفيق المدني جعل الاتصال بين جبهة التحرير والحكومة الفرنسية أكثر إمكانية وأقرب منالا".[3]

وتساءلت الصحيفة عما إذا كانت الحكومة الفرنسية قد أغمضت عينيها عن سفره إلى القاهرة، وهل وجود فرحات عباس في القاهرة سيسهل أم لا مسألة التفاوض في يوم من الأيام وخلصت في الأخير إلى أن انضمام فرحات عباس قد عزز الجبهة ،ولكنه في الوقت نفسه عزز

---

[1] Stora, Daoud,op,cit,p.245

[2] ibid,p.250 حضر الندوة:حسين آيت احمد،أمحمد بزيد،أحمد توفيق المدني، محمد خيدر،لمين دباغين، بن بلة،أنظر

[3]. عبد الله، شريط، **الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1995، ص.237

حظوة السلم أيضا[1]، وهي في الحقيقة نظرة الكثيرين، فاعتداله السياسي ونبذه للعنف يجعله أقرب إلى هذا الدور.

حققت الثورة بانضمام فرحات عباس والعلماء انتصارا سياسيا، فقد نجحت في جمع كل القوى الوطنية ،وإشراك جميع الجزائريين على مختلف انتماءاتم السياسية والفكرية وطبقاتم الاجتماعية من نخبة وفئات شعبية[2]، وما كان في نظر الفرنسيين على أنه مغامرة من الفلاحين تحول إلى ثورة حقيقية[3].

أما بالنسبة لفرحات عباس، فإنه بانضمامه إلى الثورة رسميا قد وضع حدا للشبهات التي استهدفته، وقطع عن فرنسا ما تتذرع به من حجج بتواجده بالجزائر، وقيامه بدور سلبي عقيم ومما لا شك فيه أن فرحات عباس برهن عن تواضعه عندما أقلع عن السياسة البائدة لسياسة الزعامات ورضي بالقاعدة المطبقة على الجميع، بالعمل جنبا إلى جنب مع القادة الشبان في الجبهة وجيش التحرير"[4].

وبانضمام فرحات عباس إلى الثورة كسبت رجلا سياسيا محنكا على إطلاع واسع بخبايا الإدارة الاستعمارية، سيترك بصماته من خلال نشاطه السياسي ،والدبلوماسي، رغم ما تخلله من صراعات بين الأخوة الأعداء عمل أن يبقى بعيدا عنها، مما أهله أن يكون محل إجماع ووفاق رغم تحفظات بعض العسكريين الذين كانوا يخشون صعود من يسمون بالمعتدلين إلى مراكز القرار[5].

إن فرحات عباس رغم بدايته السياسية التي أحيطت بالغموض بشأن النضال السياسي الذي كان يستلهمه من الفكر الفرنسي ،وتصوراته المتعلقة بالجزائر الفرنسية آنذاك، اعتقد أنه يستحيل التفكير بضرورة الاستقلال، اللهم إلا محاولة رفع نضال الشعب الجزائري آنذاك في إطار النظرة الإصلاحية التي كانت تعد في نظره بمثابة نقلة نوعية في مسار العمل السياسي، إلا أنه اتخذ من المرحلية منطقا سياسيا، وهذا ما جعله يكون من السياسيين القلائل في الحركة الوطنية وإبان الثورة التحريرية، الذين عرفوا صعودا سياسيا منطقيا ومتلازما مع المتغيرات التي عرفتها الحركة الوطنية بما فيها انخراطه في العمل الثوري.

---

3 شريط ، المرجع السابق،ص.237.

2 Teguia, op.cit,p.236.

3 عبد القادر، حميد، مرجع سابق، ص.146.

4 الأشرف، ص.197.

5 Ibid, p.237.

إن الدارّس لمسار فرحات عباس يجده نتاج كل ما هو فرنسي على مستوى فكري وسياسي ،وجزائري مسلم من حيث الجذور والنشأة .هذا الخليط دفع بالمؤرخ شارل آندري جوليان بالقول : " شخصية فرحات عباس معبأة ببعد روحي مبهم وبرباطة جأش مقلقة " ليضيف " هي آلام ومعاناة مثقف هجين " ،هذه التركيبة في شخصية فرحات لم تكن تشكل عقبة في مساره السياسي الذي تميز بالتطور والمرحلية لخصها صحفي جريدة لوموند جون لاكوتير " إن رحلة فرحات عباس كانت رحلة بحث عن وطن في فرنسا أولا ثم مع فرنسا ،ثم خارج فرنسا "

<u>المرحلة الأولى :</u> وهي مرحلة التمثل والاندماج في فرنسا ، أو كما عبر عنها فرحات عباس التحول من المستعمرة إلى المقاطعة ،وهي المرحلة التي كان فيها مبهورا بأنوار الحضارة الغربية وسعى بكل قوته التنظيرية والسياسية إلى دفع المجتمع الجزائري باتجاه النموذج الغربي ،وعبر عن ولائه ورغبته في التطور ضمن الإطار الفرنسي وضمن القوانين الفرنسية ،ومثالية متأثرة بعصر التنوير اعتقد فرحات عباس أنه بإبراز الوجه المشرف للثقافة الفرنسية، ومبادئ ثورة 1789 يمكن القضاء على الإيديولوجية الكولونيالية المتعصبة ،لقد آمن بصدق بأن فرنسا الوطن الأم كانت تختلف عن فرنسا الاستعمارية ،وبأن فرنسا باريس كانت غير فرنسا الجزائر العاصمة ،وبأن فرنسا "حقوق الإنسان " ليست فرنسا "قانون الإنديجينا" وأنه كان من الممكن التحالف مع الأولى لمواجهة الثانية ،وهذا ما يفسر وعيه المبكر بضرورة التحرك ومنع حدوث الاصطدام بالإدارة الاستعمارية قبل تحديد خصوصيات الفرد الجزائري المسلم والمتعلقة أساسا بهويته وانتمائه . فالأولوية عنده في هذه المرحلة لم تكن للنضال السياسي بل للمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية لفئات الفلاحين، واختيار منهج إيديولوجي يقوم على الدمج بين الإسلام والثقافة الفرنسية .

تبلور فكر فرحات عباس خلال هذه المرحلة في البحث عن الذات الجزائرية المسلمة وانطلق لتحقيق ذلك من المطالبة بترقية المجتمع الجزائري ،ودمجه في نظيره الفرنسي ،من منطلق حقه في المواطنة ،وليس عن طريق تجنيس فئة قليلة بموجب تخليها عن أحوالها الشخصية ،وهو بذلك قد اختلف عن باقي أفراد النخبة في انه رفض التجنيس الشكلي والفئوي ،وتمسك

بأحواله الشخصية الإسلامية ،وهذا المطلب الذي اعتبره البعض سلبيا لأنه دعوة للاعتدال عبر عن قناعة فئة بارزة من النخبة .

اعتقدت هذه الفئة التي يمثلها فرحات عباس أن شهاداتنا ومستواها التعليمي يؤهلها لأن تكون في مرتبة المعمرين ويكسبها مكانة سياسية تعطيها مشروعية تمثيل الجزائريين ،لكن هذه المثالية جعلتها معزولة عن المجتمع من جهة دون أن تكسب ثقة الإدارة الاستعمارية والمعمرين من جهة أخرى ،فبقيت أسيرة هذا الصراع الداخلي .

المرحلة الثانية : البحث عن وطن مع فرنسا أو مرحلة التعايش مع فرنسا.

انتقل فرحات عباس في هذه المرحلة من مرحلة التقليد الفكري خلال الثلاثينيات ،والتي نجم عنها تأصيل القيم المثالية للثقافة الفرنسية والمبادئ الإسلامية في نفسه إلى مرحلة الاكتساب، والتحصيل النضالي الحافل في الأربعينيات على مستويين أولا بمواصلة النهج السلمي واستراتيجية الحوار في النضال السياسي ضد الاستعمار، وثانيا بتوعية الجماهير الشعبية وتكتلها وجعلها تؤدي دورها في مواجهة الاستعمار .

أدى اليأس من فرنسا وخيبة الأمل في النموذج الفرنسي بفرحات عباس إلى إعادة النظر في أفكاره السابقة، وممارسة نقد ذاتي مع الإبقاء على روح الشاب الجزائري، والوفاء للمبدأ الديمقراطي، وتقاليد الجمهورية مع التمسك بالانتماء للفئات الشعبية، وشيئا فشيئا تطور إلى مرحلة وسطى ومعتدلة ،فانتقل من المطالبة بالإدماج إلى المطالبة بالفيدرالية .وأصبح ذلك واضحا في خطاباته ومقالاته التي كان ينشرها وفي برنامج حزبه الاتحاد الشعبي . لكنه احتفظ في الوقت نفسه بفكرة كون الجزائر مقاطعة فرنسية تحتفظ بلغتها وعاداتنا وتقاليدها .وكانت تجربة البيان الجزائري بمثابة القطيعة مع سياسة الإدماج ،ومع أسطورة المهمة الحضارية لفرنسا في الجزائر .

هذا التحول لخصه فرحات عباس في وصيتة السياسة " لا اندماج ولا حاكم جديد ،ولا انفصالية ،بل شعب يافع يتلقى تربيته الديمقراطية والاجتماعية وتجهيز نفسه صناعيا وعلميا ،يواصل تجدده الفكري والمعنوي بالشراكة مع أمة حرة عظيمة " ،وهو بذلك قد ظل وفيا لثقافته الليبرالية والرومانسية التي ترفض العنف والمواجهة المسلحة فهو جمهوري يؤمن بتحكيم العقل لحل الأزمات ،ويؤمن بقدراته الفكرية أكثر من إيمانه باستعمال العنف ،فمواجهة الاستعمار يجب أن لا تتعدى الشرعية الاستعمارية، أو الثورة عن طريق القانون .

وقد حدث هذا التحول نتيجة الاحتكاك المستمر بالإدارة الاستعمارية سواء بالجزائر أو بفرنسا ،وخاصة نتيجة الاحتكاك مع أطراف، وقيادات الحركة الوطنية من العلماء ودعاة الاستقلال .

المرحلة الثالثة : البحث عن وطن خارج فرنسا أو الانفصال عن فرنسا.

رغم تجربة ماي 1945 ظل فرحات عباس أسير المطلب الفيدرالي، والجمهورية الجزائرية داخل الاتحاد الفرنسي ،وإن أضاف شيئا من الاستقلال إلى أفكاره السابقة إلا أن ذلك لم يتجاوز المشروعية الاستعمارية، والعمل الانتخابي بالدرجة الأولى ،أي الإبقاء على العلاقات المتميزة مع فرنسا ،لكن اندلاع الثورة الجزائرية، وارتباط الجزائريين في العمل المسلح ،جعل أسلوب الثورة بالقانون قد تجاوزه الزمن ،فكان عليه إما أن يساير أمته التي ناضل لأجلها وبطريقته، وإما أن يبقى على هامش التاريخ ،لكن ثقافته وتفاعله مع اللحظة التاريخية وفق ما تمليه قوانين المجتمع جعلته يقتنع أخيرا أن مكانته مع جماهير الشعب مقدما خبرته السياسية الطويلة رغم اقتناعه إلي آخر لحظة أن هناك طريقا آخر للتخلص من الهيمنة الاستعمارية غير طريق العنف .

إن القراءة العميقة لأفكار فرحات عباس وتطورها تؤكد أنه امتلك رصيدا معرفيا غنيا متنوع المشارب ،كونه عن طريق شغفه بالمعرفة وبحثه الدائم عن جوهر الأشياء ،وتطلعه إلى التجارب الإنسانية ،هذا ما مكنه من تحصيل رؤية ثاقبة في التحليل والنقد ،واكسبه مرونة استفاد منها في نضاله السياسي ،فمثل نموذجا صعبا ،معقدا ومزدوجا عكس طموح المثقف الجزائري المسلم لتحقيق التغيير في نفسه أولا ،ثم في المجتمع ككل .

إن الخطاب السياسي لفرحات عباس الجانح إلى السلم واستراتيجية الحوار، والمعبر عن إيديولوجية النخبة المثقفة قد أفرز تنوعا في حركة المطالب الجزائرية ،وأسهم من حيث الأفكار والتصورات في تطور مسار الحركة الوطنية النظري ،وتميز الخطاب السياسي النخبوي من الروح الاستعمارية المغرضة التي طبعته ،بأن أبدى عداءه المباشر لتلك الذات الكولونيالية ،وفضح تلاعبات السلطة وتآمرها مع الكولون ،وحتى وإن انتهى هذا الخطاب إلى الإخفاق إلا أنه كون جيلا من المناضلين المطلعين على خبايا الإدارة الاستعمارية سيشاركون على غرار فرحات عباس في تأطير الثورة التحريرية .

خاتمة

تتجلى مساهمة فرحات عباس في سيرورة الحركة الوطنية من حيث الجهد التنظيري الفكري المتعلق بفلسفة المجتمع والدولة ،ومن خلال مساره النضالي المطلبي ،إضافة إلى أن المشروع السياسي الذي حمله فرحات عباس شمل مثالية الفكر الجمهوري، وواقعية المجتمع الجزائري ،هذا المشروع طبعته اللمسة الليبرالية، وارتكز على القيم الإسلامية الراقية ،وفق تطور تدريجي انتقل من المهادنة والاعتدال إلى المواجهة والتطرف من غير عنف .

إن الدارّس لمسار فرحات عباس يجده نتاج كل ما هو فرنسي على مستوى فكري وسياسي ،وجزائري مسلم من حيث الجذور والنشأة .هذا الخليط دفع بالمؤرخ شارل آندري جوليان بالقول : " شخصية فرحات عباس معبأة ببعد روحي مبهم وبرباطة جأش مقلقة " ليضيف " هي آلام ومعاناة مثقف هجين " ،هذه التركيبة في شخصية فرحات لم تكن تشكل عقبة في مساره السياسي الذي تميز بالتطور والمرحلية لخصها صحفي جريدة لوموند جون لاكوتير " إن رحلة فرحات عباس كانت رحلة بحث عن وطن في فرنسا أولا ثم مع فرنسا ،ثم خارج فرنسا "

المرحلة الأولى : وهي مرحلة التمثل والاندماج في فرنسا ، أو كما عبر عنها فرحات عباس التحول من المستعمرة إلى المقاطعة ،وهي المرحلة التي كان فيها مبهورا بأنوار الحضارة الغربية وسعى بكل قوته التنظيرية والسياسية إلى دفع المجتمع الجزائري باتجاه النموذج الغربي ،وعبر عن ولائه ورغبته في التطور ضمن الإطار الفرنسي وضمن القوانين الفرنسية ،وبمثالية متأثرة بعصر التنوير اعتقد فرحات عباس أنه بإبراز الوجه المشرف للثقافة الفرنسية، ومبادئ ثورة 1789 يمكن القضاء على الإيديولوجية الكولونيالية المتعصبة ،لقد آمن بصدق بأن فرنسا الوطن الأم كانت تختلف عن فرنسا الاستعمارية ،وبأن فرنسا باريس كانت غير فرنسا الجزائر العاصمة ،وبأن فرنسا "حقوق الإنسان " ليست فرنسا "قانون الإنديجينا" وأنه كان من الممكن التحالف مع الأولى لمواجهة الثانية ،وهذا ما يفسر وعيه المبكر بضرورة التحرك ومنع حدوث الاصطدام بالإدارة الاستعمارية قبل تحديد خصوصيات الفرد الجزائري المسلم والمتعلقة أساسا بهويته وانتمائه . فالأولوية عنده في هذه المرحلة لم تكن للنضال السياسي بل للمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية لفئات الفلاحين، واختيار منهج إيديولوجي يقوم على الدمج بين الإسلام والثقافة الفرنسية .

تبلور فكر فرحات عباس خلال هذه المرحلة في البحث عن الذات الجزائرية المسلمة وانطلق لتحقيق ذلك من المطالبة بترقية المجتمع الجزائري ،ودمجه في نظيره الفرنسي ،من منطلق حقه في المواطنة ،وليس عن طريق تجنيس فئة قليلة بموجب تخليها عن أحوالها الشخصية ،وهو بذلك قد اختلف عن باقي أفراد النخبة في انه رفض التجنيس الشكلي والفئوي ،وتمسك

بأحواله الشخصية الإسلامية ،وهذا المطلب الذي اعتبره البعض سلبيا لأنه دعوة للاعتدال عـبر عن قناعة فئة بارزة من النخبة .

اعتقدت هذه الفئة التي يمثلها فرحات عباس أن شهاداتا ومستواها التعليمي يؤهلها لأن تكون في مرتبة المعمرين ويكسبها مكانة سياسية تعطيها مشروعية تمثيل الجزائريين ،لكن هـذه المثالية جعلتها معزولة عن المجتمع من جهة دون أن تكسب ثقة الإدارة الاستعمارية والمعمـرين من جهة أخرى ،فبقيت أسيرة هذا الصراع الداخلي .

المرحلة الثانية : البحث عن وطن مع فرنسا أو مرحلة التعايش مع فرنسا.

انتقل فرحات عباس في هذه المرحلة من مرحلة التقليد الفكري خلال الثلاثينيات ،والتي نجم عنها تأصيل القيم المثالية للثقافة الفرنسـية والمبـادئ الإسـلامية في نفسـه إلى مرحلـة الاكتساب، والتحصيل النضالي الحافل في الأربعينيات على مستويين أولا بمواصلة النهج السلمي واستراتيجية الحوار في النضال السياسي ضد الاستعمار، وثانيا بتوعية الجماهير الشعبية وتكتلها وجعلها تؤدي دورها في مواجهة الاستعمار .

أدى اليأس من فرنسا وخيبة الأمل في النموذج الفرنسي بفرحات عباس إلى إعادة النظر في أفكاره السابقة، وممارسة نقد ذاتي مع الإبقاء على روح الشاب الجزائري، والوفاء للمبـدأ الديمقراطي، وتقاليد الجمهورية مع التمسك بالانتماء للفئات الشعبية، وشيئا فشيئا تطـور إلى مرحلة وسطى ومعتدلة ،فانتقل من المطالبة بالإدماج إلى المطالبة بالفيدرالية .وأصـبح ذلـك واضحا في خطاباته ومقالاته التي كان ينشرها وفي برنامج حزبه الاتحاد الشعبي . لكنه احـتفظ في الوقت نفسه بفكرة كون الجزائر مقاطعة فرنسية تحتفظ بلغتها وعاداتا وتقاليدها .وكانـت تجربة البيان الجزائري بمثابة القطيعة مع سياسة الإدماج ،ومع أسطورة المهمة الحضارية لفرنسـا في الجزائر .

هذا التحول لخصه فرحات عباس في وصيته السياسة " لا اندماج ولا حاكم جديد ،ولا انفصالية ،بل شعب يافع يتلقى تربيته الديمقراطية والاجتماعية وتجهيز نفسه صـناعيا وعلميـا ،يواصل تجدده الفكري والمعنوي بالشراكة مع أمة حرة عظيمة " ،وهو بذلك قد ظـل وفيـا لثقافته الليبرالية والرومانسية التي ترفض العنف والمواجهة المسلحة فهو جمهوري يؤمن بتحكيم العقل لحل الأزمات ،ويؤمن بقدراته الفكرية أكثر من إيمانه باسـتعمال العنـف ،فمواجهـة الاستعمار يجب أن لا تتعدى الشرعية الاستعمارية، أو الثورة عن طريق القانون .

وقد حدث هذا التحول نتيجة الاحتكاك المستمر بالإدارة الاستعمارية سواء بالجزائر أو بفرنسا ،وخاصة نتيجة الاحتكاك مع أطراف، وقيادات الحركة الوطنية من العلمـاء ودعـاة الاستقلال .

المرحلة الثالثة : البحث عن وطن خارج فرنسا أو الانفصال عن فرنسا.

رغم تجربة ماي 1945 ظل فرحات عباس أسير المطلب الفيدرالي، والجمهورية الجزائرية داخل الاتحاد الفرنسي ،وإن أضاف شيئا من الاستقلال إلى أفكاره السـابقة إلا أن ذلـك لم يتجاوز المشروعية الاستعمارية، والعمل الانتخابي بالدرجة الأولى ،أي الإبقاء على العلاقـات المتميزة مع فرنسا ،لكن اندلاع الثورة الجزائرية، وا٢راط الجزائريين في العمل المسلح ،جعـل أسلوب الثورة بالقانون قد تجاوزه الزمن ،فكان عليه إما أن يساير أمته التي ناضـل لأجلـها وبطريقته، وإما أن يبقى على هامش التاريخ ،لكن ثقافته وتفاعله مع اللحظة التاريخية وفق مـا تمليه قوانين ا لتمع جعلته يقتنع أخيرا أن مكانته مع جماهير الشعب مقدما خبرتـه السياسـية الطويلة رغم اقتناعه إلي آخر لحظة أن هناك طريقا آخر للتخلÒ من الهيمنة الاستعمارية غـير طريق العنف .

إن القراءة العميقة لأفكار فرحات عباس وتطورها تؤكد أنه امتلك رصيدا معرفيا غنيـا متنوع المشارب ،كونه عن طريق شغفه بالمعرفة وبحثه الدائم عن جوهر الأشياء ،وتطلعـه إلى التجارب الإنسانية ،هذا ما مكنه من تحصيل رؤية ثاقبة في التحليل والنقد ،واكسـبه مرونـة استفاد منها في نضاله السياسي ،فمثل نموذجا صعبا ،معقدا ومزدوجا عكس طمـوح المثقـف الجزائري المسلم لتحقيق التغيير في نفسه أولا ،ثم في ا لتمع ككل .

إن الخطاب السياسي لفرحات عباس الجانح إلى السلم واستراتيجية الحوار، والمعبر عن إيديولوجية النخبة المثقفة قد أفرز تنوعا في حركة المطالب الجزائرية ،وأسهم من حيث الأفكار والتصورات في تطور مسار الحركة الوطنية النظري ،وÒليo الخطاب السياسي النخبوي مـن الروح الاستعمارية المغرضة التي طبعته ،بأن أبدى عداءه المباشر لتلـك الـذات الكولونياليـة ،وفضح تلاعبات السلطة وتآمرها مع الكولون ،وحتى وإن انتهى هذا الخطاب إلى الإخفاق إلا أنه كون جيلا من المناضلين المطلعين على خبايا الإدارة الاستعمارية سيشاركون علـى غـرار فرحات عباس في تأطير الثورة التحريرية .

تتجلى مساهمة فرحات عباس في سيرورة الحركة الوطنية من حيث الجهد التنظيري الفكري المتعلق بفلسفة التمع والدولة ،ومن خلال مساره النضالي المطلبي ،إضافة إلى أن المشروع السياسي الذي حمله فرحات عباس شمل مثالية الفكر الجمهوري، وواقعية التمع الجزائري ،هذا المشروع طبعته اللمسة الليبرالية، وارتكز على القيم الإسلامية الراقية ،وفق تطور تدريجي انتقل من المهادنة والاعتدال إلى المواجهة والتطرف من غير عنف .

أولا: الوثائق الأرشيفية :

1. Le manifeste du peuple algérien 10 février 1943 – document inédits du mouvement national Textes fondamentaux 1943 – 1945, n° 12, Novembre 1983- Archives Wilaya de Constantine
2. projet de reforme faisant suite aux manifeste du peuple Algérien musulman du 10 Février 1943, présenté par les délégués Financiers Arabes et Kabyles le 26 Mai 1943, n° 12, Novembre 1983, A.W.C.
3. Statut des amis du manifeste et la liberté, Textes fondamentaux 1943 – 1945, n° 12, Novembre 1983- A.W.C.
4. Lettre de démission de la fédération des élus, Textes fondamentaux 1943 – 1945, n° 12 Novembre 1983- A.W.C.

ثانيا : المصادر والمراجع العربية

أ. الكتب:

1. الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
2. بريان (أندري)، نوشي (أندري)، لاكوست (إيف)، الجزائر بين الماضي والحاضر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
3. بغورة (الزواوي)، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس، دار القصبة للنشر 2003.
4. بن العقون (عبد الرحمن بن براهيم)، الكفاح القومي والسياسي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
5. ابن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 1984.
6. بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي بيروت 1998.
7. بورنان (السعيد)، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، ط2، دار الأمل، الجزائر 2004.
8. بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتا بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 1996.
9. بوعزيز (يحي)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912-1948، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987.

10. بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1900 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
11. بوعزيز (يحي)، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر 1981.
12. بومالي (احسن)، استراتيجية الثورة الجزائرية في مراحلها الأولى 1954-1956 المتحف الوطني للمجاهد.
13. تركي (رابح)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
14. جوليان (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية للنشر، تونس 1976
15. حربي (محمد)، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
16. حسنين (محمد)، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر 1986.
17. حميد (عبد القادر)، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001.
18. الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين وأثرها في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.
19. الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
20. خير الدين (محمد)، مذكرات، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ.
21. دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر وثورتنا المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971.
22. الزبيري (محمد العربي)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط2، دار البعث الجزائر، 1984.
23. الزبيري (محمد العربي)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000.
24. زغيدي (محمد لحسن)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، 1956-1962 المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.
25. زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.
26. زوزو (عبد الحميد)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1900المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

27. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الأول المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.
28. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، 1983.
29. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.
30. سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي،بيروت،الجزء6، 1998
31. سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، 2000.
32. شريط (الأمين)، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية، 1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
33. شريط (عبد الله)، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 1995.
34. الشيخ (سليمان)، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة محمد حافظ الجمالي، دار القصبة للنشر الجزائر، 2003.
35. عباس (فرحات)، حرب الجزائر وثورتنا، ليل الاستعمار، مطبعة فوضالة، المحمدية، المغرب دون تاريخ .
36. صاري (الجيلالي)، قداش (محفوظ)، المقاومة السياسية، 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.
37. غيلسبي (جوان)، الجزائر الثائرة، تعريب خيري حماد، ط1، دار الطباعة، بيروت 1961.
38. قنانش (محمد)، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر 1990.
39. مالكي (محمد)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1994.
40. مناصرية (يوسف)، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية ما بين الحربين العالميتين المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

41. نايت بلقاسم (مولود قاسم)، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1983.

ب.ĮاقاŧĞ والدراساĞ العربية:

1. بكوش (محمد الصالح)، فرحات عباس من خلال كتاب حرب الجزائر جذور وأزمة، مجلة المصادر، المركز الوطني للحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد 4، 2001.
2. بلعيد (رابح)، فرحات عباس، حصان طروادة الثورة الجزائرية، رسالة الأطلس، العدد 160 من 20 إلى 26 أكتوبر 1997.
3. بركات (أنيسة)، الحركات السياسية الجزائرية 1936، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ،1981.
4. زوزو (عبد الحميد)، الجديد في معركة الثامن ماي 1945، مجلة الثقافة عدد 107-108، 1995.
5. لونيسي (ابراهيم)، الفكرة الاندماجية في الجزائر (1830-1945) بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد الأول.
6. الميلي (محمد)، فرحات عباس بين باريس والقاهرة، مجلة الحدث العربي والدولي، العدد 24 نوفمبر 2002.
7. مجلة المنار:

العدد 06 ،30 جويلية 1951.

العدد 07، 15 أوت 1951.

العدد 19Û28 مارس 1952.

ثالثا : المصادر والمراجع الأجنبية :

أ. الكتب:

1. Abbas (Ferhat), de la colonie vers la Provence, le jeune Algérien, édition Garnier, Paris 1981.

2. Abbas (Ferhat), autopsie d'une guerre, l'aurore, édition Garnier, France 1984.

3. Abbas (Ferhat), mémoire, remis le 31 mars 1943 à monsieur le gouverneur général.

4. Abbas (Ferhat), regard sur le présent et la venir de l'Algérie, rapport présenter par Ferhat Abbas, au 1er congrès de l'UDMA, édition libération Alger, 1948.

5. Abbas (Ferhat), rapport du 2eme congrès nationale de l'UDMA, Tlemcen les 16 – 17 et 18 Septembre 1949, le régime coloniale est la négation de la justice et de la civilisation édition libération, Alger 1949.

6. Ageron (Charles Robert), les Algériens musulmans et la France (1871-1919), presses universitaire de France, 1968.

7. Ageron (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine, de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, presse universitaire de France.

8. Ageron (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1964), que sais je, presse universitaire de France, Paris 1964.

9. Anonyme,du manifeste a la république Algérienne,édition libération,Alger,1948.

10. Ben habiles (Cherif), l'Algérie Française vu par un indigène, imprimerie orientale, Fantana frères, Alger, 1914.

11. Collot (Claude), Henry (Robert), le mouvement nationale algérien texte (1912-1954), édition, l'Harmattan, Paris 1978.

12. Djeghloul (Abdelkader), la formation des intellectuelles Algériens modernes (1880-1939), OPU, Alger, 1980.

13. Jauffer (jean Charles), la guerre d'Algérie par les documents, les portes de la guerre (1946-1954), service historique de l'armée de terre, Vincennes, 1998.

14. Jauffer (jean Charles), la guerre d'Algérie par les documents, l'avertissement (1943-1946), Tome 1, service historique de l'armée de terre, Vincennes, 1990.

15. Julien (Charles André), Histoire de 'Algérie contemporaine (1830-1970), PUF Paris 1964.

16. Kaddache (Mahfoud), histoire du nationalisme Algérien (1919-1951), Tome 1, et Tome 2, 2eme édition ENAL, Alger, 1981.

17. Kaddache (Mahfoud), l'Algérie se libera, édition Paris Méditerranée, 2003 .

18. .Le tourneau(Roger),l'évolution politique de l'Afrique du nord musulmane1920-1961,librairie Armand colin,Paris,1962

19. Mahsas (Ahmed), le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1re guerre mondiale a 1954, édition l'Harmattan, 1979.

20. Naron (Amar), Ferhat Abbas, ou les chemins de souveraineté, édition Donoel, France 1961.

21. Noushi (André), l'Algérie Amère (1914-1994), édition de la maison des science de l'homme, Paris, 1995.

22. Pervillé (Guy), les étudiants Algériens de l 'Université Française (1880-1962), édition Casbah, Alger, 1997.

Sarrasin(Paul-Emile), la crise Algérienne,les éditions du cerf,Paris,1949

23. Sisbane(Cherif),note sur les réformes désirée par la fédération des élus des indigènes du département de Constantine,imprimerie,P.Brahim,1931.

24. Stora (Benjamin), Algérie 1954, édition Barzakh, 2004.

25. Stora (Benjamin), Zakya (daoued), Ferhat Abbas, une autre Algérie, édition Casbah 1995.

26. Taguia (Mohamed), l'Algérie en guerre, OPU, Alger 1971.
27. Viollette (Maurice), l'Algérie vivra-t-elle?,librairie filix Agllan,France,1931.

ب. المقالات والدراسات الأجنبية:

:

1. Abbas (Ferhat) , A la population musulmane de la circonscription de Sétif, l'entente franco-musulmane, n°134, le 02/11/1939.
2. Abbas (Ferhat) , Atteinte a la souveraineté de la France,l'entente franco-musulmane, n° 36, le 02/09/1937.
3. Abbas (Ferhat) , Appel a tous les amis de la cause indigène,l'entente franco-musulmane, n° 83, le 28/07/1938.
4. Abbas (Ferhat) , Appel aux français d'Algérie,l'entente franco-musulmane, n° 128, le 22/06/1939.
5. Abbas (Ferhat) , Cela dépend de vous,l'entente franco-musulmane, n° 106, le 19/01/1939.
6. Abbas (Ferhat) , en marge du nationalisme, la France c'est moi !, l'entente franco-musulmane, n° 24, le 27/02/1936.
7. Abbas(Ferhat), en marge du nationalisme doctrine et réalité,la voix des humbles,n°167,avril 1936
8. Abbas (Ferhat) , Hitler n'est pas le seul a – ne pas tenir ses promesses,l'entente franco-musulmane, n° 116, le 30/03/1939.
9. Abbas (Ferhat) , Islam en deuil, le plus grand musulman des temps présent meurt a Constantinople,l'entente franco-musulmane, n° 97, le 17/11/1938.
10. Abbas (Ferhat), je suis fils et petit –fils de paysan, l'entente franco-musulmane, n° 110 le 16/02/1939.
11. Abbas (Ferhat) , la leçon d'un scrutin,la république Algérienne, n° 280, le 16/11/1951.
12. Abbas (Ferhat) , le sens de nos démission, pour un régime nouveau,l'entente franco-musulmane, n° 35, le 26/08/1937.
13. Abbas (Ferhat), Réformes et mobilisation, l'entente franco-musulmane, n° 98, le 24/11/1938.
14. Abbas(Ferhat), sommes nous Français il est le temps que la France agisse,l'entente franco-musulmane, n° 33 12Aout,1937
15. Ageron (Charles Robert), Ferhat Abbas, mon testament politique, Ethakafa, Mars – Avril 1995.
16. Ageron (Charles Robert), Ferhat Abbas et l'évolution politique de l'Algérie musulmane pendant la Deuxième Guerre mondiale, revue d'histoire maghrébine, N°4 Juiellet, Tunis, 1975.
17. Ben Jelloule (Mohamed Salah), l'Algérie ne vivra qu'avec le projet Violette,l'entente franco-musulmane, n° 94, le 27/12/1938.
18. Fassi (Hassen), Abane étoffe le FLN, Ferhat Abbas se rallie, archives d'Algérie, N°08 mai 2005.
19. Gazzaere (Abdelhamid), comment Abbas est passé au FLN ? Archives d'Algérie N°08, mai 2005.
20. la religion est un obstacle a notre émancipation, la voix des humbles, n° 55, décembre 1927.
21. Le centenaire de la conquête de l'Algérie, la voix des humbles, n° 68, décembre 1928.
22. les rapports secrets de Soustelle, archives d'Algérie N°08 mai 2005.
23. Liberté – Egalité – Fraternité, aux peuple indigène musulman d'Algérie, la voix des humbles, n°106, décembre 1931.

24. Mai 1955, Farhat Abbas bascule le discoure de Jijel, archives d'Algérie N°08 mai 2005.
25. Melia (Jean) naturalisation des indigènes,la voix des humbles, n° 55, décembre 1927.
26. Mostefai, le mouvement intellectuel Turc et le dogme musulman,la voix des humbles n° 60, Janvier, 1929.
27. Rahal (Malika), les partisans de Ferhat Abbas face au 1er Novembre, El Watan numéro spécial, 03 novembre 2004.
28. Tahrat, l'Algérie vivra-t-elle, note d'un ancien gouverneur général, la voix des humbles n° 101, juillet, 1931.
29. Zenati (Rabeh), la révolution turque, la voix des humbles, n° 61, juin, 1928.

رابعا. الرسائل و الأطروحات الأكاديمية:

أ. العربية:

1. بوزيد (زين الدين)، الأصول الاجتماعية والمرجعيات الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية 1900-1930، ماجيستير علم الاجتماع والتنمية، جامعة منتوري، قسنطينة 2000-2001.
2. بن حسين (كريمة)، الحياة السياسية في قسطينة 1930-1945، ماجيستير تاريخ حديث جامعة منتوري، قسنطينة.
3. حباطي (عايدة)، التجنيس وموقف الجزائريين منه 1919-1939، مذكرة ماجيستير جامعة منتوري قسطينة،2003-2004.
4. حشلاف (علي)، المواقف السياسية لجمعية العلماء من خلال صحفها 1931-1939 ماجيستير الإعلام ولاتصال، جامعة الجزائر، 1994.
5. Rري (الجمعي)، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900-1930، أطروحة دكتوراه جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2003.
6. دويدة،نفيسة،تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927-1955،مذكرة ماجستيرالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية،قسم التاريخ ،بوزريعة،الجزائر،2005
7. العمري (الطاهر)، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع التمع (1900-1940)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2003-2004.
8. غزواني (قدادرة شايب)، الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية (1939-1945) ماجيستير، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1991.

9. معزة (عزالدين)، فرحات عباس ودره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1889-1985، مذكرة ماجيستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة 2004-2005.

ب. الأجنبية:

1. De Nanteuil(Luc de la barre),Ferhat Abbas et le mouvement revendicatif Algérien,école nationale d'administration,Alger,1948.
2. Hachi(Omar), le problème de l'union des mouvement nationaux Algérien a travers la presse1950-1954,mémoire de diplôme d'étude approfondies,université d'Alger,juin1980.

خامسا. ويبوغرافيا Webographie

1. Benamer (Leila Benmansour): Ferhat Abbas journaliste à l'Entente 1935-1942, une plume exceptionnelle combative, El Watan, 19/02/2006.
   http/www.dzlit.free.fr
2. Benot (yaves) Mai 1945, les évènements de Sétif analysés par Albert camus, http/www.Ldn.Toulon.net
3. Dermanjian(Genevieve), le malaise colonial de l'Algérie des années trente au miroire du pogrome de Constantine,Aout1934.
   http//www.mmsh.uni-Aix.fr/telemme/textes/publienscherch/le%20pogrom%20de
4. Colonel Gouta (Adolphe), le fanatisme, histoire magazine, n° 196 Octobre 1971.
   http/www.piednoir.net/bone/titre rubrique/guerre/goutard 8mai45.htmc
5. Deux rapports du consul de suisse sur les événements de Mai 1945 à Sétif.
   http/www.Ldh.Toulon.net/article-php3?id-article.
6. Général Martin (Henry), le mythe des 45000 musulmans victimes de la répression, histoire magazine, n°196 Octobre, 1971.
   http/www.piednoir.net/bone/titre rubrique /guerre/Martin
7. Gold Zeiguer (Anney Rey), aux origines de la guerre.
   http/www.Ldh-Toulon.net/article-php3?id-article=285.
8. Kateb (Kamel), les politiques Françaises d'assimilation en Algérie, institut national d'étude démographique.
   http/www.minorites.org/article-php?ida=8944.
9. Liauzu (claude), mynier (Gilbert), Sétif la guerre des mémoires.
   http/www.Ldh-Toulon.net/article.php.3?id-article=655.
10. Weil (Patrick), le statut des musulmans en Algérie colonial une nationalité Française dénaturée, département of history and civilization européenne university institut italy, 2000.
   http/www.iue.it/pub/he03-03pdh

سادسا. المعاجم والموسوعات:

1. المنجد في اللغة والأعلام، ط 27، دار المشرق، بيروت، 1975
2. Cheurifi (Achour), la classe politique Algérienne de 1900 à nos jour, édition casbah, Alger, 2001.
3. Encarta, 2006

خطة البحث

فهرس الأعلام :

فهرس الأماكن